جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة-كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلّة أبحاث البصرة
((للعلوم الإنسانيّة))

سلسلة العلوم الإنسانية
مجلة فصلية محكمة ومفهرسة

تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة
العراق - البصرة

رئيس هيأة التحرير: أ.د. علاء عبد الحسين البعبادي

مدير هيأة التحرير: أ. مهدي محسن محمد

إدارة المجلة: باحث أقدم: ساهرة مزهر لفتة

عدد خاص بوقائع المؤتمر الدَّوْلِيّ الإلكترونيّ الثالث لقسم اللّغة العربيّة بجامعة البصرة / كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة المعنون بـ(المعنون بالتراث اللغوي والأدبي في البصرة حتى نهاية القرن العاشر الهجري، قراءة معاصرة جديدة)

المنعقد بتاريخ 11/ أيّار / 2022

(مواقع واشتراكات المجلة في المستوعبات العلمية)

-موقع المجلة الرسمي -https://bhums.uobasrah.edu.iq

-ISSN Online 2707-

-الترقيم الدولي

3599

-ISSN Print 2707-3580

-معامل التأثير العربي

-(AIF)= (0,94)

-معامل التاثير والاستشهادات (أرسيف) (

-(0.0473)

-المجلة مسجلة في الموقع العالمي لابحاث العلمي Google -

https://scholar.google.com

-موقع المجلات الاكاديمية العراقية -

www.iasj.net

-رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 1183 لسنة 2009

(www.udledge.com)

1) i-Journals(www.ijournals.my)

2) i-Focus (www.ifocus.my)

(التعريف بالمجلة)

1. مجلّة محكّمة ومتخصّصة ,فصليّة, تصدر عن كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة/جامعة البصرة/وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ العراقيّة.

2. تطمح أنْ تكون مصنفّة ضمن أهم القواعد والبيانات العالميّة وأنْ تكون مرجعاً علمياً للباحثين والدارسين في العلوم الإنسانيّة ووصول أبحاثهم إلى أوسع نطاق من العالم.

(حقوق الطبع محفوظة للناشر):

1. جميع حقوق الطبع محفوظة لجامعة البصرة /كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة.
2. لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلّة أو اقتباسه من دون الحصول على موافقة خطيّة مسبقة من رئيس هيأة التحرير.
3. ما يرد في المجلّة يعبر عن آراء أصحابها ولا يعكس آراء هيأة التحرير أو سياسة جامعة البصرة.

للاستفسار والتواصل مع هيأة تحرير المجلة:

-Email:magazinbasrah@gmail.com

- +964 7736024869

هيأة التحرير:

ت	الاسم واللقب العلمي	مكان العمل
.1	أ.د. عبد الباسط خليل محمد	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم علوم القرآن
.2	أ.د. إبراهيم فنجان صدام	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ
.3	أ.د. حامد قاسم ريشان	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي
.4	أ.د. مرتضى عباس فالح	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية
.5	أ.د. علاء حسين عودة	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة الانكليزية

.6	أ.د. عباس عبد الحسن كاظم	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الجغرافية
.7	أ.م.د. نبيل كاظم نهير	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم العلوم التربوية والنفسية
.8	أ.د. محمد الخزامي عزيز	مصر - جامعة الفيوم - كلية الآداب قسم الجغرافية
.9	أ.م.د. رسول بلاوي	إيران- جامعة خليج فارس- بوشهر
.10	أ.د. جمال الدين إبراهيم محمود العمرجى	مصر- جامعة السويس - كلية التربية
.11	أ.د. عبد الله أبراهيم	تركيا – ناقد وأكاديمي
.12	أ.د. محمد سليمان مجلي بني خالد	الأردن – جامعة آل البيت – كلية العلوم التربوية
.13	أ.د. محمد نجيب مراد	الجامعة اللبنانية – كلية الآداب

((شروط النشر في مجلة أبحاث البصرة (للعلوم الإنسانية))

✓ تنقسم ضوابط النشر إلى قسمين:

اولاً:عند تقويم البحث (ما قبل الحصول على قبول النشر):

1) يكون ترتيب الصفحة الأولى بالشكل التالي:العنوان في أعلى الصفحة ويندرج تحته فقرة الغرض من البحث هو:(مستل (رسالة ماجستير),(أطروحة دكتوراه),أو للترقية,أو غير ذلك)ثم(أسم الباحث أو الباحثين,الجامعة,الكلية والقسم).

2) خلاصة البحث باللغة العربية بالنسبة للأقسام كافة -ماعدا قسم اللغة الانكليزية- لا تزيد عن خمسة اسطر وتترجم إلى اللغة الانكليزية من قبل وحدة الخدمات في قسم اللغة الانكليزية حصراً,وتتضمن (ترجمة العنوان والملخص وأسماء الباحثين) وتختم وتجلب مع البحث النهائي.أما بالنسبة لقسم اللغة الانكليزية كذلك تتم ترجمة العنوان وأسماء الباحثين والملخص باللغة العربية.

3) يكون نوع الخط للبحث (Simplified Arabic) للغة العربية , و(Times New Roman) للغة الانكليزية.ولا يقبل أي خط أخر.ويعتمد برنامج (word 2007) حصراً ولا يقبل غير ذلك.

4) حجم الخط (14) للمتن و(16) للعناوين و(12)للهوامش,ويكون تباعد الأسطر(1,5سم) وحواشي الصفحة الأربعة (2,5) من جميع الجهات.

5) الترقيم يكون في أسفل الصفحة مع تجنب أي علامات أو إطارات أو خطوط.

6) تكون هوامش ومصادر البحث كلها في نهايته.

7) عدم استخدام الخطوط والرموز الجاهزة خصوصاً الآيات القرآنية وكلمة (صلى الله عليه واله وسلم) أو (عليه السلام) أو (رضي الله عنه) وغيرها.

8) يسلم الباحث لترويج البحث مبلغاً قدره (40,000) أربعين إلف دينار مع أربع نسخ ورقية من البحث لكافة الأقسام باستثناء قسمي اللغة العربية والانكليزية ثلاث نسخ مع مبلغ قدره (30,000) ثلاثين إلف دينار.

✓ ثانياً: عند رجوع البحث من المقومين وقبوله (للحصول على قبول النشر):

1) عند اكتمال عملية تقويم البحث من قبل المقومين يعاد البحث إلى الباحث في حال كانت نتيجة التقويم (صالح للنشر) لغرض أجراء التعديلات المثبتة عليه,ولا يمنح قبول النشر ألا بعد إن يسلم الباحث نسخه نهائية ورقية معدلة إضافة إلى نسخة الكترونية بصيغة(word)على قرص(CD).مع ضرورة جلب النسخ الأصلية التي أجريت عليها التعديلات وأن يكون البحث بمجمله محفوظ في ملف واحد ويدفع أجور النشر المترتبة بحسب التعليمات والتفاصيل أدناه:

أ) بالنسبة لمستلات بحوث طلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) تحسب أول (25) صفحة بـــ (3000) ثلاث ألاف دينار إما ما يزيد عن ذلك فتحسب الصفحة بـــ (4000) أربعه ألاف دينار.

ب) إما بالنسبة لبحوث الترقيات وغير ذلك فتحسب أول (25) صفحة بـــ (4000) آلاف دينار وما يزيد عن ذلك من صفحات فتحسب بـــ (5000) خمسة ألاف دينار.

2) تسقط مطالبة الباحث باسترجاع مبلغ التقويم أو مبلغ النشر أذا تم إرسال البحث للمقومين.

3) تلفت المجلة انتباه السادة الباحثين إلى أنها **ملزمة** بنشر كافة البحوث التي تمنحها قبول نشر وتم تسديد مبالغ نشرها بالوصولات, ولا تستقبل البحوث التي يروم أصحابها الحصول على **قبول نشر فقط** دون استعدادهم لدفع مبالغ نشرها في المجلة.

تعتذر إدارة المجلة عن استلام أي بحث لا تنطبق عليه الضوابط أعلاه.

(التراث اللغوي والأدبي في البصرة حتى نهاية القرن العاشر الهجري، قراءة معاصرة جديدة)

المؤتمر الدَّوْلِيّ الإلكترونيّ الثالث لقسم اللّغة العربيّة بجامعة البصرة / كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة المنعقد بتاريخ 11/ أيَّار- مايو / 2022

جامعة البصرة

كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

برعاية السيّد رئيس جامعة البصرة (أ.د.سعد شاهين حمّادي)

وبإشراف عميد كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة(أ.د. حميد سراج جابر)

وتحت شعار (البصرة قصيدة العراق , ومجد التراث العربي)

يقيم قسم اللّغة العربيّة مؤتمره الدَّوْلِيّ الإلكترونيّ الثالث المعنون

بـ(المعنون بالتراث اللغوي والأدبي في البصرة حتى نهاية القرن العاشر الهجري، قراءة معاصرة جديدة)

مَحَاوِر المؤتمر

- **الدَّراسات اللّغويّة وقضايا العربيّة في مجال (تطوير اللّغة ، واتّساع اللّغة ، والتَّعريب ، واجتراح المصطلحات التي يقتضيها التقدّم العلميّ، وتنمية الألفاظ ، فضلاً عن مشكلة الفهم وتدنّي المستوى) .**
- **أثر اللّغة العربيّة في الفهم الصَّحيح للقرآن الكريم .**
- **الجهود الأدبيّة والنَّقديّة لدى القدماء والمُحْدَثِيْنَ ، وأثرها في مواجهة العربيّة ومشكلاتها،ودورها في انضاج المُدْرَك المعرفيّ للمجتمع.**
- **اللّغة العربيّة وواقع التَّواصل الإجتماعيّ.**

أهداف المؤتمر

- **بيان أهمية اللّغة العربيّة ، وتوضيح دورها في انفتاح الوعي والفهم ، والإدراك المعرفيّ والسّلوكيّ للمجتمع الأكاديميّ خاصة ، والمجتمع بفئاته الأخرى عموماً.**
- **الوقوف على أهم المشكلات ، التي تؤثّر سلباً على سلامة اللّغة العربيّة نظريّاً وعمليّاً.**

- **إيجاد الحلول والسُّبل الناجحة لمعالجة تلك الأمور بجهودٍ لغويّة وأدبيّة قائمة على أساس الأبعاد العلميّة والعمليّة.**

لجان المؤتمر

اللجنة المشرفة	1. أ.د حميد سراج جابر 2. أ.د أسعد عباس هندي 3.أ.م.د نوفل كاظم مهوس
اللجنة العلميّة	أ.د. فاخر هاشم الياسري أ.د. سالم يعقوب يوسف أ.د. سوادي فرج مكلف أ.د. نضال إبراهيم ياسين أ.د. حامد ناصر عبود أ.د. حسين عودة هاشم أ.د. جبار عودة بدن أ.د. سليمة جبار غانم أ.د. علي مطشر نعيمة أ.د. نجوى محمد جمعة أ.م.د. حسين مزهر أ.م.د. علي عبد رمضان أ.م.د.ميثاق حسن عبد الواحد أ.م. د. سهير كاظم حسن
اللجنة التحضيريّة	1أ.د. خالد عبد الكاظم عذاري أ.د. علي جاسب عبد الله أ.م. د. بشير سعيد سهر أ.م.د. خلود شهاب أحمد أ.م.د. عبد الرحمن عبد الله أحمد أ.م.د. لؤي طارق علي م.د. هشام يونس جاسم م.د. مازن مالك خلف م. عبد الله محمد راشد

اللجنة الإعلاميّة	1أ.د. مرتضى عباس فالح أ.م.د. صباح عيدي عطية أ.م.د. وداد يعقوب سلمان أ.م.د. أنوار عزيز جليل م.د.عباس فالح حسن م. عبد الله محمد راشد
اللجنة التنسيقيّة	أ.م.د. هيثم كاظم صالح أ.م. نجاة علوان حسين م.د. هند أكرم عبد الرحمن م.د. سناء جميل حنون م.د. إيناس عبد الرحيم رمضان م.د. آمنة أحمد عباس م.د. جنان عايد محمد م.د. أحمد قاسم حميد م.م. زينة صاحب محمود م.م. حوراء إسماعيل جاسم
لجنة الاستقبال	أ.م.د. بشير سعيد سهر م.د. منتهى عناد تمل م.د. أثير حميد محمد أ.م.د. فرحة عزيز محسن م.د. عباس فالح حسن م. ميعاد زعيم هنون

ثبت المحتويات

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحات
1-	دلالة مصطلح (معاني القرآن) وتحققه في معاني قطرب (ت214هـ)	أ.د سعيد جاسم الزبيدي	25-11
2-	نشأة العلوم العربية	محمد بن سالم بن خلفان المسلمي	35-26
3-	المبرد من روافد اللغة	د. عبدالله بن مبارك السعدي	48-36
4-	التداخل والتوليد وأنساقهما التداولية الثقافية عند البصريين وغيرهم.	أ.م. د . حسين علي جبار القاصد	64-49
5-	التوظيف اللُّغوي للشاهد الشعريّ عند الجاحظ (ت 255 هـ) (كتاب البيان والتبيين مثالاً)	أ.د. سليمة جبار غانم	87-65
6-	كتاب النبات للاصمعي (ت 216 هـ) دراسة في البنية والدلالة	أ.م.د خلود شهاب	102-88
7-	البناء الفني لمقدمة قصيدة المدح في شعر الفرزدق	أ.م.د. صباح عيدي عطية	111-103
8-	جهود علماء تفسير القرآن في الحفاظ على أصالة اللغة العربية وتراثها (المفسر البصري قتادة السدوسي نموذجا)	أ.م. د. فلاح عبد الحسن هاشم	124-112
9-	ما انفرد به أبو عمرو بن العلاء في قراءات كتاب السبعة لابن مجاهد وأثره في تفسير النص القرآني	د. مخلد جبار سلطان	142-125

****

دلالة مصطلح (معاني القرآن) وتحققه
في معاني قطرب (ت214هـ)

أ.د سعيد جاسم الزبيدي/قسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب– جامعة نزوى

الملخص

تبنت هذه الورقة التفريق بين كتب (معاني القرآن)، وكتب التفسير، من أن لكلٍ منهما منهجًا يختلف عن الآخر، واتخذت من مقولة أبي جعفر النحاس(ت338هـ) منطلقا لبيان تحقق الجوانب التي ذكرها في معاني قطرب(ت214هـ)، فوجدت أنّ كل ما ذكره النحاس متحقق عند قطرب إلا أمرين: الأحكام التي هي شأن الأصوليين، والناسخ والمنسوخ.

أما المباحث اللغوية: صوتا، وصرفا، ومعجما، وتركيبا: الجمل والأساليب، فقد أظهر قطرب قدرة لغوية فائقة تكونت لديه من شيوخه ومعارف عصره.

الكلمات المفتاحية:

- معاني القرآن.
- كتب التفسير.
- مقولة أبي جعفر النحاس في (معاني القرآن).
- مطابقة المقولة مع معاني قطرب.

Abstract

Arab Grammarians had paid great attention and consideration to the Holy Qur'an, so they had dedicated several volumes in the various fields of the Qur'an's allegory, obscure terms, problems, parsing and dialects. All these issues are present in the books on commentaries with all their various tendencies. However, they differ from the books on the meanings of the Quran in uncovering the excellence of eloquence with regard to composing and authoring. The authors started to look for such topics concerning the vocabulary and structures.

The present paper endeavored to tackle the term "the Meanings of the Holy Qur'an" in the light of the clarification of Abu Ja'far AlNhas (died in 338 Hijri), and to what extent it was realized in the book entitled "the Meanings of the Holy Qur'an and Explaining the Problems of its Parsing" written by Qutrub (died in 214 Hijri). The researcher found

complete compatibility between the two veins of thought except for two issues: the provisions that are mainly the concern of the Fundamentalists and the Abrogator and Abrogated.
Qutrub revealed his linguistic capability that was provided to him by his teachers and through the knowledge prevailing in his age. Therefore, his areas of research included phonological, morphological, lexicographical, and structural issues concerning the sentences and styles. That was an attempt, on his part, to join his contemporaries, as well his opponents, to form an approach to the "Meanings of the Holy Qur'an".
I did not choose to cite examples of what was observed in Qutrub's book, since that was explained in detail in my two books:

1. "Linguistic Views on the Books of the Meanings of the Holy Qur'an: Extrapolation and Method", published by the Cultural Affairs Publishing House in Baghdad, 2021.
2. "Qutrub the Grammarian (died in 214 Hijri): A New Vision"

Both books provide sufficient examples on the topic.
All praise be to Allah Almighty for granting me success.

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أثار استغرابي حين وقفت على اختلاف أهل التفسير في بيان التفسير مصدرًا: أهو من (ف/س/ر) أم من (س/ف/ر)؟ وذهب الراغب الأصفهاني(ت502هـ) إلى مقاربة دلالية على ما نُقل عنه:

فعنده السفر والفسر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر "إظهار المعنى المعقول" [1] ... وجعل السفر لإبراز الأعيان".[2] وقيل: الفسر مقلوب من سفر. [3]

وعلّق محمد حسين الصغير – مدّ الله في عمره– على هذه المقولة فقال:

"وسواء أكان اللفظ على سلامته أم كان مقلوبًا، فالدلالة فيه واحدة في اللغة تعني كشف المغلق" [4]

وهذا يؤكد منهج الخليل في تقليباته!

---

[1]() المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصـــفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة/بيروت، ط3، سنة2001م، مادة (فسر)، ص381.

[2]() نفسه، مادة (سفر)، ص239.

[3]() ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشـــي، تحقيق مصـــطفى عبد القادر عطا، دار الفكر/بيروت، ط1، سنة1988م، 163/2.

[4]() المبادئ العامة لتفســـير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: محمد حســـين علي الصـــغير، دار المؤرخ العربي/بيروت، ط1، سنة2000م، ص17.

وفصّل الصغير في ذكر وجوه الفرق بين (التفسير) و (التأويل)، فعدّها اثني عشر وجها! [1] وانتهى إلى أنهما مختلفان "إن التفسير ما كانت دلالته قطعية، وأن التأويل ما كانت دلالته ظنية". [2] وهذا ما نذهب إليه.

وتطرح هذه الورقة أسئلة لتجيب عنها:

- أتندرج كتب (معاني القرآن) في كتب التفسير؟
- ما دلالة مصطلح (معاني القرآن)؟
- هل تحققت دلالة المصطلح في كتاب (معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، لقطرب(ت214هـ)؟

تبسط هذه الورقة القول جوابًا عن الأسئلة المذكورة آنفا، وتقوم على:

المبحث الأول: ما وصل من كتب (معاني القرآن)، ومدى علاقتها بكتب التفسير.

المبحث الثاني: دلالة مصطلح (معاني القرآن).

المبحث الثالث: تحقّق المصطلح عند قطرب(ت214هـ) في كتابه.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: ما وصل من كتب (معاني القرآن) وعلاقتها بكتب التفسير:

عُني بهذا العنوان (معاني القرآن) جلّةٌ من العلماء، ذكرهم ابن النديم(ت384هـ).[3] ولكنّ ما وصل إلينا منها صنفان:

- **صنف محقق:**
- معاني القرآن: لأبي زكريا الفراء(ت207هـ)، حقق:
  - الجزء الأول منه: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار.
  - الجزء الثاني منه: محمد علي النجار.

---

[1] () ينظر: نفسه، ص20-22.

[2] () نفسه، ص23.

[3] () ينظر: الفهرست: ابن النديم، تحقيق محمد عوني عبدالرؤوف وإيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة/القاهرة، سنة2006م، 34/1:

ذكر ثمانية عشر عالمًا على غير ترتيب:

الأخفش الأوسط، ويونس بن حبيب، والمبرد، وقطربًا، والفراء، وعمر بن بكير، وأبا عبيدة، وأبا فيد السدوسي، والمفضل بن سلمة، وابن كيسان، والزجاج، وخلفا النحوي، وأبا معاذ الفضل بن خلف، وأبا المنهال، وأبا بكر بن أشتة الأصفهاني، وابن الجرّاح، وابن مجاهد، وأبا الحسن الخراز النحوي.

- الجزء الثالث منه: عبدالفتاح إسماعيل شلبي.

ونشر أكثر من مرة لآخرين.

- مجاز القرآن: لأبي عبيدة(معمر بن المثنى –ت210هـ) حققه: فؤاد سزكين.
- معاني القرآن: لقطرب(محمد بن المستنير–ت214هـ) حققه: محمد لقريز.
- معاني القرآن: للأخفش الأوسط(سعيد بن مسعدة –ت215هـ) حُقّق أربع مرات:
  - عبد الأمير محمد أمين الورد، سنة1974م.
  - فائز فارس، سنة1979م.
  - هدى محمود قراعة، سنة1991م.
  - أحمد راتب النفاخ –ما زال مخطوطا لدى ولده عبدالله–.
- معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق الزجاج (إبراهيم بن السري –ت311هـ)، حققه عبد الجليل عبده شلبي.
- معاني القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس(ت338هـ) حققه محمد علي الصابوني، إلى نهاية سورة الفتح، فهو ناقص بلا فهارس!
- إيجاز البيان في معاني القرآن: لمحمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري(ت553هـ) حقق ثلاث مرات:
  - أحمد بن محمد نور يوسف، جامعة أم القرى، سنة1990م.
  - حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط1، سنة1995م.
  - علي بن سليمان العبيد، ذكره الدكتور مساعد بن سليمان الطيّار في كتابه: أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط2، سنة1423هـ، ص75، هامش(1) !
- **وصنف مجموع:**
- معاني القرآن: لأبي الحسن الكسائي(ت189هـ) جمعه الدكتور عيسى شحاتة عيسى، دار قباء/القاهرة، سنة1998م.
- معاني القرآن: لأبي العباس المبرد(ت285هـ) جمعه سعد أحمد إبراهيم العيساوي– رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/جامعة تكريت/العراق، سنة2008م.
- معاني القرآن: لأبي العباس ثعلب(ت291هـ)، جُمع ثلاث مرات:

- الأولى: خضر حسن طاهر اللهيبي، رسالة دكتوراة، -كلية التربية/جامعة كركوك/العراق، طبع سنة2010.
- الثانية: شاكر سبع انتيش الأسدي، مطبعة الناصرية/ العارق، سنة2010م.
- الثالثة: أحمد رجب أحمد أبوسالم، مكتبة أضواء السلف/ السعودية، سنة2011م.

- معاني القرآن وإعرابه لأبي الحسن ابن كيسان، جمعه محمد محمود محمد صبري الجبّة، مطبعة الإمام البخاري/ القاهرة، ط1، سنة2013م، ويبدو أن الباحث جمع كتابين:

معاني القرآن، وإعراب القرآن لابن كيسان!

والتفسير اصطلاحًا على ما رآه أبو حيان الأندلسي(ت745هـ)، فقال:

"التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك. [1] ووسّع مفهومه بدر الدين الزركشي (ت794هـ)، فأضاف أسباب النزول، وترتيبه مكيّا ومدنيا، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وغير ذلك. [2]

وتوزع المفسرون على اتجاهين: اتجاه النقل، واتجاه العقل[3] ، ومنهم من جمعهما مثل: فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني(ت1250هـ).[4] كما يلاحظ على قسم من المفسّرين اتجاهه الفقهي الذي ينطلق منه المفسّر مثلا ما أُخذ على الزمخشري(ت538هـ) في (كشّافه).[5]

وأشار بدر الدين الزركشي(ت794هـ) إلى أن المفسرين ميزوا مصنفي (معاني القرآن) فقال: "وحيث قال المفسّرون: قال أصحاب المعاني، فمرادهم مصنفو الكتب في معاني القرآن، كالزجاج ومَنْ قَبْله وغيرهم".[6]

فضلاً عن أن كتب (معاني القرآن) أسبق تأليفًا من كتب التفسير، فقد عُدّت كتب (معاني القرآن) من التأليف

---

[1]() البحر المحيط: أبو حيان الأندلســـي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط1، د.ت، 23/1.

[2]() ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، 162/2.

[3]() ينظر: المبادئ العامة لتفســير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: محمد حســين علي الصــغير، ص61، ص70.

[4]() ينظر عنوان: فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفســير: محمد علي الشــوكاني، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة/بيروت.

[5]() ينظر: التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة/القاهرة، ط7، سنة2000م، 321/1-325.

[6]() البرهان في علوم القرآن: الزركشي، 162/2.

المختلط[1] الذي يقوم على بيان جماليات اللغة في التعبير القرآني، وبيان ما في القراءات من أثر اللهجات، ووجوه الأعاريب، وإن حصرها الباحث محمد لقريز بـ "البيان اللغوي لألفاظ وأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم". [2]

نخلص إلى أن كتب التفسير أوسع ميدانًا من كتب (معاني القرآن)، على الرغم من توافقهما في مواضع معدودة، ولكنّ كتب (معاني القرآن) لا تندرج في كتب التفسير.

المبحث الثاني: دلالة مصطلح (معاني القرآن):

لم يقف أحد ممن ألّف في (معاني القرآن) على هذه العبارة الاصطلاحية، أو حدّها إلا: أبو عبيدة (معمر بن المثنى –ت210هـ) في (مجازه) قال: "قالوا: إنما أُنزل القرآن بلسان عربي مبين... فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلّم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه، وعما فيه من كلام العرب... وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب، والمعاني". [3]

فكان مصطلحه (ومن مجازه) الذي هو طريقة التعبير عنده[4] " جاءت له معان".[5] والذي "عُني بالناحية اللغوية في القرآن". [6] فيعد أبو عبيدة أول من تصدّى لهذه الغاية[7] ، وتلاه أبو جعفر النحاس(ت338هـ) الذي فصّل في بيان دلالة (معاني القرآن) ومهمته فقال: "قصدت في هذا الكتاب تفسير المعاني، والغريب، وأحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ عن المتقدمين من الأئمة، وأذكر من قول الجلّة من العلماء باللغة، وأهل النظر ما حضرني، وأبيّن من تصريف الكلمة، واشتقاقها، إن علمت ذلك، وآتي من القراءات ما يحتاج الى تفسير معناه، وما احتاج إليه المعنى من الإعراب، وبما احتجّ به العلماء في مسائل سأل عنها المجادلون، وأبيّن ما فيه حذف

---

[1]() ينظر: كتب معاني القرآن حتى نهاية القرن الثالث الهجري –دراسة منهجية: عبدالكاظم محسن الياسري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب/جامعة البصرة، سنة1986م، المقدمة.

[2]() مقدمة تحقيق معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه لقطرب: محمد لقريز، مكتبة الرشد/الرياض، ط1، سنة2020م، 13/1.

[3]() مجاز القرآن: أبوعبيدة، تحقيق: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي/القاهرة، د.ط، سنة1986م، 8/1.

[4]() تنظر مقدمة محقق مجاز القرآن: فؤاد سزكين، 19/1.

[5]() مجاز القرآن: أبوعبيدة، 13/1.

[6]() تنظر مقدمة محقق مجاز القرآن: فؤاد سزكين، 19/1.

[7]() فهرست ابن خير: أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1، سنة1998م، ص122.

واختصار، أو إطالة لإفهامه، وما كان فيه تقديم، أو تأخير، وأشرح ذلك حتى يتبينه المتعلم، وينتفع به كما ينتفع العالم بتوفيق الله وتسديده."[1]

وعدّ باحث " أنّ جل مباحث هذه الكتب في علم العربية، وسبب ذلك أن الذين كتبوا في علم معاني القرآن لغويون." [2] و "يلاحظ أنّ بعض كتب معاني القرآن تضمّ إليها علم إعراب القرآن... حتى صارت مواضع كثيرة من كتبهم موطنا للتطبيقات النحوية الخلافية بين مدارس النحو أكثر من كونها في بيان القرآن." [3]

تشمل كتب (معاني القرآن) على وفق رؤية ابن النحاس ما يأتي:

- المعاني.
- الغريب.
- أحكام القرآن.
- الناسخ والمنسوخ.
- مباحث اللغة: صوتا، وصرفا، ومعجما، وتركيبا، وإعرابا.
- القراءات القرآنية.
- مباحث بلاغية: حذفا، تقديما وتأخيرا، ومجازا.

فهل تحقق هذا عند قطرب في كتابه: معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه؟ هذا ما سنعرضه في المبحث الأتي:

المبحث الثالث: تحقق المصطلح عند قطرب(ت214هـ) في كتابه:

- أما الأمر الأول فغاية كتب (معاني القرآن) الكشف عن المعاني، وعنوانات كل الكتب، فضلا عن قطرب تخذت (معاني القرآن) لتحقق ما هدفت إليه فيها من فقه دقيق في العربية، وأساليبها، واستعمالاتها، وخصائص التعبير فيها مما ارتفع بكل ذلك التعبير القرآني فكان ذلك من أسرار إعجازه، ودلائله. وليس بنا حاجة إلى تفصيل تحقق (المعاني) عند قطرب في كتابه.
- **وأما الغريب:**

---

[1]() معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، مطبوعات جامعة أم القرى/السعودية، سنة2007م، 1/42-43.

[2]() أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم: مساعد بن سليمان الطيّار، دار ابن الجوزي/الرياض، ط2، 1423هـ، ص75.

[3]() نفسه، ص76-77.

فلعلماء العربية عناية كبيرة بـ (غريب القرآن)، ذكر ابن النديم(ت384هـ) جمهرة كبيرة منهم [1] في مؤلفات أفردوها له، فدخل (الغريب) في كتب (معاني القرآن)، ومن منهج قطرب (ت214هـ) في كتابه أن ظهر اهتمامه بـ (غريب القرآن) في عنوانات ختم بها مباحثه:

- "الخبر الثاني عن لغة أم الكتاب وغريبها ومصادرها." [2]
- "لغات سورة البقرة وغريبها ومصادرها." [3]
- "غريب السورة التي يذكر فيها النساء ولغاتها." [4]
- "غريب السورة التي يذكر فيها المائدة ولغاتها." [5]
- "لغات سورة الأنعام وغريبها." [6]

- "لغات السورة التي يذكر فيها الأعراف وغريبها." [7]
- "لغات سورة الأنفال وغريبها." [8]
- "لغات سورة براءة وغريبها." [9]
- "لغة سورة هود وغريبها." [10]
- "لغة سورة يوسف وغريبها." [11]
- "لغة سورة الرعد وغريبها." [12]

---

[1] () ينظر: الفهرست: ابن النديم، 35/1.

[2] () معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه: قطرب، 9/1-42.

[3] () نفسه، 195/2-356.

[4] () نفسه، 629/2-648.

[5] () نفسه، 673/2-699.

[6] () نفسه، 743/2-773.

[7] () نفسه، 816/2-843.

[8] () نفسه، 868/2-875.

[9] () نفسه، 895/3-913.

[10] () نفسه، 961/3-986.

[11] () نفسه، 1047/3-1066.

[12] () نفسه، 1083/3-1092.

- "لغة سورة إبراهيم وغريبها." [1]
- "لغة سورة الحِجْر وغريبها." [2]
- " لغة سورة النحل وغريبها." [3]
- " لغة سورة بني إسرائيل وغريبها." [4]
- "لغة سورة الكهف وغريبها." [5]
- "غريب سورة طه ولغاتها." [6]

نقلت هذه العنوانات لأبيّن مدى تحقق عناية قطرب بـ(غريب القرآن) الذي عُدّ من مهمات كتب (معاني القرآن)، ولاحظت أن قطربًا في منهجه هذا:

- قدّم مصطلح (الغريب) في ثلاثة مواضع على عبارته المألوفة (لغات أو لغة السورة).
- وأغفل ذكر (الغريب) مع السور الآتية: سورة مريم، (ينظر 1282/3).

وليس بي حاجة هنا إلى الوقوف على الألفاظ التي عُدّت غريبة في القرآن الكريم!

- **وأما أحكام القرآن:**

فلم يُعنَ بها قطرب، ولا أدري لماذا أدرجها ابن النحاس (ت338هـ) في مهمات كتب (معاني القرآن) فقد عُني بها المفسرون، ولا سيما أبوعبدالله القرطبي(ت671هـ) بعنوان كتابه في التفسير:

(الجامع لأحكام القرآن) الذي قال في مقدمته:

"واعتضت عن ذلك تبيين آي الأحكام...فضمّنت كل آية حكمًا أو حكمين." [7]

- **وأما الناسخ والمنسوخ:**

---

[1] () نفسه، 1106/3-1111.

[2] () نفسه، 1125/3-1138.

[3] () نفسه، 1155/3-1171.

[4] () نفسه، 1193/3-1208.

[5] () نفسه، 1240/3-1266.

[6] () نفسه، 1300/3-1306.

[7] () الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق: عماد زكي البارودي، وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية/القاهرة، ط11، سنة2008م، 15/1.

فأجد غرابة أيضًا في ذكر ابن النحاس(ت338هـ) هذا الموضع في مهمات كتب (معاني القرآن)، ويبدو لأن له كتابًا بهذا العنوان [1]

ولم يكن هذا الموضوع مما عني به قطرب.

- **القراءات القرآنية:**

كانت "القراءات القرآنية موضوعا بارزا اهتم به قطرب اهتماما كبيرا"[2] وقد تناول محقق كتاب محمد لقريز طريقته في عرض القراءات بشيء من التفصيل[3] أوجزها في:

- يوجّه القراءات التي بها حاجة إلى توجيه.
- يذكر تعدد القراءات.
- يورد القراءات بتواترها وشاذها.
- يعنى بنسبتها إلى أصحابها.
- يؤخر القراءة التي تخالف رسم المصحف.
- يغفل أحيانا عن ذكر القارىء.
- يستطرد في الخلاف بين القراءات.

ومن عنايته الفائقة بها أفرد لها عنوانا في كل سورة:

"الخبر الأول من قراءة سورة أم الكتاب."[4] وهكذا مع سائر السور.

- **الإعراب:**

شكّل الإعراب أهمية واضحة في جميع كتب (معاني القرآن)، وأبرزه قطرب في عنوان كتابه (معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه)، وحذا حذوه الزجاج(ت311هـ) فكان عنوانه (معاني القرآن وإعرابه)، وتابعه ابن كيسان(ت320هـ) فكرر (معاني القرآن وإعرابه) ومنهم من أفرد كتابًا بعنوان (إعراب القرآن) مثل ابن النحاس(ت338هـ).

---

[1]() ينظر: إعراب القرآن: أبو جفر النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب/بيروت، ط1، سنة2005م، وله طبعات أخرى.

[2]() تنظر: مقدمة تحقيق معاني قطرب: محمد لقريز، 213/1.

[3]() تنظر: المقدمة نفسها، 214/1-222.

[4]() معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، 4/1.

وأمر الإعراب فيما فيه إشكال ضرورة لبيان الدلالة، ومن هنا جاءت عناية قطرب في كتابه كلّه، وحظي منه بعنوان:

"باب الخبر الثالث عن مشكل إعراب سورة أم الكتاب" [1]

وهكذا مع سائر السور التي وقف عليها.

ومثال ما وقف عليه قال:

"وأما أم فهي على ثلاثة معاني..." [2] وعرض لها في شواهد قرآنية، وقول العرب، وشواهد شعرية، واستوفى المعاني.

وأما مباحث اللغة فقد انصرف إليها قطرب(ت214هـ) في كتابه على وجه طاغٍ، وواضح، وقد بثّ فيه من علمه ما عدّه محقق كتابه مصدرا لآراء المدرسة البصرية[3] ، ولو أني أخالفه فقد وجدته ينقل عن علماء الكوفة ويتبنى رأيهم في أصل الاشتقاق. [4]

لقد وقفت على مستويات البحث اللغوي عنده:

---

[1]() معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، 43/1-125.

[2]() نفسه، 67/1.

[3]() تنظر: مقدمة محقق كتاب قطرب: محمد لقريز، 342/1.

[4]() ينظر: قطرب النحوي –ت214هـ- رؤية جديدة: سـعيد جاسـم الزبيدي، دار كنوز المعرفة/الأردن، ط1، سنة2021م، ص71.

- **المستوى الصوتي:** في الإبدال [1] ، وفي الإدغام [2] ، وحركات الوصل [3] ، والخفة [4] ، والإسكان [5] ، والاتباع [6] ، والتثقيل [7] ، والاشمام [8] ، والروم[9] ، وألفات القطع [10] ، وألفات الوصل [11] ، وغيرها كثير.
- **المستوى الصرفي:**

عُني قطرب في كتابه بمباحث صرفية متعددة منها:

أبواب الفعل [12] ، وفعل وأفعل [13] ، والأفعال مجردها ومزيدها [14]، والقلب المكاني[15] ، والمصادر [16] ، والجموع [17] .

- **المستوى المعجمي:**

وهذا من أولويات عناية كتب (معاني القرآن) في الكشف، والبيان لألفاظ القرآن، وهذا تجلّى فيها، وهو مما لا يحصى.

- **المستوى التركيبي:**

---

[1]() ينظر: معاني قطرب، 71/1، 19، 21، 22، مثلاً.

[2]() ينظر: نفسه، 12/1، 117، 118، 120، مثلاً.

[3]() ينظر: نفسه، 28/1، مثلاً.

[4]() ينظر: نفسه، 41/1، 43، مثلاً.

[5]() ينظر: نفسه، 41/1.

[6]() ينظر: نفسه، 69/1، 71.

[7]() ينظر: نفسه، 69/1، 74.

[8]() ينظر: نفسه، 70/1.

[9]() ينظر: نفسه، 71/1.

[10]() ينظر: نفسه، 122/1.

[11]() ينظر: نفسه، 124/1.

[12]() ينظر: قطرب النحوي: سعيد جاسم الزبيدي، ص78-87.

[13]() ينظر: نفسه، ص89-96.

[14]() ينظر: نفسه، ص101-104.

[15]() ينظر: نفسه، ص105.

[16]() ينظر: نفسه، ص135.

[17]() ينظر: نفسه، ص141.

تناول قطربا الأساليب الآتية:

- التعجب. [1]
- النداء. [2]
- الاستثناء. [3]
- القسم. [4]
- الجزاء. [5]
- المدح والذم والإغراء. [6]

وقد تناولت ما لقطرب من نظرات في المباحث اللغوية تفصيلاً في كتابي (قطرب النحوي –ت214هـ– رؤية جديدة) ولم أشأ أن أعيد القول.

الخاتمة

أولى اللغويون القرآن الكريم عنايةً واهتمامًا كبيرين، فأفردوا له مصنفات عدة: في (مجازه)، و (غريبه)، و(مشكله)، و(إعرابه)، و(لغاته)، وقد حضرت هذه كلّها في (معاني القرآن) التي تميّزت بهذا من (كتب التفسير) التي تنوعت اتجاهاتها، فاختلفت عما تولت كتب (معاني القرآن) في الكشف عن حسن البيان في النظم، والتأليف، فطفق مؤلفوها في البحث عن ذلك في: المفردات والتراكيب.

ونهضت هذه الورقة في عرض مصطلح (معاني القرآن) على ما وضحه أبو جعفر النحاس(ت338هـ)، ومدى تحققه في (معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه، لقطرب– ت214هـ) فوجدنا مطابقة تامة إلا في أمرين: الأحكام التي هي شأن الأصوليين، وكذلك الناسخ والمنسوخ.

---

[1] () ينظر: نفسه، ص239.

[2] () ينظر: نفسه، ص243.

[3] () ينظر: نفسه، ص247.

[4] () ينظر: نفسه، ص249.

[5] () ينظر: نفسه، ص251.

[6] () ينظر: نفسه، ص252،251.

وأبدى قطرب قدرته اللغوية التي تكونت لديه من شيوخه، ومعارف عصره، فكانت مباحثه: الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية: جملاً وأساليب، لينضمّ إلى معاصريه، وخالفيه في صياغة منهج لـ (معاني القرآن). ولم أشأ ضرب الأمثلة عما وقع عند قطرب في كتابه، فقد استوفيت ذلك في كتابيّ:

*نظرات لغوية في كتب معاني القرآن–استقراء ومنهج الذي طبعته دار الشؤون الثقافية ببغداد، سنة2021م.

*قطرب النحوي –ت214هـ– رؤية جديدة.

ففيهما غناء.

والله أحمد على توفيقه.

المصادر والمراجع

1. إعراب القرآن: أبو جفر النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب/بيروت، ط1، سنة2005م.
2. أنواع التصنيف المتعلقة بتفسير القرآن الكريم: مساعد بن سليمان الطيّار، دار ابن الجوزي/الرياض، ط2، 1423هـ.
3. البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط1، د.ت.
4. البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر/بيروت، ط1، سنة1988م.
5. التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة/القاهرة، ط7، سنة2000م.
6. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق: عماد زكي البارودي، وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية/القاهرة، ط11، سنة2008م.
7. فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير: محمد علي الشوكاني، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة/بيروت.
8. فهرست ابن خير: أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1، سنة1998م.
9. الفهرست: ابن النديم، تحقيق محمد عوني عبدالرؤوف وإيمان السعيد جلال، الهيئة العامة لقصور الثقافة/القاهرة، سنة2006م.
10. قطرب النحوي –ت214هـ– رؤية جديدة: سعيد جاسم الزبيدي، دار كنوز المعرفة/الأردن، ط1، سنة2021م.

11. كتب معاني القرآن حتى نهاية القرن الثالث الهجري –دراسة منهجية: عبدالكاظم محسن الياسري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب/جامعة البصرة، سنة1986م.
12. المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي/بيروت، ط1، سنة2000م.
13. مجاز القرآن: أبوعبيدة، تحقيق: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي/القاهرة، د.ط، سنة1986م.
14. معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، مطبوعات جامعة أم القرى/السعودية، سنة2007م.
15. المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة/بيروت، ط3، سنة2001م.
16. مقدمة تحقيق معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه لقطرب: محمد لقريز، مكتبة الرشد/الرياض، ط1، سنة2020م.

نشأة العلوم العربية

يقدمها الدكتور/ محمد بن سالم بن خلفان المسلمي

سلطنة عمان

أنزل الله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، قال تعالى: (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يوسف/2، وقد نزل القرآن الكريم في عصر ازدهرت فيه اللغة العربية، ولم يكن داخل الألسن شيء مما داخلها بعد ذلك حين اختلط العرب بغيرهم من أبناء البلاد التي اعتنقت الإسلام. ولكنهم ما كانوا سواء في الفهم والذكاء، لذلك كانوا إذا ما أشكل عليهم فهم شيء سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأزال الإشكال ووضح وبيّن أفصح بيان. وتوالت السنون واختلط العرب بغيرهم من الأمم نتيجة الفتوحات، وامتزجت الألسن فبدأت العجمة تتسرب إلى اللسان العربي. وكانت الحاجة إلى ضوابط تقيم اللسان وتحفظه من اللحن لا سيما في قراءة القرآن، وكان من تصدى لهذه الغاية أبو الأسود الدؤلي(ت69هـ).

أدّى نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين إلى أن يتحوطه العلماء منذ بدء الرسالة بالعناية بألفاظه ومعانيه، فكان من ذلك تراث ضخم بدأ بصنيع أبي الأسود الدؤلي(ت69هـ) في نقط الشكل، وذلك عندما أُتي بكاتب من عبد القيس، فلم يرضه، فأُتي بآخر قال أبو العباس: أحسبه منهم، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنة، فاجعل مكان النقطة نقطتين فهذا نقط أبي الأسود[1].

كان أبو الأسود الدؤلي أعلم الناس بكلام العرب، قيل إنه كان يجيب في كلّ اللغة[2]. وهو أول من أسس العربية، ونهج سبلها، ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب، وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف، وحروف النصب والرفع والجر والجزم.

وقال أبو الطيب اللغوي(ت351هـ): "واختلف الناس إليه يتعلمون العربية، وفرّع لهم ما كان أصله، فأخذ ذلك عن جماعة. قال أبو حاتم: فتعلم منه ابنه عطاء بن أبي الأسود، ثم يحيى بن يعمر حليف بني ليث- وكان فصيحا عالما بالغريب- ثم ميمون الأقرن، ثم عنبسة ابن معدان المهري"[3].

يروى عن ابن أبي سعد أنه قال: "حدثنا على بن محمد الهاشمي، قال: سمعت أبي يذكر، قال: كان بدء ما وضع أبو الأسود الدؤلي النحو أنه مر به سعد -وكان رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله، وهو يقود فرسه- فقال:

---

[1] ينظر: أخبار النحويين البصريين: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي(ت368هـ)، تحقيق/ طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ مصر، ط1، 1374هـ/ 1955م، ص12.

[2] مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي(ت351هـ)، ص22.

[3] مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي (ت351هـ)، ص24.

مالك يا سعد؟ ألا تركب؟ فقال: فرسي ضالع، فضحك من حضره. قال أبو الأسود: هؤلاء الموالى قد رغبوا في الإسلام ودخلوا فيه، وصاروا لنا إخوة، فلو علمناهم الكلام! فوضع باب الفاعل والمفعول، لم يزد عليه. قال أبي: فزاد في ذلك الكتاب رجل من بني ليث أبوابا، ثم نظر فإذا في كلام العرب مالا يدخل فيه فأقصر عنه، فلما كان عيسى بن عمر قال: أرى أن أضع الكتاب على الأكثر، وأسمّي الأخرى لغات. فهو أول من بلغ غايته في كتاب النحو"[1].

وروى أيضا ابن أبي سعد "عن شبّة عن أبي بكر بن عياش عن عاصم ابن أبي النجود، قال: أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، جاء إلى زياد بالبصرة، فقال: أني أرى العرب قد خالطت هذه الأعجام، وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع العرب كلاما يقيمون به كلامهم؟ قال: لا، فجاء رجل إلى زياد ، فقال أصلح الله الأمير! توفي أبانا وترك بنون. فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! ادع لي أبا الأسود. فقال: ضع للناس الذي كنت نهيتك أن تضع لهم. وقال أبو الاسود: إني أجد للّحن غمرا كغمر اللّحم"[2].

ثم عاصره صنيع عبد الله بن عباس(ت69هـ) في تفسير مفردات القرآن بالشعر وتمثل هذا بسؤالات نافع بن الأزرق وصاحبه. روى محمد القرشي في كتابه جمهرة أشعار العرب فقال: قدم نافع بت الأزرق الحروري إلى ابن عباس يسأله عن القرآن، فقال ابن عباس: يا نافع؛ القرآن كلام الله عزّ وجل، خاطب به العرب بلفظها على لسان أفصحها؛ فمن زعم أن في القرآن غير العربية فقد افترى؛ قال تعالى: (قرآنا عربيا غير ذي عوج) الشعراء/195. وقال: (بلسان عربي مبين) إبراهيم/4، وقد علمنا أن اللسان لسان محمد صلى الله عليه وسلم"[3].

ومن المسائل التي سألها ابن نافع لابن عباس: "قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل: (بنين وحفدة) النحل72. قال: أما بنوك فإنهم يعاطونك ويكفونك، وأما حفدتك فإنهم خدمك. قال: وهل العرب تعرف ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت قول أمية بن أبي الصلت الثقفي حيث يقول:

حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمّة الأجمال[4]"

وبعد ابن عباس جاء عبد الله بن أبي إسحاق(ت117هـ)، فقد كان عبد الله أعلم أهل البصرة، وأعقلهم، ففرّع النحو وقاسه، وتكلّم في الهمز عمل فيه كتابا مما أملاه، وكان رئيس الناس وواحدهم[5]. وقد أبدى ملاحظات نحوية على أبيات الفرزدق، ذكرها ابن سلام الجمحي، في مديح يزيد بن عبد الملك "قال الفرزدق:

---

[1] طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(ت379هـ)، ص23.

[2] نفسه، ص22.

[3] جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق/ علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ب ت، ص11-12.

[4] مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن العباس من طريقين رواية أبي بكر أحمد بن جعفر بن محمد بن سالم الختلي(ت365هـ)، ورواية أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف(ت442هـ)، تحقيق/ محمد أحمد الدالي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط1، 1413هـ/ 1993م، ص39.

[5] ينظر: نفسه، ص25. وينظر: طبقات الشعراء: ابن سلام الجمحي، ص16-17.

مستقبلين شمال الشأم تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائمنا يلقى وأرحلنـا على زواحف تزجى مخّها ريرِ

قال ابن أبي إسحاق: أسأت، إنما هي ريرُ، وكذلك قياس النحو في هذا الموضع. قال يونس: والذي قال حسن جائز. فلما ألحوا على الفرزدق قال: على زواحف نزجيها محاسير. قال: ثم ترك الناس هذا ورجعوا إلى القول الأول. وكان يكثر الرد على الفرزدق، فقال فيه الفرزدق:

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

ردّ الياء الى الأصل"[1].

ثم تلاه عيسى بن عمر(ت149هـ)، ويقال: "وضع عيسى بن عمر في النحو كتابين: سمى أحدهما: الجامع، والآخر: المكمل، فقال الخليل:

بطل النحو جميعا كلّـه غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامـع فهما للناس شمس وقمـــر"[2].

وإن عيسى بن عمر صاحب تقعير في كلامه واستعمال الغريب فيه وفي قراءته.. قال أبو حاتم، قال الأصمعي: كان عيسى لا يدع الإعراب لشيء"[3]. روى عنه سيبويه في كتابه اثنتين وعشرين مرة[4].

إن الرواية تتداولها كتب السير والتراجم، ولم نقف على نص من هذين الكتابين مما يجعلنا نشكك في صحتها وقد أشار لهذا الرأي مهدي المخزومي في كتابه الخليل بن أحمد الفراهيدي[5].

وجاء بعده أبو عمرو بن العلاء(ت154هـ)، بصري، كان أوسع علما بكلام العرب ولغاتها وغريبها من عبد الله بن أبي إسحاق".. وكان أبو عمرو يسلّم للعرب ولا يطعن عليها، وفي أبي عمرو يقول الفرزدق:

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمّار"[6].

وقال "ابن أبي سعد: قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عمّا وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ قال: أعمل

---

[1] طبقات الشعراء: ابن سلام الجمحي، ص16-17.

[2] طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(ت379هـ)، ص23.

[3] نفسه، ص41.

[4] ينظر: سيبويه إمام النحاة: علي النجدي ناصف، ص91.

[5] الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: مهدي المخزومي، مطبعة الزهراء/ بغداد، ط1، 1960م، ص54.

[6] عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي (ت351هـ): مراتب النحويين، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية/ صيدا- بيروت، ط2، 1430هـ/2009م، ص27. وينظر: طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(ت379هـ)، ص35.

على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات"[1]. وقال الخليل(ت170هـ): "فكان عبد الله يقدّم على أبي عمرو في النحو، وأبو عمرو يقدّم عليه في اللغة"[2]. وقال أبو حاتم: "حدّثني الأصمعي قال: حدّثني شعبة قال: كنت أختلف إلى ابن أبي عقرب، فأسأله أنا عن الفقه، ويسأله أبو عمرو عن العربية"[3].

حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، استخرج العروض، واستنبط منه ومن علله ما لم يستخرج أحد، ولم يسبق إلى مثله سابق من العلماء كلهم[4]. كان الخليل أعلم الناس وأذكاهم، وأفضل الناس وأتقاهم.. لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد، ولا أجمع.. وقيل: الخليل أذكى العرب، ومفتاح العلوم ومصرّفها.. وكان أزهد الناس، وأعلاهم نفسا، وأشدهم تعففا، ولقد كان الملوك يقصدونه ويتعرضون له لينال منهم، ولم يكن يفعل ذلك"[5]. "وأبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى بكتاب العين، فإنه هو الذي رتب أبوابه"[6].

لقد نظر الخليل في اللغة، وأخذها عن أبي الخطاب الأخفش الأكبر(ت177هـ)، وعن فصحاء العرب كأبي خيرة، وأبي الدّقيش، وعن الأعراب في بوادي نجد والحجاز، وتهامة، خلال حجاته[7]. "وتابع الخليل أيضا الكسائي (أبو الحسن علي بن حمزة ت189هـ)، الذي خرج إلى البصرة، فلقي الخليل، وجلس في حلقته، فقال رجل من الأعراب: تركت أسدا وتميما، وعندهما الفصاحة، وجئت إلى البصرة! وقال الكسائي للخليل: من أين علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة"[8].

قال المخزومي: "أزعم أن الخليل هو أول نحوي عني بدراسة النحو دراسة علمية منظمة، وأول من نهج الطريق لعلماء النحو أن يدرسوا النحو على أنه مجموعة من القواعد والأصول العامة، وقبله كان النحو خطرات لغوية

---

[1] طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(ت379هـ)، ص39.

[2] مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي(ت351هـ)، ص27. وينظر: طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(ت379هـ)، ص35

[3] طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(ت379هـ)، ص37.

[4] ينظر: طبقات الشعراء: ابن سلام الجمحي، 22/1.

[5] مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي(ت351هـ)، ص45-46.

[6] نفسه، ص47.

[7] الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: مهدي المخزومي، ص55-56. وينظر: من اشكاليات العربية المصطلح النحوي- رواية اللغة: سعيد جاسم الزبيدي، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط1، 1434هـ/ 2013م، ص111.

[8] نزهة الألباء في طبقات الأدباء: أبو البركات ابن الأنباري(ت577هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية/ صيدا-بيروت، ط1، 2003م، ص67. وينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: مهدي المخزومي، ص55-56. ومن اشكاليات العربية المصطلح النحوي- رواية اللغة: سعيد الزبيدي، ص112.

توحي بها السليقة، ومجموعة من المسائل يتناولها الدارسون على أنها جزئيات مستقل بعضها عن بعض، دون أن يلتفتوا إلى الرباط العام الذي ينتظم المسائل، اللهم إلا محاولات أولية قام بها نحاة قبل الخليل، كعبد الله بن أبي إسحاق وعيسى بن عمر، ومن هنا أزعم أيضا أن الخليل هو واضع علم النحو، بمعنى أنه واضع المنهج لدراسته دراسة علمية منظمة، أو على الأقل هو زعيم المدرسة النحوية القياسية التقعيدية"[1].

وبه تكامل علم العربية الذي جسده كتاب سيبويه فهو من مليات الخليل، لأن الخليل هو الأستاذ الأكبر لسيبويه، وعامة الحكاية في كتابه عنه، وكل ما قال سيبويه: (وسألته)، أو (قال) من غير أن يذكر قائله فهو الخليل، وهذا ما حدا ببعضهم إلى القول عن كتابه: (وعقد أبوبته بلفظه ولفظ الخليل)، روى عن الخليل في كتابه أكثر من 522 مرة"[2].

وكان سيبويه أهم تلميذ للرعيل الأول من أئمة اللغة، ويعد أوّل عالم يوجّه جهوده الذهنية نحو الدرس النحوي بمعناه الواسع، إذا قبل سيبويه لم يكن هناك في الغالب متخصصون في النحو، ولم يكن للدرس النحوي تخطيط معين ولا منهج محدد، كما أنّ معالمه قبل سيبويه لم تكن واضحة.

"ليس من شك في أن سيبويه قد عزل عن النحو كثيرا من القضايا البعيدة عن ميدانه، ومهّد بذلك الطريق للمباحث العربية الخالصة. فكان علما من أعلام النحو العربي، وشخصية من ألمع الشخصيات العالمية، وأقواها أثرا، وأدقها فكرا، وأعمقها عقلا، وأكثرها تجردا للعلم والإبداع. وقد ذاع صيته في الآفاق، ونال من الشهرة ما لم ينله نحوي آخر. ولقي كتابه من العناية والاهتمام مالم يلقه كتاب سواه. فهو أول كتاب في النحو العربي يصل إلينا في صورة تكاد تكون كاملة. فإنه حوى مسائل النحو والصرف، والعلل والأقيسة، وضم أقوال النحويين واللغويين. وهو يقوم على العلم الوثيق، والمعرفة الغنية ويشع منه روح صاحبه، وبراعته في النفاذ إلى أسرار العربية، وقدرته على الاشتراع لها وضبط أصولها، على النحو يعز نظيره في الأولين والآخرين. وهو ما يمثل مرحلة التأليف النحوي التي يبدو فيها التنظيم والشمول. مما جعله أساس دراسة النحو العربي منذ تأليفه في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. فقد تبوّأ مكانه خاصة عند الباحثين قديما وحديثا، وصار مصدرا لكل النحاة، فلا يكاد يفلت واحد من إسار قيده. وقد تحول ما ذكره من قواعد النحو والصرف إلى ما يشبه نجوما قطبية ثابتة، ظل النحاة بعده إلى اليوم يهتدون بأضوائها في مباحثهم ومصنفاتهم. وكان سيبويه استطاع أن يحدد في كتابه لأجيال النحويين على مدى القرون معالم البحث النحوي، ومنهج قضايا النحو"[3].

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: مهدي المخزومي، ص60-61.

[2] ينظر: مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي عبد الواحد بن علي(ت351هـ)، ص27. وأخبار النحويين البصريين: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي(ت368هـ)، ص30. وطبقات النحويين، ص47. و نزهة الألباء: أبو البركات ابن الأنباري(ت577هـ)، ص45 . وإنباه الرواة: القفطي(646هـ)، 376/1. وبغية الوعاة: السيوطي(ت911هـ)، 538/1. وكتاب سيبويه وأثره في نحاة الكوفة حتى القرن الرابع الهجري: طاهر محمد الهمس، دار النوادر/ دمشق، ط1، 1435هـ/ 2014م، ص21.

[3] كتاب سيبويه وأثره في نحاة الكوفة حتى القرن الرابع الهجري: طاهر محمد الهمس، ص7-8.

يؤرخ الخلاف النحوي بين البصرين والكوفيين في أمرين:

الأول: سؤال الكسائي الخليل من أين علمك هذا؟ وجوابه من بوادي نجد والحجاز وتهامة[1]، والثاني: مسألة نحوية تطبيقية وهي ما تعارف عليها بالمسألة الزنبورية التي مفادها:

المسألة الزنبورية:

فرض الكسائي والكوفيون من ورائه هيمنتهم على قصر الرشيد وقصور وزرائه، ويبلغ الصراع قمته في: (المسألة الزنبورية)، لقد حيكت بدهاء للإيقاع بسيبويه من قبل الوزير يحيى بن خالد البرمكي بعد أن عرف الرشيد جلية الأمر، وعين لذلك يوما في دار الرشيد، فلما حضر سيبويه أولاً، لم يسلم من مضايقة الفرّاء والأحمر تلميذي الكسائي فسألاه وخطآه في الإجابة، وأغلظا له في القول، فقال لهما: لست أكلمكما حتى يحضر صاحبكما. ولمّا جاء الكسائي، وغصّت الدار بالحضور على مشهد من يحيى وابنه جعفر، بدأ الكسائي الحديث، وقال لسيبويه: تسألني أو أسألك؟ فقال سيبويه: سل أنت، فقال له: هل يقال كنت أظن أنّ العقرب أشُد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو يقال مع ذلك فإذا هي إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب، فسأله عن أمثال ذلك نحو: خرجتُ فإذا عبد الله القائمُ أو القائمَ، فقال: كلّه بالرفع، فقال الكسائي: العرب ترفع ذلك وتنصبه، واحتدم الخلاف بينهما طويلاً، فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هؤلاء العرب ببابك وفدت عليك من كل صقع، وقد قنع بهم أهل المصرين (أهل البصرة وأهل الكوفة) يحضرون ويسألون، فقال يحيى قد أنصفت، واستدعاهم، فتابعوا الكسائي، وقالوا بقوله، فأقبل الكسائي على سيبويه، وقال له: قد تسمع أيها الرجل! فاستكان سيبويه عند ذلك وانقبض خاطره، فقال الكسائي ليحيى: أصلح الله الوزير، إنه قدم إليك راغباً فإن أردت أن لا ترده خائبا، فرقّ له يحيى وجبر كسره، إذ أمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصيّر وجهه إلى فارس فأقام هناك حتى مات ولم يعد إلى البصرة[2].

رواية البصريين: فإذا هو هي ولا يجوز النصب، ورواية الكوفيين فإذا هو إياها.

ومدّد هذا إلى اختلاف المنطلق في رواية اللغة من القبائل التي تشدد البصريون في الأخذ عنها، ووسع الكوفيون دائرة الأخذ من غيرها. وأعقب هذين الأمرين ما لعبت به إما السياسة أو التنافس العلمي بين المذهبين مما أضاف إلى العربية زوايا نظر جديدة يعدها الباحث ثراء في اتجاهات التفكير النحوي.

وقد يترشح من هذا الخلاف مصطلحات ومتعددة ومسائل خلافية في الصرف والنحو واللغة مما أثقل على متعلم العربية وتعسر عليه أي الطريقين يسلك في علم العربية فوجدوا أن البصريين تميزوا من غيرهم في تأليف كتب تمخضت للنحو وتعليمه. بدأ بالمقتضب للمبرد(ت285هـ)، إلى آخر قرون كتب النحو التي ختمت بالشروح

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه: مهدي المخزومي، ص55-56. وينظر: من اشكاليات العربية المصطلح النحوي- رواية اللغة: سعيد الزبيدي، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط1، 1434هـ/ 2013م، ص111.

[2] طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي(ت379هـ)، ص41. وينظر: كتاب سيبويه وشروحه: خديجة الحديثي، مطابع دار التضامن/ بغداد، ط1، 1386هـ/1967م، ص50-51.

والحواشي والتعليقات والمنظومات، أما عند الكوفيين فليس لهم كتاب تمحض للنحو، بل انطلقوا من النصوص في شحنها بآرائهم ومصطلحاتهم ومسائلهم التي وجدنا فيها خلافا كثيرا كما في كتبهم: كتب معاني القرآن مثل: معاني القرآن للفراء(ت207هـ)، ومعاني القرآن لثعلب(ت291هـ)، ومعاني القرآن واعرابه لابن كيسان(ت299هـ)، ومعاني القرآن واعرابه للزجاج(ت311هـ)، ومعاني القرآن للأخفش(ت215هـ)، وشروح المعلقات مثل: وشرح *القصائد* السبع لابن كيسان(ت299هـ)، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري(ت328هـ)، وشروح الدواوين مثل: شرح ديوان زهير لأبي العباس ثعلب(ت291هـ)، وشرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت(ت244هـ)، وشرح الفصيح لابن خالويه(ت370هـ)، وشرح ابن جني(ت392هـ) لديوان المتنبي المسمى بالفسر، وشرح العكبري(ت616هـ) لديوان المتنبي.

دراسة اللغة على وفق مستوياتها الخمسة: الصوت، والصرف، والمعجم، والنحو والدلالة، كلها تمثلت في كتاب سيبويه على غير ترتيب منهجي. وأول من فصل الصرف عن النحو هو أبو عثمان المازني(ت249هـ)، ويعد أول كتاب مستقل في الصرف، جمع فيه المازني مباحث التّصريف على نحو مستقل، مستعينا بكثير من آراء الخليل وسيبويه والأخفش، الذي استمد مادته الصرفية من الأصول النظرية التي بنى عليه العلماء الأوائل مادّتهم الصرفية فمهّد الطريق لما بعده، أن ينتهجوا نهجه في تأليف كتب مستقلة في الصرف، ويتبنّوا كثيرا من آرائه المستقلة وأقيسته الخاصة[1]. إن تبويب سيبويه أوحى إلى إمكانية عزل بعض الأبواب الخاصة بالبنية، إذ أخذ المازني(ت249هـ) من كتاب سيبويه هذه الأبواب وعرضها وحدها في كتاب التصريف، ويقول عن التصريف: "والتصريف إنما ينبغي أن ينظر فيه من قد نقّب في العربية، فإن فيه إشكالا وصعوبة على من ركبه غير ناظر في غيره من النحو"[2].

وتجرّدت كتب في الصرف لعل أوّلها كتاب المازني. وتفرعت من كتب الصرف كتب تجرّدت بموضوعات صرفية مثل: التصاريف: ليحيى بن سلّام(ت200هـ)، والمقصور والممدود، والتذكير والتأنيث للفراء(ت207هـ)، والمقصور والممدود لابن السكيت(ت244هـ)، والمذكر والمؤنث للسجستاني(ت255هـ)، والمذكر والمؤنث للمبرد(286هـ)، والاشتقاق لابن السراج(ت316هـ)، وشرح المقصور والممدود وكتاب الاشتقاق لابن دريد(ت321هـ)، والجموع. وقد نقل ابن جني من مسائل الصرف ما يخص الأصوات، فكان كتاب سرّ صناعة الإعراب من أبرز الكتب التي عنيت بالمستوى الصوتي.

---

[1] ينظر: أثر المازني فيما جاء بعده، سامي عوض وصفوان سلوم، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد27، العدد2، 2005م، وأبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة سلمان العظمي، بغداد، 1969م، وموضوعات الصرف بين القدامى والمحدثين دراسة موازنة: عائدة بنت سليم العبرية، جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير.

[2] المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني: أبو الفتح عثمان بن جني النحوي، تحقيق/ ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي حلبي وأولاده/ مصر، ط1، 1379هـ/1960م، 340/2.

لا يعد الباحثين كتاب سيبويه كتابا في النحو التعليمي، لأنه يتضمن نظرية النحو العربي بمفهومه الواسع، ولكن المقتضب يشكل الحلقة الأولى في كتب النحو التعليمي على ما فيه من مسائل، أو ما وجّه إليه من نقد، ثم توالى التأليف في كتب النحو التعليمي مثل: الأصول في النحو لابن السراج(ت316هـ)، ، وكتب أبي علي الفارسي(ت377هـ)، والمفصل في صنعة الإعراب للزمخشري(ت538هـ)، وأعقب ذلك مرحلة كتب الشروح.

تفرع من كتب النحو كتب معاني الحروف، مثل: رسالة في الحروف العربية للنضر بن شميل المازني(204هـ)، والحروف التي يتكلم بها في غير موضعها لابن السكيت(ت244هـ)، ومنازل الحروف للرماني(ت384هـ)، والحروف لابي الحسن علي بن الفضل المزني النحوي، موضوعات مستقلة مثل: الاستغناء في أحكام الاستثناء لشهاب الدين القرافي(ت682هـ)، ثم آل التأليف في الحروف أن عُني بعض العلماء بتأليف كتب حرف واحد، مثل: كتاب اللامات للزجاجي(337هـ)، وكتاب الألفات لابن خالويه(ت370هـ)، ومقالة كلا لابن فارس(ت395هـ)، كتاب اللامات للهروي(ت415هـ)، وكلا وبلى لأبي طالب القيسي(ت437هـ).

أما مستوى الدلالة فقد عني به النحاة من خلال كتبهم أو الشروح عامة، لكنها انفردت بذكر مصطلح (معاني) منها: معاني القرآن، مثل: معاني القرآن للأخفش(ت215هـ)، ومعاني القرآن لأبي جعفر النحاس(ت338هـ)، ومعاني الشعر، مثل: الأمثال السائرة في شعر المتنبي للصاحب بن عباد القزويني(ت385هـ)، وأبيات الاستشهاد لابن فارس(ت395هـ)، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري(ت395هـ)، ومعاني الحروف، مثل: كتاب الحروف للخليل بن أحمد(ت175هـ)، ورسالة في الحروف العربية للنضر بن شميل المازني(ت204هـ)، والحروف التي يتكلم بها في غير موضعها لابن السكيت(ت244هـ)، وحروف المعاني للزجاجي(ت340هـ).

وقد حضيت الحقول الدلالية عناية العلماء، وإن كان هذا المصطلح متأخرا إلا أنه من الناحية التطبيقية توافر عليه بعض الأعلام، ومنهم: ابن السكيت(ت244هـ): كتاب الألفاظ، وابن فارس(ت395هـ): متخيّر الألفاظ، والثعالبي(ت429هـ): فقه اللغة وسر العربية، وابن سيده(ت458هـ): المخصص. وظهر حديثا كتاب إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، وكمال بشر: دور الكلمة في اللغة، ومراد كامل: دلالة الألفاظ العربية وتطورها.

وقد تنوعت اهتمامات العرب بعلم الدلالة فشملت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية، مثل: ابن فارس(ت395هـ)، في مقاييس اللغة، إذ ربط المعاني بين الأصل والفرع المجازية، والزمخشري(ت538هـ)، في أساس البلاغة، إذ فرق بين المعاني الحقيقية والمعاني الجزئية، وابن جني(ت392هـ) ربط تقليبات المادة الممكنة بمعنى واحد، وهناك بحوث دلالية كثيرة مثل: المقاييس لابن فارس(ت395هـ)، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس(ت395هـ)، والخصائص لابن جني(ت392هـ)، والمزهر للسيوطي(ت911هـ). وكان للأصوليين أبواب للدلالات في كتبهم مثل: دلالة اللفظ ودلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، بالإضافة إلى الدراسات والإشارات الكثيرة في الدلالة على المعنى، وكذلك اهتمامات البلاغيين في دراسة الحقيقة والمجاز ودراسات الأساليب، وفي نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)[1].

---

[1] ينظر: علم الدّلالة: أحمد محمد مختار، عالم الكتب/ القاهرة، ط6، 1427هـ/2005م، ص20-21.

إن البدايات الأولى للدرس اللغوي ارتبطت بالدين في مختلف أماكن العالم، كالهنود والصينيين واليونان واللغة العبرية وغيرها، لذا نجد الدوافع نفسها عن العرب، فقد بدأ البحث اللغوي بشكل جمع للمادة اللغوية أو ما يعرف بمتن اللغة، وأن يسبق ذلك الدرس النحوي سواء بالمشافهة والحفظ، أو بدون منهج معين في ترتيب المادة المجموعة، أو تبويبها[1]، أو يدونون حيثما اتفق من غير ترتيب[2].

كان البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة، مثل: تسجيل معاني غريب القرآن الكريم، والحديث عن مجاز القرآن، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، وأيضا إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ[3].

أما المستوى الصوتي فإن اللغويون العرب تناولوه بطريقة مختلطة مع غيره من فروع اللغة العربية، فلم يعالج مستقلا، فالنحاة خصصوا بعض الأبواب في كتبهم لهذه الدراسة الصوتية، وإنها كانت تمهيدا لغيرها من المقاصد، كالحديث عن الإدغام أو الإعلال والإبدال، فهذا سيبويه يعالج الإدغام في نهاية الكتاب، ومن قبلها عالج الأصوات، المستحسنة وغير المستحسنة، ونجد المبرد يتناول الإدغام في الجزء الأول من المقتضب، ومهد له بدراسة الأصوات ومخارجها، وكذلك الزجاج في الجمل تحدث عن الإدغام وسبقه بالأفكار الصوتية، والزمخشري في المفصل على المنهج نفسه[4].

وتناول أصحاب المعاجم بعض المشكلات الصوتية سواء في مقدمات معاجمهم أو في ثنياها، وقد رتب الخليل كتابه العين ترتيبا صوتيا، بنظام التقليبات، ومثله: الجمهرة لابن دريد، فنجد عند الخليل الترتيب الصوتي للحروف، ومخارجها، والتفصيل في الحروف وأصواتها، والجمهرة تناولت نفس المنهج وبطريقة أكثر تفصيلا[5]، وتحدث علماء التجويد والقراءات القرانية، فهي تعتمد على جودة الصوت وتحسينه، وتناولت كتب إعجاز القرآن وعلوم البلاغة الأصوات وما يتعلق بتنافر الأصوات وتآلفها، مثل كتاب النكت في أعجاز القرآن للرماني، ثم جاء ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة والباقلاني في إعجاز القرآن، والجاحظ في البيان والتبيين[6]، ويعد ابن جني في سر صناعة الإعراب أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل، وبأنه علم مستقل بذاته، اذ تناول عدد الحروف وترتيبها ومخارجها، وصفات الأصوات، وما يصيب الكلمة من تغيير بسبب الإعلال والإبدال والإدغام

---

[1] ينظر: البحث اللغوي عن العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب/ القاهرة، ط9، 2010م، ص80-81.

[2] ينظر: ضحى الإسلام: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة/ القاهرة، ب ط، 2012م، 302/1.

[3] علم الدّلالة: أحمد محمد مختار، ص20.

[4] ينظر: البحث اللغوي عن العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر، ص93-94.

[5] نفسه، ص93-94.

[6] ينظر: البحث اللغوي عن العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر: أحمد مختار عمر، ص99.

والنقل والحذف، وغيرها[1]، إلى أن جاء السيد الرئيس ابن سينا الفيلسوف المشهور في رسالته أسباب حدوث الحروف فقد كانت دراسة صوتية بحته[2].

وتعد بحوث علماء العرب القدامى في الأصوات اللغوية جليلة القدر، من زمنهم إلى الزمن الحديث، وذلك بشهادة عالمان غربيان كبيران أمثال براجشترا الألماني بقوله: (لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند.. والعرب)، وقول جون روبرت فيرث(John Rupert ***Firth***) الإنجليزي: (إن علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستي

[1] ينظر: نفسه، ص93-95.

[2] ينظر: نفسه، ص101.

المربد من روافد اللغة

د. عبدالله بن مبارك السعدي

وزارة التربية والتعليم – سلطنة عمان

الملخص

تناولت هذه الورقةُ سـوقَ المربدِ اللغوي كونُه من روافدَ اللغة، إذ كان قبلةً للأعرابِ والشـعراءِ واللغويين، يأتي إليه الأعرابُ رغبةً في القولِ والإنشـادِ، ويعقدُ فيه الشـعراءُ حلقاتٍ للمفاخراتِ وللمناظراتِ والمنافراتِ والمناقضـاتِ واستعراضِ طاقاتِهم وإمكاناتِهم الأدبية، كما يخرج إليه العلماءُ وطلابُهم يلتقطون الكلمَ الصـحيحَ ومخارجَ الحروف وطرقَ الأداءِ وسلامةَ الإعراب.

جاءت الورقة البحثية في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المربد لغة ومكاناً.

المبحث الثاني: جمهور المربد.

المبحث الثالث: مباحث اللغة.

الكلمات المفتاحية:

- المربد.
- الأعراب.
- رواية اللغة.

Summary

This paper deals with the language market of Al-Marbad because it is one of the tributaries of the language, as it was a destination for the Bedouins, poets and linguists, the Bedouins came to it with a desire to say and chant, and poets held circles in it for bragging, debates, quarrels and contradictions, displaying their energies and literary potential, as scholars and their students came out to it picking up the correct words and the exits of letters and ways Performance and safety of parsing.

The research paper came in three sections:

The first topic: Al-Mirbid language and place.

The second topic: the audience of Al-Mirbad.

The third topic: Language studies.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلّق العربُ بلغتهم وجعلوا صدورَهم أوعيةً لها وتوارثُوها في الأعقابِ تمجيداً لقبائِلهم وإحياءً لعصبيتِهم، فظلّتُ الآثارُ الأدبيةُ تحملُ ألفاظَ العربيةِ وتراكيبَها وطريقةَ القولِ عند أصحابِها حتى دعت الحاجةُ إلى صياغةِ ضوابطَ لها.

ومن دواعي روايةِ اللغةِ عن العربِ التفسيرُ اللغويُ للقرآن الكريم والتفافُ الناسِ حولَهُ حفظاً وتدبّراً وتفسيراً، فمسّت الحاجةُ إلى تفسيره لغوياً، يعودون فيما أشكل عليهم من ألفاظِه إلى آثارِهم الأدبية[1].

بدأت روايةُ اللغةِ وظهر اللغويون في بداية القرن الثاني الهجري، ولم يقبل اللغويون إلا ما يصدرُ عن عربي خالصِ العروبةِ يأخذون عنه اللغةَ الصحيحةَ الموثوقة[2].

وكان لحلقاتِ العلمِ في المساجد نصيبٌ من روايةِ اللغةِ فنشأت أولَ ما نشأت على أيدي القراءِ والمفسرين، ففي قصةِ ابنِ عباس(ت68هـ) وسؤالاتِه المشهورة لنافعِ بن الأزرق(ت65هـ) دليلٌ على دور حلقاتِ العلمِ في رفدِ اللغةِ واتساعِها[3].

لم تكن الأسواقُ أقلَّ أهمية من حلقات المساجد، فهذا سوقُ المربدِ يأتي إليه الأعرابُ رغبةً في القولِ والإنشادِ، وكان العلماءُ وطلابُهم يخرجون إلى المربدِ يلتقطون الكلم الصحيحَ من أفواههم، " ولم يكن تحصيلُ المفردات وحدها، ولا العلمُ بالغريب وحده، ولا السعيُ في تدوينه كلَّ ما يصيبُ الطالبُ من المربد، بل كان عليه أن يلحظَ مخارجَ الحروفِ وطرقَ الأداءِ وسلامةَ الإعراب"[4].

وتجيب هذه الورقة عن الأسئلة الآتية:

- كيف أصبح سوقُ المربدِ رافداً لغوياً؟
- ما دوُر الروايةِ في خدمةِ اللغةِ العربية؟

---

(1) ينظر: مصادر اللغة: عبدالحميد الشلقاني، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان/ طرابلس،ط2، سنة 1982م، ص29.

(2) ينظر: الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان/ طرابلس، ط2، سنة 1982م، ص68-69.

(3) ينظر: رواية اللغة: عبدالحميد الشلقاني، دار المعارف/ مصر، د.ط، سنة 1971م، ص55.

(4) رواية اللغة: عبدالحميد الشلقاني، ص69-70.

– كيف يمكنُنَا تصنيفَ المباحثِ اللغويةِ التي استقاها اللغويون من الأعراب؟

وجاءت خطة البحث على الوجه الآتي:

– المبحث الأول: المربد لغة ومكاناً.

– المبحث الثاني: جمهور المربد.

– المبحث الثالث: مباحث اللغة.

المبحث

الأول: المربد لغة ومكاناً:

تطوّر مفهومُ المِرْبَدِ من دلالته على " ...كُلُّ موضـــعٍ للإبِل، و... شِـــبهُ حُجْرةٍ في كُلِّ دارٍ مما يلي المَرافِق بمنزلة الدار المُســـتديرة، ومثلُ المُتَوَضَّـــأ وبئر الماء. و... الذي يُجْعَلُ فيه التَّمْرُ عند الجَدادِ ليَيبَسَ"[1]، إذ كان سوقاً للإبل منذ الجاهلية حتى صَدْرِ الإسلام ثم تطورَ ليصبحَ " مُتَّسَعٌ بالبَصرة كان موقِفَ العَرَب ومُتَحَدَّثَهم"[2] يخرج إليه الناسُ كلَ يوم، كلٌّ إلى فريقه وحلقتِه وشاعره، " وتتعدد فيه الحلقاتُ يتوسطُها الشعراءُ والرجازُ ويؤمُها الأشرافُ، وسائرُ الناس يتناشدون ويتفاخرون ويتهاجون ويتشاورون"[3].

وضَـبْطُه " المِرْبَدُ: بالكسر ثم السكون، وفتحِ الباء الموحدة ودالٍ مهملة، وهذا اسمُ موضـعٍ هكذا وليس بجار على فعل"[4]. " ومربد البصرة اليوم كالبلدةِ المنفردةِ عنها، وبينهما ثلاثةُ أميالٍ كانت متصلةً بها فخرُب ما بينهما فصارت منفردةً في وسط البرّيّة"[5].

يختصُّ المربدُ بنتاج علمي محضٍ وهو المشـــافهةُ إذ لم يكن له في عكاظَ من أثر، كونُه " أرفدَ اللغةَ بمادةٍ كثيرة، عليها أسّس النحاةُ قواعدَهم وأصلحوها، وذلك بما كانوا يقصدون له فصحاءَ الأعراب يسألونهم فيما فيه يختلفون، ويأخذون عنهم مستفيدين ومتعلمين"[6].

المبحث الثاني: جمهور المربد:

أولاً: الأعراب:

---

(1) كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت، 31/8.

(2) نفسه، 31/8.

(3) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: سعيد االأفغاني، المطبعة الهاشمية/ دمشق، سنة 1937م، ص 357. وينظر:

– سوق المربد وآثاره: محمود حسن زيني، دار نشر سيبويه للكتب العربية والإلكترونية/ مكة المكرمة، ط1، سنة 1429هـ، ص4.

(4) معجم البلدان: ياقوت الحموي(ت626هـ)، دار صادر/ بيروت، د.ط، د.ت، 97/5.

(5) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع: صفي الدين القطيعي(ت739هـ)، دار الجيل/ بيروت، ط1، سنة 1412هـ، 1252/3.

(6) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: سعيد الأفغاني، ص360–361.

يُعدّ كلامُ الأعرابِ رافداً ضخماً للغة العربية، وهو أنقى الروافد بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف " إذا أدركه التوثيقُ وسلمَ من شوب الرواية"[1]. يقول الجاحظ(ت255هـ) في شأن كلامِهم وهو أحدُ الذين شافهوا الأعراب في سوق المربد: " ليس في الأرض كلامٌ هو أمتعُ ولا آنقُ ولا ألذُّ في الأسماع ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتقُ للسان، ولا أجودُ تقويماً للبيان من طولِ استماعِ حديثِ الأعرابِ العقلاءِ الفصحاء..."[2].

قصد اللغويون الأعرابَ لمشافهتهم وأخذِ كلامِ العربِ منهم، وأحسَّ الأعرابُ بحاجة اللغويين إليهم فذهبوا إلى سوقِ المربدِ يعرضون بضاعتَهم من اللغةِ والشعرِ هناك، وفيما يأتي ذكرُ أسمائِهم وشيءٍ من أخبارهم:

* ابن داود بن متمم بن نويرة:

قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة[3].

* أبو الجاموس ثور:

كان يفد على آل سليمان ابن علي وتعلم ابن المقفع الفصاحة منه [4].

* أبو الحدرجان:

" جاء في النوادر قال أبو زيد: قال أبو الحِدرِجان... قال أبو الحسن الأخفش: هكذا وقع في كتابي، وحفظي الحُدْرجان. وهو مأخوذ من الحدرجة وهي شدّة الليّ والفتل"[5].

* أبو الحصين الهجمي:

ذكره صاحب الفهرست وصاحب إنباه الرواة بدون ترجمة[6].

* أبو الخطاب عمرو بن عامر البهدلي:

كان راجزاً فصيحاً أخذ عنه الأصمعي ووثقه وروى شعره وجعله حجة[7].

* أبو الدقيش:

من قدماء رواة البصرة، روى عنه الخليل كثيراً في كتاب العين، وسأله يونس ما الدقيش؟ فقال: لا أدري إنما هي أسماء نسمعها فنتسمى بها[8].

* أبو الصعق العدوي:

---

(1) مصادر اللغة: عبدالحميد الشلقاني، ص455.

(2) البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ط7، سنة 1998م، 145/1.

(3) يظر: طبقات فحول الشعراء: ابن سلّام الجمحي(ت232هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني/ جدّة، د.ط، د.ت، 47/1. وينظر: رواية اللغة: عبدالحميد الشلقاني، ص70.

(4) ينظر: الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، ص76.

(5) الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، ص185-186.

(6) ينظر: نفسه، ص186.

(7) ينظر: نفسه، ص75.

(8) ينظر: نفسه، ص187-188.

هكذا ورد اسمه في الفهرست، وفي إنباه الرواة أبو الصقر العدوي[1].

* أبو الصفر الكلابي:

ذكره صاحب الفهرست بدون ترجمة[2].

* أبو العذافر الكندي:

ذكره الأصمعي(ت216هـ) ضمن من قابلهم من الأعراب والشعراء وأبناء الشعراء[3].

* أبو الكلس النمري

توجد ثلاثة أسماء متشابهة : أبو الكلس النمري، أبو الكبش الباهلي، أبو الكيش النميري[4].

* أبو المفضل العنبري

" صورة أعرابية، لا يعرف اصطلاحات الحضر، قال يوماً لعلي بن بشير: إني التقطت كتاباً من الطريق، فأنبأت أن فيه شعراً أفتريده حتى آتيك به؟ قال: نعم إن كان مقيداً. قال: والله ما أدري أمقيد هو أو مغلول"[5].

* أبو الهيثم الأعرابي:

" ذكره ابن النديم والقفطي وأسند إليه ابن منظور عبارات تجل عن الحصر"[6] .

* أبو الوجيه العكلي:

"يتحدث في خصائص البادية وفي صفات السحاب وأحوال الضباب والعقارب والقنافذ"[7].

* أبو ثوابة الأسدي:

" من أعراب البصرة، أخذ عنه الأموي وعن الأخير أخذ أبو عبيدة معمر بن المثنى، قال الأموي: دخلنا على أبي ثوابة فقال: ما جاء بكم؟ ليس عندي طعام مشنق، ولا حديث مونق"[8].

* أبو زيد المازني:

---

(1) ينظر: نفسه، ص197.

(2) ينظر: نفسه، ص70.

(3) ينظر: الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، ص206.

(4) ينظر: نفسه، ص221.

(5) نفسه، ص232-233.

(6) نفسه، ص245.

(7) نفسه، ص74.

(8) الأعراب الرواة، ص183.

" روى عنه محمد بن حبيب"[1].

* أبو سوار الغنوي:

" أخذ عنه أبو عبيدة ومحمد بن سلام الجمحي، وأدركه أبو عثمان المازني وهو غلام"[2].

* أبو صاعد الكلابي:

اسمه يزيد بن محيا، روى عنه ابن السكيت ألوان الأطعمة[3].

* أبو صالح الطائي:

ذكر بدون ترجمة[4].

* أبو ضمضم الكلابي:

"من أوائل الأعراب الذين نزلوا البصرة، كان يصف نفسه بالشيخوخة في عهد الأصمعي"[5].

* أبو طفيلة:

" روى عنه الأصمعي قال: حدثني من رأى مساور بن هند أنه ولد في حرب داحس قبل الإسلام بخمسين عاما"[6].

*أبو عرار:

" أعرابي من بني عجل وكان شاعرا"[7].

* أبو علي اليمامي الرهمي:

" ذكره ابن النديم، وقال: في أيام ابن القاسم الأنباري"[8].

* أبو قرة الكلابي:

ذكره ابن النديم، دون ترجمة[9].

* أبو مسهر:

" روى عنه أبو عطية حرد بن قطن الشكني، وذكره الجاحظ فيمن دافع عن البرص"[10].

---

(1) نفسه، ص191.

(2) نفسه، ص75.

(3) ينظر: نفسه، ص253.

(4) ينظر: نفسه، ص197.

(5) الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، ص74.

(6) نفسه، ص198.

(7) نفسه، ص76.

(8) نفسه، ص212.

(9) ينظر: الفهرست: ابن النديم(ت438هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة/ بيروت، ط2، سنة 1997م، ص70.

(10) ينظر: الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، ص231.

* أبو منيع الكلابي:

" روى عنه أبو عبيدة، ورحل إلى شمال أفريقية وروى عنه أبو الوليد عبدالملك بن قطن المهري"[1].

* أبو مهدية:

" جلس إلى هذا الأعرابي أبو عبيدة والأصـــمعي وكان ممن يحتكم إليهم وخاصـــة إذا تعلق الأمر بلهجة الحجازيين"[2].

* أم الهيثم:

" يقول عنها عمر بن خالد العثماني: قدمت علينا عجوز من بني منقر تســمى أم الهيثم فغابت عنا، فســأل عنها أبو عبيدة... قالت: كنت وحمى بالدكة فشهدت مأدبة فأكلت جبجبة من صفيف هلعة فاعترتني زلخة. فقلنا يا أم الهيثم: أي شيء تقولين؟ فقالت أللناس كلامان؟ والله ما كلمتكم إلا بالعربي الفصيح"[3].

* رداد الكلابي:

" بصري روى عنه أبو زيد"[4].

* العدبس الكناني:

" روى عنه الجاحظ قوله: باضت البهمى (نبت كالشعير) أي سقطت نصالها..."[5].

* غنية أم الحمارس:

غنية أم الهيثم الكلابية، غنية أم الحمارس البكرية، عتبة، هكذا تداخلت هذه الأســماء، وأكثر مروياتها في الأطعمة"[6].

* قريبة أم البهارل:

" صنفت كتاباً في النوادر وآخر في المصادر. كتبهما السكري بخطه"[7].

* مكوزة أبو الغمر:

" العلاء بن بكر بن عبد رب بن مسحل، وهو من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة"[8].)

* المنتجع بن نبهان:

---

(1) الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، ص235.

(2) نفسه، ص72.

(3) نفسه، ص74.

(4) نفسه، ص188.

(5) نفسه، ص206.

(6) الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني ص261.

(7) نفسه، ص263.

(8) نفسه، ص210.

" أكثر الأعراب ذكراً في البصـــرة، يتكلم في اللغـة على لهجـة (تميم) ، روى عنـه أبو عبيـدة وأبو زيـد، والأصمعي"[1].)

* هداب الهجيمي:

" ذكره ابن النديم مع الأعراب الرواة"[2].

ثانياً: الشعراء:

فاقَ المربدُ عكاظاً بعددِ الشـعراءِ والرجّازِ وطلابِ الأدبِ، فأصـبحَ مكاناً مفضّـلاً لمفاخراتِ الشـعراءِ ومجالسِ الخطباءِ، وكثُرَ هذا المحصـولُ من الرجزِ والشـعرِ والنكاتِ الأدبيةِ كثرةً ملأتْ أماتِ كتبِ الأدبِ بأخبارها، فلكلِّ شـاعرٍ حلقتُه، ولكل متهاجين مجلسٌ، ولكلِ قبيلة نادٍ، وشـاعره يذود عنها ويردُ عدوان قريعهِ من القبيلة الثانية، فللعجاجِ ولرؤبةِ حلقةٌ، ولأبي النجمِ العجلي حلقةٌ، ولجرير والفرزدق وراعي الإبل وذي الرمة لكل منهم حلقةٌ، وكذا لغيرهم من الشعراء أمثال: الأخطل والبعيث وأبي نواس وبشّار بن برد وسراقة البارقي وغيرهم كثير[3].

ثالثاً: الخطباء:

كان للخطباءِ حضـورٌ في سـوق المربد فهذا ابنُ الأشـعث يخطبُ الناسَ لما كانت الحرب بينه وبين الحجّاج فيقول: " أيها الناس: إنه لم يبقَ من عدوكم إلا كما يبقى من ذَنَبُ الوزغةِ تضـربُ به يمينًا وشمالًا، فما تلبثُ إلا أن تموت"[4]. وتذكر المصـــادرُ خطبةً أخرى قالها الرياحي في المربد: " يا بني رياح لا تحقروا صـــغيراً تأخذون عنه، فإني أخذتُ من الليث بسـالتَه، ومن الحمار صـبرَه، ومن الخنزير حرصَـه، ومن الغراب حذرَه، ومن الثعلب روغانَه، ومن السنور ضرعَه، ومن القرد حكايتَه، ومن الكلبِ نصرتَه، ومن ابن آوى حذَره، ولقد تعلمت من القمر سيرَ الليل، ومن الشمس ظهورَ الحين بعد الحين"[5].

رابعاً اللغويون:

قصـدَ اللغويون سـوقَ المربد لمشـافهةِ الأعرابِ والروايةِ عنهم والاحتكامِ إليهم، و"كان المربدُ يعجُ بأعلام اللغةِ والأدبِ والشـــعرِ والنحو، معهم محابرُهم ودفاترُهم يكتبون عن فصـــحاءَ الأعرابِ فيه، وهذه الظاهرةُ لم تكن في عكاظَ قط"[6]. وفي طليعة اللغويين الذين شافهوا الأعراب في سوق المربد تطالعنا كتب التراجم[7] بأسماء لامعة

---

(1) نفسه، ص73.

(2) نفسه، ص245.

(3) ينظر: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: سعيد الأفغاني، ص360.

(4) الكامل في اللغة والأدب: المبرد(ت285هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي/ القاهرة، ط3، سنة 1997م، 217/1. وينظر: جهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية/ بيروت، د.ط، د.ت، ص342/2.

(5) مجاني الأدب في حدائق العرب: رزق الله بن يوسف شيخو(ت1346هـ)، مطبعة الآباء اليسوعيين/ بيروت، د.ط، سنة 1913م، 46/2.

(6) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: سعيد الأفغاني، ص359-360.

(7) ينظر مثلاً: إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي(ت646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهي، دار الفكر العربي/ القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت، ط1، سنة 1982م، 31/2، 197، 374، 3/ 276، 136/4.

منهم: عيسى بن عمر(ت149هـ)، أبو عمرو بن العلاء(ت154هـ)، والخليل(ت175هـ)، وسيبويه(ت180هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى(ت210هـ)، وقطرب(ت214هـ)، وأبو زيد الأنصاري(ت214هـ)، والأصمعي(ت216هـ)، والجاحظ(ت255هـ)، وأبو حاتم السجستاني(ت255هـ)، وغيرهم كثير.

ومن صور حرص اللغويين على حضور المربد ومشافهة الأعراب أذكر قصة ذكرها ياقوت الحموي(ت626هـ): " سأل أبو عمرو بن العلاء تلميذه عبدالملك بن قريب الأصمعي، من أين أقبلت يا أصمعي؟ قال: من المربد، قال: هات ما معك؟ يقول الأصمعي: فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي، ومرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فقال له أبو عمرو: شمرت في الغريب يا أصمعي"[1]. ويبيّن ياقوت الحموي(ت626هـ) حرص الجاحظ(ت255هـ) على مشافهة العرب في سوق المربد فيقول: " سمع من أبي عبيدة، والأصمعي... وتلقّن الفصاحة عن العرب شفاهاً بالمربد"[2].

المبحث الثالث: مباحث اللغة:

أولاً: المفردات التي رويت عن الأعراب وأصبحت فيما بعد من الغرائب والنوادر وأفاد منها المعجميون:

- اشتقاق الخيل:

" سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف: فمر أعرابي محرم، فأراد السائل سؤال الأعرابي فقال له أبو عمرو: دعني فأنا ألطف بسؤاله وأعرف، وسأله فقال الأعرابي: اشتاق الاسم من فعل المسمى، فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال: ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل والعجب، ألا تراها تمشي العرضنة خيلاء وتكبرا"[3].

البخدق:

سأل أبو حاتم السجستاني أمّ الهيثم عن نوع من الحب يقال له بالفارسية (اسفيوش) قالت: " أرني منه حبات فأراها فأفكرت ساعة ثم قالت: هذه البخدق، وقال ابن خالويه: البخدق نبت ولم يعرف إلا من أم الهيثم"[4].

- جبجبة – الدكة – زلخة – صفيف – هلعة:

وردت هذه المفردات في قصة الأعرابية أم الهيثم إذ أصابها مرض فعادها أصحاب أبي عبيدة فقالوا لها " يا أم الهيثم كيف تجدينك؟ قالت: كنت وحمى بالدكة (الودك) فشهدت مأدبة فأكلت جبجبة من صفيف هلعة فاعترتني زلخة، فقلنا يا أم الهيثم: أي شيء تقولين فقالت أو للناس كلامان؟ والله ما كلمتكم إلا بالعربي الفصيح"[5].

- (خلل) و(خلال):

---

(1) الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، ص127.

(2) معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط1، سنة 1993م، 2101/5.

(3) رواية اللغة: عبدالحميد الشلقاني، ص71.

(4) نفسه، ص74.

(5) نفسه، ص74.

قال أبو عثمان المازني: " قرأت على أبي وأنا غلام (ترى الودق يخرج من خلاله) فقال أبو سـوار (أعرابي): يخرج من خلله واحتجّ بقول الشاعر:

يشير بغمزة يخرجن منها خروج الودق من خلل السحاب

قال أبو عثمان المازني: خلل وخلال واحد هما مصدران"[1].

- **تصحيح لفظة (الدير):**

" قرئ يوماً على الأصمعي في شعر أبي ذؤيب:

بأسفل ذات الدير أفرد جحشها

قال أعرابي حضر المجلس: ضلّ ضلالك أيها القارئ إنما هي ذات الدبر وهي ثنية عندنا"[2].

- **المتأزف – المتكأكئ – المحبنطي:**

وردت هذه المفردات سؤال أبي زيد لأعرابي عن معنى المتكأكئ:

"كان أبو زيد يلحّ في سـؤال الأعرابي ليعرف مزيداً لمعاني الكلمة الواحدة، وهو يحكي ذلك لأبي حاتم قال: قلت لأحدهم: ما المتكأكئ؟ قال: المتأزف، قال وما المتأزف، قال: المحبنطي؟ قال: وما المحبنطي؟ قال له: أنت أحمق، ومضى"[3].

ثانياً: التراكيب:

كان للتراكيب نصيب من المناقشة والتصحيح في حلقات المربد ومشافهة الأعراب والاحتكام إليهم فمن هذه التراكيب ما وقع من خلاف في ضبط المستثنى في قولهم:

- **ليس الطيب إلا المسكُ – ليس الطيب إلا المسكَ:**

كان الأعرابي المنتجع يمثل لهجة تميم (الرفع)، والأعرابي أبو مهدية يمثل لهجة الحجاز (النصـب)، ومن المواقف التي توثق موقف الرجلين: " يقول الأصـمعي: جاء عيسـى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو... بلغني عنك أنك تجيز (ليس الطيب إلا المسكُ) بالرفع، فقال أبو عمرو... ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصـب وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع، ثم قال أبو عمرو: قم يا يحيى – يعني اليزيدي– وأنت يا خلف – يعني خلفاً الأحمر– فاذهبا إلى أبي المهدي فإنه لا يرفع ، واذهبا إلى المنتجع ولقناه النصـب فإنه لا ينصـب. قال: فذهبا فأتيا أبا المهدي... وقال ما خطبكما... قلنا كيف تقول: ليس الطيب إلا المسكُ؟ فقال: أتأمرانّي بالكذب على كبرة سـني... فقال له خلف الأحمر: ليس الشـراب إلا العسـلُ، فقال: فما يصنع سودان هجر ما لهم شراب غير هذا التمر، قال اليزيدي: فلما رأيت ذلك منه قلت له: ليس ملاك الأمر إلا

---

(1) رواية اللغة: عبدالحميد الشلقاني، 75.

(2) نفسه، ص78.

(3) نفسه، ص71.

طاعةُ الله والعمل بها فقال هذا كلام لا دخل فيه ليس ملاك الأمر إلا طاعةَ الله، فقال اليزيدي: ليس ملاك الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها فقال: ليس هذا لحني ولا لحن قومي، فكتبنا ما سمعنا منه، ثم أتينا المنتجع فأتينا رجلاً يعقل، فقال له خلف: ليس الطيب إلا المسكَ(بالنصب) فلقناه النصب وجهدنا فيه فلم ينصب وأبى إلا الرفع"[1].

- ضبط جمع المؤنث السالم في قولهم: (استأصل الله عرقاتِهم أو عرقاتَهم):

من نتاج الرواية عن الأعراب والاحتكام إليهم يورد الزجّاجي(ت337هـ) قصة في مجلس أبي عمرو بن العلاء(ت154هـ) مع أبي خيرة إذ سأله: " كيف تقول: استأصل الله عرقاتِهم أو عرقاتَهم؟ فقال: استأصل الله عرقاتَهم، فلم يعرفها أبو عمرو وقال: لان جلدك يا أبا خيرة. يقول: أخطأت. قال أبو العباس: وهي لغةٌ لم تبلغ أبا عمرو"[2].

نلحظ مما تقدم الدور الذي قدّمه سوق المربد خدمة للغة العربية إضافة وتصحيحاً.

الخاتمة

التفت اللغويون إلى سوق المربد مبكراً فراحوا يشافهون الأعراب ويحضرون مجالس الشعر ومناظراتِه واضعين نصبَ أعينهم تدوينَ وتصنيفَ ما يسمعون من مفرداتٍ وتراكيب وغريب وغيرها مما يُعنى به اللغوي في ذلك العصر.

وقامت الورقةُ ببيان أهمية سوق المربد ومكانته اللغوية وكيف ساهم في رفد اللغة بمادة لغوية رصينة ساعدت اللغويين في وضع معاجمهم وأسسِ قواعدهم اللغوية.

وتوصل الباحث إلى:

- أهميةِ الأسواقِ الأدبيةِ ودورِها في إغناء الساحةِ اللغوية بما تقدمُهُ من حراكٍ علمي تعليمي مما كان له الأثرُ في تقعيد اللغة: صوتاً وصرفاً وتركيباً ومعجماً ودلالة.

- لم يلتزم اللغويون بمشافهةِ قبائلَ معينةٍ من الأعراب، بل شافهوا كلَّ أعرابي وجدوا فيه فصاحةً لم تتأثر بالتحضر، وهذا يؤكد على أنّ ما أثاره نصُّ الفارابي من التزام مشافهة قبائلَ بعينها أسطورةٌ ووهم[3].

والله الموفق للصواب

---

(1) رواية اللغة: عبدالحميد الشلقاني، ص73.

(2) مجالس العلماء، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي/ القاهرة، دار الرفاعي/ الرياض، ط2، سنة 1983م، ص6.

(3) ينظر للتفصيل: من إشكاليات العربية (المصطلح النحوي – رواية اللغة): سعيد جاسم الزبيدي، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط1، سنة 2013م، ص109-116.

قائمة المصادر والمراجع

- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام: سعيد االأفغاني، المطبعة الهاشمية/ دمشق، سنة 1937م.
- الأعراب الرواة: عبدالحميد الشلقاني، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان/ طرابلس، ط2، سنة 1982م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار الفكر العربي/ القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية/ بيروت، ط1، سنة 1982م.
- البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ط7، سنة 1998م.
- جهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية/ بيروت، د.ط، د.ت.
- رواية اللغة: عبدالحميد الشلقاني، دار المعارف/ مصر، د.ط، سنة 1971م.
- سوق المربد وآثاره: محمود حسن زيني، دار نشر سيبويه للكتب العربية والإلكترونية/ مكة المكرمة، ط1، سنة 1429هـ.
- طبقات فحول الشعراء: ابن سلّام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني/ جدّة، د.ط، د.ت.
- الفهرست: ابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة/ بيروت، ط2، سنة 1997م.
- الكامل في اللغة والأدب: المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضـــل إبراهيم، دار الفكر العربي/ القاهرة، ط3، سنة 1997م.
- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم الســامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- مجالس العلماء، تحقيق: عبدالســـلام محمد هارون، مكتبة الخانجي/ القاهرة، دار الرفاعي/ الرياض، ط2، سنة 1983م.
- مجاني الأدب في حدائق العرب: رزق الله بن يوسف شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين/ بيروت، د.ط، سنة 1913م.
- مراصـد الاطلاع على اسـماء الامكنة والبقاع: صـفي الدين القطيعي، دار الجيل/ بيروت، ط1، سـنة 1412هـ.
- مصـادر اللغة: عبدالحميد الشلقاني، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان/ طرابلس، ط2، سنة 1982م.
- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي/ بيروت، ط1، سنة 1993م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر/ بيروت، د.ط، د.ت.

- من إشـكاليات العربية (المصـطلح النحوي – رواية اللغة): سـعيد جاسـم الزبيدي، دار كنوز المعرفة/ الأردن، ط1، سنة 2013م.

التداخل والتوليد وأنساقهما التداولية الثقافية عند البصريين وغيرهم.

أ.م. د . حسين علي جبار القاصد

الجامعة المستنصرية _ كلية الآداب قسم اللغة العربية

الملخص

كلما تطورت الحياة وظهر فيها مايحتاج لتسميته وفقاً لاستعماله وحاجته ، وأسبابه التداولية ونتائجها ، والعقد الثقافي بين المتكلم والمتلقي ، صار يجب أن تتفق كل هذه الاسباب على لفظة دالة يفهمها المخاطِب والمخاطَب علي حدٍ سواء .

واللغة بحسب المفهوم السوسيري، نظام من الرموز الصوتية المتفق عليها في بيئة لغوية واحدة، وهي حصيلة الاستعمال المتكرر لهذه الرموز ؛ فهي احتياج انساني ولم تحتفظ أية لغة في العالم بألفاظ ثابتة ، من دون أن تتفرع الى لهجات يجمعها خيط المعنى والذريعة التداولية والعقد الثقافي المشترك .

من هنا صار لهذا البحث أن يرصد تداخل اللغة الفصحى مع اللهجة العامية باعتماد المعنى المشترك ومقتضى الحال التداولي ، وقد تفرغ المبحث الأول للخوض في الأمثال الشعبية العراقية وجذورها في اللغة الفصحى ، والوقوف عند المشترك والجديد معاً ؛ بينما اهتم المبحث الثاني بالتداخل الدلالي بين الفصحى والعاميّة ووقف عند نسق الاتكاء لدى شعراء الفصحى على اللهجة العامية تداوليا وثقافيا ؛ حتى وصل إلى ما رآه من نتائج تجيب عن أسئلة هذا البحث .

لقد سعى هذا البحث إلى إعادة ما اندثر وانزوى في المعاجيم من الكلام الفصيح حتى غلب الظن أنه عامّي ، وصارت الناس تتجنبه .

وها أنا أضع ما اجتهدت في مارأيته بين يدي القارئ الكريم ، في محاولة مني لكشف زاوية أهملها البحث العلمي ، وأعني بها الوقوف عند اللهجة والغوص في منابعها في الخطاب الأدبي وأسبابها التداولية والأنساق المضمرة التي دفعت الشعراء للاتكاء عليها .

لقد كانت رحلة ممتعة وأنا أطارد جذور الألفاظ ومعانيها وأصولها في التراث العربي ، لاسيما التراث العباسي لأنه اقرب للهجة العراقيين .

المقدمة

تظهر الحاجة للغة المولدة التي قد تكون في جانب من جوانبها لهجة محلية لها جذور فصيحة لكنها هجنت بعد أن لاكتها الألسن ، او ألفاظ اجنبية دخلت الواقع اليومي وصار التواصل بها لا غنى عنه ، وهو ما حدث في أغلب اللغات ؛ أما في العراق فقد بدأت اللهجة العراقية بألفاظ جديدة منذ الدولة العباسية وعاصمتها بغداد ، حيث شقت بعض الألفاظ طريقها إلى الشعر لتنال رتبة تقربها من اللغة الأم .

وكان لهذا البحث أن يخوض في معاني بعض الألفاظ العاميّة العراقية وعلاقتها بالموروث الفصيح ، وعلاقة الأمثال الشعبية العراقية بما وصلنا من شعر ونثر وصلنا فصيحا ، لكننا صرنا نسمعه بقالب عامّي .

لذلك وقف المبحث الأول عند الأمثال الشعبية العراقية وجذورها في اللغة الفصحى ، وواءم بينها وبين شبيهها في الموروث ؛ بينما اهتم المبحث الثاني بالتداخل الدلالي بين الفصحى والعاميّة ووقف عند نسق الاتكاء لدى شعراء الفصحى على اللهجة العامية تداوليا وثقافيا ؛ حتى وصل إلى شاطئ الخاتمة والنتائج ، وليس لأي بحث أن ينتهي ، فسنة البحث أن يستمر وأن تتوالد من نقاشه أسئلة جديدة تنجب أسئلة أكثر ؛ وهذا هو شأن البحث العلمي فهو كالحياة له أن يعيش عمره التساؤلي ليقطف أجوبة تنبض بأسئلة أخرى ، ووفق هذا ، أقول ليس لي إلا ما رأيته حين اخترت الحفر ومطاردة جذور الألفاظ العامية واتكاء الشعراء عليها .

هذا ما رآه البحث وما توصل اليه ؛ ولي أن اقول ليس لأي بحث أن ينتهي ، لأن البحث اسئلة والنتائج أجوبة لايراد منها الجزم ، فالاسئلة حياة والجواب الجازم نهاية وموت ، وحسبي قول الشاعر :

ومن ذا الذي تُرضى سجاياهُ كُلُّها

كَفى المرءَ نُبْلاً أن تُعَدَّ مَعايِبُهْ

جعلنا الله والقارئ الكريم ممن تعد معايبهم .

والله ولي التوفيق

المبحث الأول : الأمثال الشعبية العراقية وجذورها في اللغة الفصحى

يلجأ العربي بشكل عام إلى سند من الموروث الديني أو الأدبي أو الاجتماعي ، لكي يسوغ عملا ما يقوم به ؛ وغالبا ما يكون لهذا " السند " المستدعى من الماضي ، أو الشائع اجتماعيا ، هو الفيصل لينهي أي جدل أو نقاش .

ان نسق الاتكاء تداوليا يعالج مقتضى الحال بقوالب جاهزة ومقولات مأثورة ، ليست بالضرورة أن تكون من الواقع المعيش ، بل غالبا ما يتم استدعاؤها من الموروث ليتم الاتكاء عليها بعد توافقها مع مقتضى الحال ؛ لأن ماتحتاجه التداولية قد لا يتوافر لحظة القول ، لكنه راسخ بين المخاطِب والمخاطَب وفق عقد ثقافي أساسه رسوخ القبول المضمر ، وهنا يتدخل النقد الثقافي ليسهم في اتمام عملية التواصل .

ان العربي أسير مأثور القول ومجبول على الاقتناع بمثل شائع أو بيت شعر في الحكمة لأن ثقافتنا تعبد النصوص ، كما يقول نصر حامد أبو زيد ؛ يكفي أن تقول قال فلان ويتوقف العقل ، لذلك تلتئم سبل التواصل تداوليا وثقافيا بالاتكاء على تلك النصوص ،أو ما هو مولد منها .

ولنا أن نتجنب النص الديني لأن سلطته غالبا ماتكون مفروضة الطاعة وعندها ينتهي الخطاب بقول مقدس يركن اليه طرفا التواصل ؛ لكن الشعر العربي والموروث النثري وفر لنا الكثير من أبيات الحكمة التي تفض النزاع ، فضلا عن الأمثال العربية التي بنيت على حادثة نسيت وبقي المثل حاكما ، ذلك لأن بيت الشعر الذي يحمل الحكمة أو المثل الشائع يمثل نصا حاضرا ذهنيا مهما اختلف فإن له مقتضى حال يليق به لأن (النص بهذا الاختلاف لا يحدد هويته فقط ويميز نفسه عن غيره من النصوص بل يجعل ذلك لكي يجعل من نفسه

محورا في الثقافة عن طريق قابليته للتفسيرات والتأويلات) ([1]) وقد شاعت في اللهجة العراقية المعاصرة كلمات وأمثال وردت في الشعر العباسي ، لكن تم اندثارها في القول الفصيح لتدخل الى نطاق اللهجة المحلية الضيقة ؛ ربما لأن الكلمات تخاف الخروج بمفردها ؛ اذ يقول يانس رتسوس : (تخاف الكلمات التي تبقى خارج القصيدة) ([2]) وذلك لأن الشعر ، كما يبدو ، حارس اللغة ، وما غاب او اندثر منه أو اختبأ بين طيات المعاجيم ، لم يبق منه الا ما يتناوله عامة الناس في لهجتهم المحلية الدارجة و (ما أكثر الكلمات الخائفة في اللغة العربية . المعجم العربي مليء بالخوف)([3]) ، على حد تعبير أدونيس ، وإلا فمن من الشعراء يجرؤ على ادخال كلمة (أثول التي تقال للغبي) في بيت شعر وهي التي لها وجود في الشعر العباسي ، أو كلمة (بس) التي تعني (فقط) و كلمة (بستوگة) وكثير من الكلمات التي وجدت لها موطنا في اللهجة المحلية بعد أن احالها ركنها الشعراء الى المعاجيم ، وغابت عن المشهد اللغوي الفصيح .

فأما الأثول (في مقاييس اللغة لابن فارس : الثول : داء يصيب الشاة فتسترخي أعضاؤها ، وقد يكون في الذكر أيضا. وربما قالوا للأحمق البطيء الخير : أثول ، وهو من الاضطراب ...وكان قد استعملها السريّ الرفاء بمعنى : غبي ، جاهل في قوله " في رجل من بغداد " :

وُصِف ابنُ يوسفَ لي بكلِّ فضيلةٍ ورأيته فرأيت منه أثولا

ساءلته عن عِلمِه ، فكأنما ساءلتُ عن سكانهِ ربعاً خلا

وكما استعملها السريّ بمعنى الغباوة والجهل مايزال العراقيون يستعملونها في لهجتهم)([4]) أما كلمة (بس) فقد وردت في الشعر أيضا : (قال ابن الحجاج " ت 393 هـ " كما ورد في درة التاج من شعر ابن الحجاج للبديع الأسطرلابي ، قال يطلب تبناً لفرسه :

فامنُنْ بتبنٍ عليه بَسْ ففي تكليفك القتَّ بعده سَرَفُ

ومعناها _ كما هو واضح _ فقط ، وهي من العاميّ الذي مايزال مستعملا في العراق حتى اليوم ، وتأتي بمعنى فقط كما استعملها الشاعر ، وتأتي بمعنى : يكفي أيضاً...)([5]) ولعل كلمة مثل (بشت) بكسر الباء ، لايتوقع أن نجد لها أثراً في الموروث العربي ، لكنها تغلغلت اثر تلاقح اللغات في أواخر العصر العباسي (قال أسامة بن منقذ " ت : 584هـ" في " الاعتبار" : "فضربه الوالد بهذا السيف وهو في غمده متقلدٌ به ، فقطع الجهاز ، والنعل الفضة ، وبِشتاً كان على الركابي ..." . وعلق المحقق الاستاذ فيليب حتّي في الحاشية بقوله : أو بُشتاً عباءة. ولعلها " بُشت" الفارسية .) ([6]) ويعلق العلامة د. محمد حسين الأعرجي رحمه الله فيقول (وأراني أميل الى أن البشت عباءة ، ويبدو أنها بكسر الباء كما هي في متن الاعتبار ، وليس بالضم كما هي

([1]) مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن ، نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط/١ ، ٢٠١٤ : ١٨٧

([2]) رأس اللغة جسم الصحراء ، أدونيس ، دار الساقي لبنان ، ط1 2008 : 314

([3]) نفسه .

([4]) شذرات من العامي والمولد ، محمد حسين الأعرجي ، منشورات بغداد عاصمة الثقافة العربية ، 2013 :72

([5]) السابق : 51 – 52 .

([6]) نفسه

في حاشية المحقق ... ومن أمثال العراقيين العاميّة : يا بو بشت بيش بلشت " يقولونه لمن يغالب خصما لا يقدر عليه " ومعناه يا أبا بشت كناية عن الرجل المترف بماذا ورطت نفسك ؟)([1]) . أما (بستوگة) فقد وردت في ديوان ابن الرومي يهجو إسماعيل بن بلبل :

(سائل أبا الصقر اذا جئته عن امه ذات البساتيق

فقال المحقق في الحاشية : ذكر القاموس المحيط أن البستق بمعنى : الخادم ولعله يتهم امه بالخدم ... أقول : البستوقة هي الزير الصغير ومازالت تستعمل في العراق بهذا المعنى ... وصار العراقيون يستعملون البساتيق لحفظ المخللات ، وهم يسمون هذا المخلل : الطرشي)([2]) ؛ وأرى أنها مازالت تستعمل في بعض البلدان العربية وقد شاهدتها في سورية وفي تونس ؛ ثم ماذا نسمي ماتحمله كهرمانه في تمثالها الذي يتوسط بغداد ؟ .

لقد وقع المحقق في فخ المعنى التداولي ومقتضى الحال ، ذلك لأن التداولية (منهج معرفي يطال المستويات اللغوية كلها ، فالنحو يتأثر بالتداولية ، والدلالة تتأثر بالتداولية ، والمعجم يتأثر بالتداولية ، وسائر أصناف الخطاب تتأثر بها ، فتكون من ثمَّ أداة معرفية تضيء جوانب كثيرة من اللغة والخطاب)([3]

، ولأن ام المهجو تحمل البساتيق فقام بترحيل صفة الحامل ليجعلها اسماً للمحمول (البستوقة) ، لأن وجهة الهجاء هي أم المهجو لا ما تحمله .

كما ان النسق المضمر في النقد الثقافي قد يفاقم الهجاء ويجعل أم المهجو حمالة الخمر للراغبين فيه ، وهو امر يشي باختلاطه وترددها عليهم ؛ لكن الهجاء او صفة الخادم ليست للبستوقة انما لحاملتها .

ومثل ذلك كلمة (بوس) فلقد استقرت في الشعر العربي حتى شاعت فصيحةً وعاميّةً ، لأن (باس : بمعنى قبل قالها ابو نواس ...

ياماسح القبلة من خده من بعدما قد كان أعطاها

خشيت أن يعرف إعجامها مولاك في الخد قيقراها

ولو علمنا أنه هكذا كنا اذا بسنا مسحناها

... أقول بقيت اللفظة مستعملة في اللهجة العراقية ، وفي كثير من اللهجات العربية الى اليوم)([4]) .

بقي أن أشير الى الكثير من الكلمات العاميّة الشائعة في العراق ومنها ما يشترك في استعمالها بعض البلدان العربية ، من مثل كلمة (ليش) التي لها جذور أيضا في الشعر العباسي ، لكن معناها واضح وهي اختصار أصلها (لأي شيء) بمعنى لأي سبب ، أو لماذا ؛ كذلك كلمة (هسّة) أصلها (هذه الساعة) والمصريون يستعملون ماهو قريب منها ، للسؤال بقولهم (لسّه) لهذه الساعة ، أو جوابا على سؤال من مثل هل انتهيت

([1])السابق : 52 – 53

([2]) السابق : 53

([3]) سيمياء الانساق – تشكلات المعنى في الخطابات التراثية ط1 ، د. آمنة بلعَلي ، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة 2015 : 115

([4]) شذرات من العامي والمولد : 62

من كتابة هذا البحث فيكون الجواب (لسه) أي : لا ، لهذه الساعة لم انته ؛ والعراقيون يقولون (شلونك) اختصارا لـ (أي شيء لونك) أي كيف حالك ؛ ومن المشتركات بين لهجة جنوب العراق ولبنان كلمة (موش) وهي عند المصريين (مُش) وتستعمل للنفي ، واصلها حرفيا (لشيء) او ما من شيء ، لكن معناها التواصلي يفيد النفي و يشبه معنى (ليس) من دون اشتراطات النحو .

الأمثال الشعبية بين مقتضى الحال ونسق الاتكاء الثقافي :

يقول دي سوسير (اكتشاف الحقيقة أسهل من وضعها في مكانها المناسب)([1]) ؛ لكن في قول الحكمة التي تنهي الحوار هل نكون قد اكتشفنا الحقيقة حقاً ؟ الجواب : لا ، بل مارسنا اللجوء الى شاهد مشترك ذهنيا بين المتكلمين ، واتكأنا على معنى قضوي قيل في مقام ما ، لكنه استمر صامدا وكأن الحياة وظروفها مستنسخة تماما ؛ أو لأن لهذا المعنى ومقتضاه من القوة في التأثير تصل لحسم الحوار والاقناع ؛ وهو في الوقت نفسه نسق ثقافي فيه مضمر مستمر ، ومتى ما انطبق على خطاب حديث استدعي لصرامته .

قبل الخوض في الأمثال العامية العراقية وعلاقتها بالموروث الفصيح ، أود الوقوف عند هذه المقطوعة الشعرية المثيرة باختزالها اللغوي واسباب هذا الاختزال واتكائه التداولي والثقافي :

يقول الشاعر صباح الهلالي :

هذوله من طغو صحنه لهذولاك اجو عالصوت فورا وانتخوله

اجت نفس الوجوه وذوله ذولاك نصيح المن ونخلص من هذوله

الشاعر حذف المشار اليهم وهما فريقان كما هو واضح ، لكن ماالذي دعاه لهذا الحذف الرائع وهل كان من ابتكاره ؟ فاذا عدنا الى أبي الطيب المتنبي في قوله : ([2])

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفي أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ

نجد (ذان) التي هي (هذان) وقد حذف المتني هاء التنبيه ، تشبه (هذوله) التي هي من الجمع العامّي ، فالعراقيون يجمعون اسم الاشارة فيقولون (هذوله) ولا يقولون (هؤلاء) ، ومثلها(هذولاك) التي أصلها (أولئـكَ) ؛ ولعل الاستعمال الغريب في حذف المشار اليه يصب فيما نحن بصدده ؛ فبغض النظر عن الحضور الذهني لبيت المتنبي الذي وفر عقدا ثقافيا ومقتضى حال تداوليا ، نجد الاشتراك في حذف المشار اليه يجعل مقامي القول متفقين تماما ؛ ولن اتساءل وأقول (أين ذهب المشار إليه ؟ ، من دونه لم يعد لدينا سوى دوال تخنق الجو) ([3]) وأحسبني أدرك ما اراد المتنبي ومن بعده صباح الهلالي .

أما صباح الهلالي فقد مارس أكثر من اتكاء ثقافي وتداولي ؛ فهو استدعى معنى بيت المتنبي ووظفه باللهجة العامية العراقية ، لكن مقتضى حاله متعدد فبين استعراض القدرة على الحذف التي لم يكن المتنبي بحاجة

([1]) علم اللغة العام. دي سوسير، فردينان. تر. يوئيل يوسف عزيز. مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي. دار الآفاق العربية، بغداد. ط 3 : 87

([2]) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ناصيف اليازجي ، المطبعة الأدبية في بيروت : 344

([3]) الخروج من التيه دراسة في سلطة النص ، عبد العزيز حمودة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب2003 : 50

لاستعراضها ، وبين مقام القول هو طغيان (هذوله) الأولى التي يعني بها نظام الدكتاتور صدام حسين ، وبين حاجته لـ (هذولاك) لينقذوه ، ليصل الى صدمته الكبرى بتشابه حتى المشار اليهم . على حد تعبيره – ليدخل في حيرة البحث عن (هذولاك) جدد ينقذونه من (هذوله) الجدد ؛ ومقتضى الحال ، هنا ، هو تشابه الظالم والمنقذ ، لذلك حذف المشار اليهم يأسا لا تحقيرا ، واليأس هو النسق الثقافي المضمر لديه .

نأتي الى الأمثال الشعبية العراقية :

- المبلل ما يخاف من المطر :

مثلٌ شعبي عراقي يقال لمن يتعرض للوم اذا ما تورط في أمر مزعج ، فيقال من باب المكابرة ؛ ومضمره ومقتضى حال فيه ، هو : أن قائله لاسبيل ولا حل أمامه غير المضي في ما هو بصدده ؛ الا ان الاستدعاء الثقافي والقضوي واضح جدا ، لأنه ، في الأصل من قول المتنبي : (أنا الغريق فما خوفي من البلل)([1]) .

- نااس تاكل دجاج وناس تتلگه العجاج و ناس تاكل دجاج وناس تتلكه العجاج .. و حظي من العنجور منجور وحظي اللاحگ من گشور.

مثلان يضربان لندب الحظ ؛ والشائع في الأمثال ، على الأغلب ، هو السجع ؛ فأما (العنجور) أو (الحنجور) فهو (البرتقال) ومنجور مشتقة من النجار الذي صنعته الخشب ، بمعنى ان البرتقال يابس جدا يشبه الخشب ؛ و اللاحگ هو الناضج ، لكن نصيب سيئ الحظ منه هو (گشور) قشور فقط ؛ بينما يندب حظه الذي ليس له سوى (العجاج) وهي العواصف الترابية ، بينما غيره يأكل الدجاج الذي يعد مصدر ترف من وجهة نظره .

وقد ترجم هذا المثل الى الفصحى شاعر سوداني ، مع ان لمعناه أصل عند المتنبي ؛ فأما الشاعر السوداني فيقول :([2])

إنّ حظّي كدقيق فوقَ شوكٍ نثروهُ

ثمّ قالوا لحُفاةٍ يومَ ريحٍ إجمعوهُ

والمثلان يستندان الى بيت المتنبي :([3])

أَمسَيتُ أَروَحَ مُثرٍ خازِنًا وَيَدًا ،،، أَنا الغَنِيُّ وَأَموالي المَواعيدُ

أما مقتضى الحال فهو اليأس ، وهو واضح في بيت المتنبي ، وأما النسق الثقافي فهو الاحساس بالغبن لأن القائل يرى أنه يستحق مايستحق غيره وربما أكثر .

([1]) العرف الطيب : 349

([2]) الشاعر السوداني ادريس جماع – حياته وشعره ، تأليف حجاز مدثر ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم – شارع البلدية .

([3]) العرف الطيب : 549

- **زين التعرفه أحسن من زين الما تعرفه :**

يقال للتوجس والضمان والحذر ، وهو قريب لقول المتنبي : ([1])

إذا رَأيْتَ نُيُوبَ اللّيْثِ بارِزَةً. فَلا تَظُنّنّ أنّ اللّيْثَ يبتسم

- **نايم ورجليك بالشمس .**

يقال لمن لا يدري ولا يشعر بما قد يهدده ، وهو ترجمة واضحة لمقتضى الحال في المثل العربي (فلان رأسه في القِبلة واسْتُه في الخَرِبة)([2]) ؛ وقد قال معروف الرصافي :

يا قوم لا تتكلموا ما فاز الا النوّمُ

ثم تبعه الجواهري فقال : نامي جياع الشعب نامي حرستك آلهة الطعام

وأحسب أن كلا الشاعرين مارسا الاتكاء على المثل الشعبي ليوقعا مع المتلقي عقد القبول لأن المعنى راسخ في ذهنه ، فضلا عن اتكائهما على مقتضى الحال وهو (توبيخ) المتقاعس ؛ ولي أن ارى أن المثل الشعبي وماقاله الرصافي والجواهري هو بناء على انقاض معنى مغاير لموروث مشهورقاله المتنبي :([3])

أَنامُ مِلءَ جُفوني عَن شَوارِدِها ... وَيَسهَرُ الخَلقُ جَرّاها وَيَختَصم

وهو نوم اليقظ المطمئن لا نوم من لا يجهل مصيره .

- **لابو علي ولا مسحاته .**

يقال لليأس من الانتظار ؛ والمسحاة ([4]) فصيحة ، فهي :اسم آلة من سحَا وسحَى، أداةُ القَشر والجرف ؛ وفي الموروث قال الشاعر :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

وقد روى الجاحظ في (نوادر المعلمين):([5]) " ألّفت كتاباً في نوادر المعلمين، وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك، وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب. فدخلت يوماً مدينة، فوجدت فيها معلمًا في هيئة حسنة، فسلمت عليه، فرد عليّ أحسن رد، ورحب بي، فجلست عنده وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في

([1]) السابق : 343

([2]) مجمع الأمثال ،أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، تحقيــق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، : المعاونية الثقافية للآستانة الرضوية – إيران ، 1987م – 1441هـ : 1/ 317

([3]) العرف الطيب : 343

([4]) ينظر : لسان العرب .

([5])المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد الأبشيهي ،الباب الخامس والسبعين، الفصل الخامس – في "نوادر المعلمين" ، دار الطباعة السنية – مصر سنة 1868م–1285هـ :624.

الفقه والنحو وعلم المنقول وأشعار العرب، فإذا هو كامل الآداب. فقلت: هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب.

كنت أختلف إليه وأزوره، فجئت يوماً لزيارته، فإذا بالكُتَّاب مغلق ولم أجده، فسألت عنه، فقيل مات له ميت، فحزن عليه، وجلس في بيته للعزاء.

ذهبت إلى بيته وطرقت الباب، [...] وإذا به جالس، فقلت: عظّم الله أجرك! لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر، ثم قلت:

هذا الذي توفى ولدك؟ قال: لا، [...] فقلت: وما هو منك؟ قال: حبيبتي! فقلت في نفسي فهذه أوّل المناحس، فقلت: سبحان الله النساء كثير، وستجد غيرها. فقال: أتظن أني رأيتها؟ قلت وهذه منحسة ثانية، قلت: وكيف عشقت من لم تر؟ فقال: اعلم أني كنت جالساً في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق إذ رأيت رجلاً عليه بُرد وهو يقول:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة .. ردي علي فؤادي أينما كانـا

فقلت في نفسي– لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها لما قيل فيها هذا الشعر، فعشقتها!! فلما كان منذ يومين مرّ ذلك الرجل بعينه وهو يقول:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت، فحزنت، وأغلقت المكتب، وجلست في الدار".) ؛ بعد هذه السياحة مع الجاجظ وام عمر وحبيبها الذي لم يرها ، ليس لنا الا أن نقول سامح الله الشاعر جرير ، ولا أظن أن شاعرا وراء انتظار (أبي علي ومسحاته) وليس غير نسق الاتكاء التداولي وهو اليأس ، والعقد الذهني مع المتلقي بالاتكاء على الموروث نسقاً ثقافيا.

- يسأل عن النغل منو أبوه .

النغل فساد الأديم ونغل نَغِل الأديم ينغَل نغلاً ، ومنه اشتقاق النّغل لفساد مولده ؛ لذا فهو ابن الزنا ، مجهول الأب .

يقول العلامة د. محمد حسين الأعرجي : (استعملها ابن الرومي بسكون الغين منها في قصيدة واحدة يهجو بها ابن خنساء ، إذ يقول :

كم قد ركضتُ حشاها والنّغْل يسمع ركضي

... فليشتم النّغْل عِرضي بالشتم لا المُتقضّي

ووجدتُ الحسين بن الحجاج على ما نقل ابن آيدمر في كتابه المخطوط " الدر الفريد وبيت القصيد" ... يجمعها وكأنها كانت تُنطق كما استعملها ابن الرومي ، على نُغول كما في قوله :

هذا زمان النغول وحدهم لا كان إن دام ذا ، ولا كانوا)([1]) .

([1]) شذرات من العامي والمولد : 319

ولقد كانت العرب تقول (هم ابناء الدهاليز)([1]) ، كناية عن ابناء الأراذل وأبناء الزواني ؛ ولعل هذا القول يمثل المتكأ التداولي ، أما النسق الثقافي فهو (الشتيمة) حتى وإن كان المشتوم ليس نغلاً .

- **من كل زيج رگعه .**

قالت العرب : فيهم من كل زيق رقعة ، ومن كل قِدْر مغرفة ، ومن كل كُتّابٍ صبي ، ومن كل سكة حارس ([2]) ، وهو مثل يدل على (خليط) من الأشياء أو الناس ويقال استهجانا واحتقارا .

- **ثلين الولد على خاله .**

مثل شعبي متداول في العراق ، يقال من باب الفخر ؛ فلقد (ذكر "الجاحظ" أن العرب تقول: "عرق الخال لا ينام". وإن كثيرًا من العلماء يزعمون أن عرق الخال أنزع من عرق العم. ومن دلائل ذلك تباهي الناس بأخوالهم، واعتبار الخال بمنزلة الوالد. وقول العرب: "لئيم الخال"، واحتماء الأولاد بأخوالهم ولجوؤهم إليهم أكثر من لجوئهم إلى أعمامهم) ([3]). وهذا يوفر معنى قضويا تداوليا هو الفخر كما هو واضح ؛ لكن النسق الثقافي المضمر يعيدنا الى الحديث النبوي (استجيدوا الخال فإنّ العرق دسّاس)([4])

- **أول ما شطح نطح .**

هو في الموروث العربي اصله : (حيثما سقط لقط)([5]) وله تناص آخر في اللهجة العراقية (شلون ما تذبه يطيح على راسه) ويقال للمحتال الحَرِك .

- **أضربك چلاق أوديك للحلاق .**

يقوله المتمكن من خصمه مستعرضاً قوته ؛ و (الشلاق) موجودة في الموروث العربي: (في الجمهرة لابن دريد : الشَّلْقُ هو الضرب بالسوط ، وغيره ... ومن المعنى الذي قاله ابن دريد تطورت اللفظة في عاميّة العراقيين فصارت : " چلاقاً" بكسر الأول ، وصارت تعني الضرب بمقدمة القدم وظاهره على مؤخرة الإنسان)([6]) ؛ والمعنى التداولي هو قوة الضارب وطول المسافة التي اقتضاها (السجع) لتكون الى الحلاق ؛ أما المضمر فهو الإهانة ، لأن المتكلم لديه تواصل ذهني مع خصمه ، وبذلك سيرتدع الخصم وتنتهي المعركة بالتهديد المهين لفظا ومعنى فضلا عن مكان الضربة الذي يحدد لنا نسق الفحولة لدى المتكلم .

([1])ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري أبو منصور ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط: دار المعارف : 370

([2]) مجمع الأمثال : 2 / 410

([3]) التمثيل والمحاضرة ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ، الدار العربية للكتاب ، 1401 هـ - 1981 : 320

([4])النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري: 117/2.

([5]) مجمع الامثال : 1/ 230

([6]) شذرات من العامي والمولد : 194 - 195

المبحث الثاني : التداخل الدلالي بين الفصحى والعاميّة

نسق الاتكاء لدى شعراء الفصحى على اللهجة العامية تداوليا وثقافيا .

يتكئ الشاعر العراقي الفصيح على اللهجة العامية ليمد خيوط التواصل بينه وبين المتلقي ؛ وأقول : خيوط ، ولم أقل : حبال التواصل ، لأن لابد للشعر من الإبهام كي يبقى باب التأويل مفتوحاً ؛ فضلا استعراض مقدرة الشاعر على التلغيز وابتداع الصورة الجديدة ، لكنه – أي الشاعر – يحتاج الى خيط رفيع يجعل القارئ يمسك بشيء من القصيدة لكي يبقي باب التواصل مفتوحا ، ثم يفتح للمتلقي كل أبواب التأويل .

ولا بد من وقفة عند شعراء اللهجة العراقية واتكائهم على الصورة الموروثة من الشعر العربي ليدعوا ابداعها ونسبتها لهم ، مع انها مسبوقة وراسخة ذهنيا لدى المطلع على فصيح الشعر ؛ ومثال هذا ، قول الشاعر الشعبي عطا السعيدي :

عمت عينك العوره وعينك الأخرى ([1])

لماذا الأخرى ؟ الجواب : اذا قال الشاعر : عمت عيونك ، انتفت صفة الشعر وصار الأمر ليس أكثر من شتيمة متداولة ؛ لكن تركيز الشاعر يحيلنا الى بيت المتنبي الشهير في هجائه لشخص أعور ، إذ يقول : ([2])

فَيا اِبنَ كَرَوَّسٍ يا نِصفَ أَعمى وَإِن تَفخَر فَيا نِصفَ البَصيرِ

وقل مثل ذلك ، عن بيت في اغنية (يا هواجس) للفنان المبدع حسن بريسم ، إذ يرد فيها بيت : (شنهو نفعك وانته لي بدنياي ضيم ..... عود أموت تگول مايستاهل !!) ، أقول : هو من بيت عبيد بن الأبرص :

لَأَعرِفَنَّكَ بَعدَ المَوتِ تَندُبُني وَفي حَياتِيَ ما زَوَّدتَني زادي ([3])

إن الاتكاء على الموروث ، واستثماره باللهجة الشعبية نابع من أن (النص الشعبي حركة مستمرة مع حركة الحياة، فكل ما يطرأ على الحياة الاجتماعية من تغيير، وكل ما يستوعبه الشعب من أفكار إزاء هذا التغيير، لا بدّ أن يجد صداه في حركة النصّ)([4]) ، لذلك يحقق هذا الاتكاء ديمومة تداولية ؛ فمقتضى الحال بين عطا

([1]) أغلب الشعر الشعبي ومثله الاغاني ، مصدره السماع والشيوع ، والتداول الشفاهي ، لذلك سيكتفي الباحث بالاشارة الى النصوص دون مصادرها او معلوماتها المكتبية .

([2]) العرف الطيب : 170

([3]) ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق حسين نصار، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٧هـ-١٩٥٧م: ٤٧-٥٠

([4]) خصوصيات الإبداع الشعبي، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مجلد 10، ع 3و4، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، يناير 2002: 64.

السعيدي والمتنبي هو الشتيمة والهجاء ، لكن النسق الثقافي المضمر هو نسق (الاستدعاء) من منظور النقد الثقافي .

(فالأدب الشعبي لا يتميز بالفصحى أو العامية ، ولا يقال إنه يلتزم بواحدة منهما ، وإنّما الأولى أن يقال إنّ له لغة خاصة به ، تحمل من سماته وصفاته ما يجعلها تضمّ الفصحى والعامية ، أو تسمو عليهما حين تأخذ بساطة العامّية وانتشار الفصحى وتصبح قادرة على التوصيل والإبلاغ لكل فرد من أفراد الأمة ، بقدر ماهي قادرة على التصوير والإبداع والتأثير في كل فرد من أفراد الأمّة)([1]) .

ولو تفحصنا قصائد شعراء الفصحى ، لوجدنا اتكاءً واضحا حققق غاياته التواصلية الى أبعد المديات ؛ ولقد وظف عدد ما الشعراء الأغنية المشهورة ليحققوا التواصل عبر الاتكاء التداولي الذي يشرحه مقتضى حال المغني وسامع الاغنية ، وبعدهما الشاعر والمتلقي لقصيده ؛ الاتقاء الثقافي الذي يضمره الشاعر ويفضحه التواصل ، وهو نسق الاتكاء على شهرة الاغنية واتخاذها جسرا للمتلقي .

ومن بين الشعراء العراقيين ، رائد الشعر الحر بدر شاكر السياب ، حيث لجأ الى التناص مع الواقع واتكأ على الاغنية في توظيف رائع ؛ فهو بعد أن اطلق على (المومس العمياء) اسم سليمة ، وهو اسم على غير مسمى ، استفز المتلقي به ، استحضر مقطعا من اغنية شعبية عراقية شائعة : ... وتلوب أغنية قديمة

في نفسها وصدى يوشوش: يا سليمة، سليمة

نامت عيون الناس. آه.. فمن لقلبي كي ينيمه؟ ([2])

لا أجمل ولا أروع من هذا التناص وهذا التوظيف ، فالشاعر ترجم ما اقتبسه الى اللغة الفصحى وأبقى على خيط التواصل وهو الأغنية ، محققا ذرائعية التداولية ومضمر النقد الثقافي ؛ لأن الأدب بحسب : يوري سوكولوف :هو(الإبداع الشعري الشفاهي لجماهير الشعب العريضة) ([3]) .

أما الشاعر العراقي سعدي يوسف فقد وظف من الفلكور ما يحدد هويته ، وهو ما فعله في قصيدته " عن المسألة كلها" محتفلا بتأميم النفط من دون أن ينسى بوحه الذاتي ، فجاء بالمقطع الآتي :([4])

حلوةْ يا حلوةْ

ركضنا اليوم للجلوةْ ومن كركوك جيناها

من كركوك والبصرةْ جينا اليوم للحلوةْ

جينا اليوم للجلوةْ .

([1])الأدب الشعبي العربي/ مفهومه ومضمونه ، حمود ذهني ، مطبوعات جامعة القاهرة ، الخرطوم ، 1393/ 1972 : 54

([2])ديوان بدر شاكر السياب، بيروت: دار العودة1995: 532 – 531

([3])ينظر: الفلكلور / قضاياه و تاريخه ، يوري سوكولوف ، تر: حلمي شعراوي و عبد الحميد حواس ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للنشر و التأليف ، 1971 ، ص 55.

([4]) لغة النار الأزلية ، الجمهورية العراقية ، وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة ، أشرف على اعداده : ماجد السامرائي ، 1973 : عن المسألة كلها – سعدي يوسف : 43

وهي مما يتردد ألسنة البنات المقرّبات للعروس، لحظة تجميل العروس ؛ أقول : لعل (الجلوة) مشتقة من الجلاء وازالة الاشياء غير المرغوب فيها ، التي تشوه شكل العروس ؛ وهو ذاته جلاء الشركات الاجنبية ، في تناص رائع وتوليد لغوي لطيف قام به الشاعر الذي ادخل (البصرة) لكي يجلب الجمهور الى ساحته ، جمهور مدينته البصرة ، والأغنية من الفلكلور الذي كثيرا ما ينسى اسم قائله ، لكنه يبقى حاضرا مهيمنا وهو (الأدب المجهول المؤلف ، العامي اللغة ، المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية)([1]) .

الاتكاء جسر للمتلقي وحبل وصل ؛ وقد قال الشاعر كاظم اسماعيل الكَاطع في واحدة من اروع قصائده : "اللوحة".

واحد بناله قصر باسعار مفتوحه
رسموله طير بقفص والايد متلوحه
واختلفوا عل السعر
واللي رسمها تعب بالجيه والروحه
الرسام دمه الصبغ وتكلفه اللوحه
ما عامل عل الرسم عامل عل جروحه
طال النقاش وكبر واللوحه متعلكَت عالكاع مطروحه
ايام بعد الزعل شفناها ممسوحه
والطير منها اختفه ومنهم سحب روحه
الطير ليش اختفه ومنهم سحب روحه؟
الرسام حطه بقفص بيبانه مفتوحه

ولقد اشتهرت هذه القصيدة بموال شجي بصوت كريم منصور ، وأحسبها نواةَ اتكاءٍ دفعت الشاعر عارف الساعدي للانطلاق منها ، فجاء بقصيدته (ما لم يقله الرسام)

وكان يرسم بلداناً ويحسدُها
وكان يشتمُ اهليها اذا نظرا
لأنه رشّ ريفاً فوق ضحكتهم
وكان يرسم طيناً مورقاً صورا
وكان يرسم ابواباً مفتّحةً
للناس يدخلها من تاب ..من كفرا
الكلّ يدخل من ابواب لوحتهِ
إلاّه ظلّ على الابوابِ منتظرا

([1]) الأدب الشعبي، أحمد رشدي صالح ، مكتبة النهضة المصرية ، د ط ، القاهرة ، 1971 : 14.

الكَاطع جعل الرسام يضع الطير في قفص أبوابه مفتوحة ، والساعدي فتح أبواب اللوحة وأدخل الجميع وابقى الرسام أمام باب لوحته.

إن استعمال اللهجة العامية بين المولد والطارئ (الأجنبي) وبين ما له أصل عربي لكنه اندثر وغاب في دهاليز المعاجيم ، إن هذا الاستعمال لم يغب عن ذهن الشاعر العراقي الفصيح ، لكن هل كل ما يقال إنه من اللهجة العامية هو عاميّ حقاً ؛ فما زال الدعاء الغضب لدى الأمهات الجنوبيات ما يشي بالعاميّة لكنه يملك جذورا في الموروث العربي الفصيح سواء كان أصيلا أو من اللغة المولدة ؛ ولنقف عن الشاعر سراج محمد ، ففي قصيدته (مالم يقله عبد الأمير جرص) التي القاها في ملتقى "جواهريون" الذي اقامه اتحاد الأدباء والكتاب في العراق ، يقول في أحد أبياتها : ([1])

أنا الجنوبي من قد (طرّه فلكٌ) ... و(فرّه الدهر) مذ أم مع الغسقِ

والشاعر وضع (طرّه فلك) بين قوسين لأنها صارت من اللهجة العامية بعد شيوعها جنوب العراق دون غيره ؛ لكن لها أصل في الموروث الفصيح ؛ فمن معاني (طرّ) : (طَرَّهُ بِالسَّيْفِ : قَطَعَهُ)([2]) ؛ أما المفلوك ، فيقول العلامة د. محمد حسين الأعرجي : (للمفلوك أصل في اللغة المولدة فالمفلوك : هو الذي ضربه الفلك فافتقر كما قالوا في الذي ضربه الفالج : مفلوج . ومن عقائد العامة أن الأفلاك تقدر الأرزاق ... ثم لما صار المفلوك عندهم الفقير اشتقوا منه فعلا لمن افتقر فقالوا : فُلِكَ أي : ضربه الفلك)([3]) ؛ لذا فإن المعنى مستقيم ، لدينا ، لغةً ولهجةً ، فصيحاً وعامياً ، لكنه اندثر عند بعض المدن واغلب البلدان العربية ، ذلك لأن الأدب العباسي أدب عراقي محض لا يكاد يفهمه بدقة الا العراقي – كما يرى العلامة الأعرجي- ([4]) ؛ لذلك يحتفظ العراقيون بأغلب ما قيل من مولد وأصيل في العصر العباسي ، وظل أغلبه يجري على السنتهم ، حتى اندثر عند الآخرين وظنوه عاميّا .

أما (فرّهُ الدهر) فإن (فرّه) عامية عراقية لا أصل لها في اللغة ولا في المولد ، وهي عند العراقيين تعني (دار به) أما الدهر فهو كما قال ابن سيده: (فأَما قوله، صلى الله عليه وسلم: لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فإِن الله: هو الدَّهْرُ؛ فمعناه أَن ما أَصابك من الدهر فالله فاعله ليس الدهر،فإِذا شتمت به الدهر فكأَنك أَردت به الله...)([5])

ولقد صب الشاعر كل معاناته من خلال التناص مع الشائع دعاءَ غاضباً ، مستثمرا دلالته ومعاناة الجنوبيين ، فالاتكاء القضوي هو الفقر والعذابات ، أما النسق الثقافي المضمر فهو باختصار شديد : إن " المفلوك"

([1]) القصيدة غير منشورة في ديوان لكنها موثقة على اليوتيوب في شبكة الانترنت :
10avRZvzQ3https://www.youtube.com/watch?v=m

([2]) ينظر : لسان العرب ، طرر
"طَرَّهم بالسيف يطُرُّهم طرّاً، والطَّرُّ كالشَّلّ، وطَرّ الإبلَ يطُرُّها طَرّاً: ساقها سوقاً شديداً وطردَها.

([3]) شذرات من العامي والمولد : 257 – 258

[4] ينظر : السابق : 15

([5]) ينظر : لسان العرب ، دهر .

"المدهور" سراج محمد (شروگي) وهي تسمية تطلق على الجنوبيين نسبة الى سكنهم جنوب شرق العراق وفي مثلث الهور تحديدا .

و مازال أهل جنوب العراق يستعملون الفعل (طرّ) بمعنى قطع التي منها القطع الفعلي الذي يحمل معنى التقطيع ، أو قطع مسافة من الطريق بمعنى اجتازها ومن مثال ذلك أغنية المطرب صاحب الصوت الشجي " داخل حسن " والمطرب نسيم عودة من فيلم (إنعيمه) :([1])

مشحوفنه طرّ الهور يسبگ بمشيه الماطور

مكيفين ماخذنه الفرح واليوم صيدتنه طيور

يخنيجر افرح وابتشر وافرح وغني هسة لي

يهليل يطيب العمر لو صارت انعيمه ئلي

والمشحوف بلهجة جنوب هو المحلّي الصنع القديم الذي يعتمد التجديف ، وفي البيت تحدٍ واضح لتطور الصناعة حيث ان هذا المشحوف ببساطته يسبق (يسبگ) بمسيره (بمشيه) الماطور ويراد به الزورق الذي يعمل بالمحرك والوقود .

ونقف عند تصغير التحبيب (يخنيجر) هو مصغر (خنجر) و (ياهليل) مصغر (هلال) وهذه تكثر في الجنوب وغالبا ما تقترب دقة الاستعمال من الاستعمال الصرفي في كتب اللغة والنحو .

هما سعيدان لأن مشحوفهما اجتاز الهور (طرّه) وكما انهما حصلا على صيد ثمين هو طيور الماء وهي نوع من الطيور التي تتوافر وتتكاثر في أهوار العراق ؛ لكن سرعان مايتذكر داخل حسن حبيبته الصيد الأكبر ويتمنى أن يحظى بحبيبته نعيمه ، فيجيبه خنيجر (نسيم عودة) بأن عليه أن يهرب بها من وهو من يقوم بحماية ظهره ، فيشكره (هليل) بالدعاء لم تم ذلك ؛ وينهب فصيحة ، من النهب والسلب ، أما (النهيبة) فهي سرقة الحبيبة من اهلها بموافقتها ، ووقعها على قبيلة الحبيبة هو العار الذي يوجب قتل الناهب والناهبة ، ولا يقال المنهوبة ، لأنها شريكة في (النهيبة) ؛ لكن بعد تعهد خنيجر بمساندة صديقه وحمايته ، يبدو ان الأمر سيتم .

([1]) https://www.youtube.com/watch?v=KSxEsGlDMw3

الخاتمة

ليس هناك نص بريء تماما ، وكما قال الإمام علي : لولا أن الكلام يعاد لنفد ؛ لذلك صار الكلام المكرور المنمق بثوب جديد من البلاغة ، أو الذي جرى على الألسن باللهجة العراقية ، من أصيلها ، أو ما طرأ عليها من الأعجمي/ الأجنبي ، صار هذا الكلام يبدو جديدا ، لكنه في اصله مسبوق وله جذوره ؛ ولقد وصل هذا البحث الى :

1. الاتكاء بوصفه ذريعة تداولية كان واضحا لدى اغلب الشعراء ، لكن عدد صفحات البحث جعلنا نقف عند بعض الأمثلة والشواهد .
2. المسوغ الثقافي للاتكاء التداولي بنسق ثقافي مضمر ، قد حقق جسر التواصل بين المؤلف والمتلقي .
3. اغلب الكلمات التي غابت عن الحضور الفصيح وقيل انها عامّية كانت متداولة بوصفها فصيحة ، وقد أوردنا أدلة بشواهد شعرية ونثرية من الموروث العربي .
4. اغلب الأمثال لها جذورها في شعر الحكمة العربي ، وفي النثر العربي القديم .
5. اعتماد الاغنية جسرا للمتلقي وهو نسق ازدهر في العصر العباسي ، ثم اندثر ، ليعود في العصر الحديث بصيغة الاتكاء الثقافي .
6. هناك مشترك بين العامي العراقي وبين ما هو فصيح في موروث البلدان العربية وليس العراق فحسب .
7. أحسب أن البحث استطاع يسأل الموروث الفصيح ، والعامي المعاصر ، والمشترك بين الاثنين ، بأسئلة النقد الحديث معتمدا التداولية ، والنقد الثقافي .

وتبقى أسئلة البحث مفتوحة ، فالأمر الذي كنت بصدده ، كان له أن يمتد ويتسع ليصبح كتابا لولا اني محكوم بعدد الصفحات .

المصادر والمراجع

1. الأدب الشعبي العربي- مفهومه ومضمونه ، حمود ذهني ، مطبوعات جامعة القاهرة ، الخرطوم
2. الأدب الشعبي، أحمد رشدي صالح ، مكتبة النهضة المصرية ، د ط ، القاهرة ، 1971.
3. التمثيل والمحاضرة ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ، الدار العربية للكتاب ، 1401 هـ - 1981 .
4. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري أبو منصور ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط: دار المعارف .

5. الخروج من التيه دراسة في سلطة النص ، عبد العزيز حمودة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب2003 .
6. خصوصيات الإبداع الشعبي، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، مجلد 10، ع 3و4، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، يناير 2002.
7. ديوان بدر شاكر السياب، بيروت: دار العودة1995.
8. ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق حسين نصار، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٧هـ-١٩٥٧م.
9. رأس اللغة جسم الصحراء ، أدونيس ، دار الساقي لبنان ، ط1 2008 .
10. سيمياء الانساق – تشكلات المعنى في الخطابات التراثية ط1 ، د. آمنة بلعَلي ، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة 2015 .
11. الشاعر السوداني ادريس جماع – حياته وشعره ، تأليف حجاز مدثر ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم – شارع البلدية.
12. شذرات من العامي والمولد ، محمد حسين الأعرجي ، منشورات بغداد عاصمة الثقافة العربية ، 2013 .
13. العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ناصيف اليازجي ، المطبعة الأدبية في بيروت .
14. علم اللغة العام. دي سوسير، فرديناند. تر. يوئيل يوسف عزيز. مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي. دار الآفاق العربية، بغداد. ط 3 .
15. الفلكلور / قضاياه و تاريخه ، يوري سوكولوف ، تر: حلمي شعراوي و عبد الحميد حواس ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للنشر و التأليف ، 1971 .
16. لسان العرب
17. لغة النار الأزلية ، الجمهورية العراقية ، وزارة الاعلام مديرية الثقافة العامة ، أشرف على اعداده : ماجد السامرائي ، 1973 : عن المسألة كلها – سعدي يوسف .
18. مجمع الأمثال ،أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني ، تحقيـــــق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، : المعاونية الثقافية للآستانة الرضوية -إيران ، 1987م - 1441هـ .
19. المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد الأبشيهي ،الباب الخامس والسبعين، الفصل الخامس – في "نوادر المعلمين" ، دار الطباعة السنية - مصر سنة 1868م-1285هـ.
20. مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن ، نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط/١ ، ٢٠١٤ .
21. النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، ج/2 .

الشابكة العنكبوتية :

- https://www.youtube.com/watch?v=m3avRZvzQ10
- ww.youtube.com/watch?v=K3SxEsGIDMw

التوظيف اللُّغوي للشاهد الشعريّ عند الجاحظ (ت 255 هـ) (كتاب البيان والتبيين مثالاً)

أ.د. سليمة جبار غانم

جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الانسانية قسم اللغة العربية

ملخص البحث :

إنّ الجاحظ أبا عثمان عمرو بن بحر (ت 255 هـ) من كبار الأدباء واللغويين في العصر العباسي الثاني ، ويُعدّ كتابه (البيان والتبيين) من المؤلفات البارزة التي أغنت المكتبة العربية ، فهو أحد كتب الادب والبلاغة ، ضم مباحث متعددة في البيان والبلاغة ، والخطابة والشعر ، والوصايا ، والرسائل ، وأنواع مختلفة من الاختيارات البلاغية ، ويمثل هذا الكتاب انعطافاً في الحركة الأدبية والبلاغية والنقدية ، واللغوية في منتصف القرن الثالث الهجريّ ، وفي هذا البحث نوجه الاهتمام الى التوظيف اللغويّ للشاهد الشعري في هذا الكتاب الذي احتوى على عدد كبير من الشواهد الشعرية والمقطوعات المختلفة من حيث مجالات التوظيف : أدباً ، ونقداً ، وبنية صرفية ، وتراكيب نحوية ، وغير ذلك.

وسنقف عند توظيف الشاهد الشعري وبحسب هذه المستويات لبيان أثر الجاحظ وكتابه البيان والتبيين في العلوم العربية ومنها علوم اللغة.

الكلمات المفتاحية :

التوظيف اللغويّ ، الجاحظ ، الشاهد الشعري ، البيان والتبيين.

Linguistic Employment of the Poetic Instance in Al-Jahiz's Writings (d. 255 AH) with Reference to Al-Bayan and Al-Tabeen

By Prof. Saleema Jabar Ghanim

University of Basrah / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

Abstract :

Abu Othman Amr bin Bahr Al-Jahiz (died 255 AH) was one of the great writers and linguists in the second Abbasid era. His book (Al-Bayan and Al-Tabeen) is one of the prominent works that enriched Arabic writing. It is one of the books of literature and rhetoric. The book comprises the art of speech and wills as well as letters, and different types of rhetorical choices. This book represents a turning point in the literary , rhetorical , critical and linguistic movement in the middle of the third century AH. In this research , we draw attention to the linguistic employment of the poetic instance in this book , which contains a large number of poetic verses and various poetic pieces in terms of functions : literature , criticism , rhetoric , and language with its well-known levels : phonological , morphological syntactic structures, and so on. And we will stop when employing the poetic instance and according to these levels , to show the impact of Al-Jahiz and his book Al-Bayan and Al-Tabeen in Arabic sciences , including linguistics.

Keywords : linguistic employment, Al-Jahiz, poetic instance, Al-Bayan and Al-Tabeen.

المقدمة :

يُعدّ ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) علماً من أعلام الفكر والثقافة العربية ، ورائداً من روادها في عصره وإلى عصرنا الحاضر ، فقد عكف على الدرس والقراءة وصرف حياته في استحصال المعرفة ، متأثراً بثقافة عصره ، فضلاً عن الثقافات الأخرى غير العربية كالفارسية واليونانية والهندية ، وترك تراثاً تشهد له الأجيال وتنهل من علمهِ ، ومن مؤلفاته : كتاب البُخلاء ، والبيان والتبيين ، والحيوان ، وغير ذلك ، وقد تميز الجاحظ بأساليب متفردة في الكتابة تمكّن من توظيفها في كتبهِ ورسائلهِ ، كالمرونة في الصياغة والتعبير ، والتصرُّف في فنون الكلام بما يكشف عن مرادهِ وغايتهِ. وقد كانت مؤلفاته مرآةً تعكس عصره الذي عاش فيه وهو العصر العباسي ، وصورةً لثقافته الموسوعية فقد كتب في الأدب والنقد والبلاغة واللغة والحيوان والنبات والأخلاق والتأريخ ، وإليه تُنسَب أصول علم الأدب ومعه ابن قتيبة (ت 276 هـ) والمبرد (ت 285 هـ) وابو علي القاليّ (ت 356 هـ) كما قال ابن خلدون (ت 808 هـ)[1] عند كلامه على علم الأدب.

ونعالج في بحثنا التوظيف اللغوي للشاهد الشعري في أبرز مدونات الجاحظ وهو (البيان والتبيين) ، فالشاهد الشعري يمثل أساساً علمياً ووسيلة لاثبات القاعدة وتأكيدها وبحسب الموضوع الذي يُساق لأجلهِ ، وهو أيضاً توثيق للعلم والمعرفة ، وتأصيل للقاعدة سواء أكانت لغوية كعلوم اللغة العربية صوتها وصرفها ونحوها ودلالاتها ومعجمها ، أم علوم الأدب والبلاغة ، أم أصناف العلوم الاخرى الانسانية والعلمية.

والأمر اللافت في (البيان والتبيين) السعة والكثرة في الاستشهاد بالشعر ، وهذا لا يعني تفرُّد كتابه هذا – موضوع البحث – بالشواهد الشعرية ، فقد حظيت بعض مؤلفاته بالاهتمام ولاسيما بشواهدها الشعرية ودراستها ، ولكن مجالات التوظيف أو الدراسة كانت أدبية وبلاغية ونقدية [2]. وتُعدّ منظومة الشواهد بأنواعها : القرآنية ، والقراءات القرآنية ، والشعرية ، والنثرية عينات للدراسات المختلفة فهي أدلة لبناء نظرية معرفية ، والبرهنة على صحة ما يؤسَّس من قواعد. وسنقسّم بحثنا بحسب مجالات التوظيف اللغوي للشاهد الشعري في كتاب الجاحظ (البيان والتبيين) وعلى أربعة محاور هي (الصوتي ، وما يتصل بالالفاظ المفردة واستعمالاتها ودلالاتها ، والتراكيب النحوية ومتعلقاتها).

أولاً : التوظيف الصوتي للشاهد الشعري

يُعدّ علم الاصوات المستوى الاول من مستويات دراسة اللغات ومنها لغتنا العربية ، والصوتُ عموماً موجات وذبذبات تنتج عن اهتزاز الأجسام المختلفة ، أما الصوت اللغويّ فهو الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن جهاز النطق بدءاً من الرئتين وانتهاءً بالشفتين [3]. ويمثل الصوت اللغوي الاساس في مستويات اللغة فمنه تتكون الكلمات ، ومن الكلمات تتكون الجمل والتراكيب ، وقد حظي علم الاصوات بعناية كبيرة من اللغويين وعلى مختلف العصور ، ويُذكر أن العرب من الامم المتقدمة في دراسة أصوات لغتهم يشاركهم في ذلك الهنود [4] ولسنا في مقام التفصيل بهذا العلم ، وأقسامِهِ في بحثنا ، بل سنقيّد ذلك بما توافر من شواهد شعرية وظّفها الجاحظ تدخل في علم الأصوات وبحسب ما تمثّل به من تلك الشواهد ، وقد احتلّت (عيوب النطق) مساحة واسعة : عرضاً ،

ومصطلحاً ، وتحليلاً ، وشواهد شعرية تشكل ظاهرة بارزة في هذه المسألة ، وقد توجّهت جهود الباحثين المحدثين لدراستها [5] أما بحثنا فيتوجّه الى الشاهد الشعري وتوظيفه في المحور الصوتي سواء أكان في عيوب النطق أم في غير ذلك من المسائل الصوتية.

ومما لا خلاف فيه ويُعدّ حقيقة علمية ثابتة أن للعرب جهوداً كبيرة في دراسة لغتهم بمستوياتها المتعددة ، أفرزت مؤلفات متخصصة فضلاً عن الموسوعية ، وجهودهم في الدراسات الصوتية موضع اهتمام الباحثين وعنايتهم واعتزازهم بما وصل إلينا من مؤلفات تدل على ادراكهم وثقافتهم ودقتهم في دراسة لغتهم وما توصلوا اليه من نتائج طيبة تكشف عن عمق التفكير العلمي والإحاطة بجوانب لغتهم. وتُعدّ عيوب النطق – بوصفها ظاهرة بارزة في البيان والتبيين – من المسائل التي لم يغفل عنها اللغويون العرب مع التعدد في التسمية أو الاصطلاح [6] وذلك لحرصهم على الفصاحة والبيان ، ولمّا كانت اللغة صوتاً أو بنية أو تركيباً أداة من أدوات التعبير والاتصال بين الناس ليعبر بها كل قوم عن أغراضهم – كما قال ابن جني (ت 392 هـ)[7] فقد أولوها عناية وصولاً إلى أهم وظائفها كونها وسيلة التعبير ونقل الافكار والمشاعر ، ولأجل الدقة في التعبير لا بُدّ من الاستعمال الصحيح للغة وتأدية أصواتها وألفاظها بشكل لا لبس فيه ، فاذا حدث اختفاء لصوتٍ ما عند أحدهم سببه قصور وظيفي في جهازه النطقي سيؤثر ذلك في إفهام الآخرين بما يُريد وهذا من عيوب النطق و ((يقصد بعيوب النطق ما يطلق عليه بعضهم : أمراض الكلام .... وهو الإخفاق في عملية الكلام لعجز المتكلم عن إيصال الفكرة الى السامع بشكل سَويّ))[8] وهذا ما تنبّه إليه العرب القدماء ، فنجد إشارات دقيقة ومُفصّلة في مؤلفاتهم [9] ونجد الجاحظ – ولشدّة اهتمامه بالفصاحة والبيان – قد افتتح كتابه (البيان والتبيين) بالاستعاذة من أُمور كثيرة ومنها عيوب النطق وآفات اللسان أو أمراض الكلام ، متضرعاً إلى الله في السلامة منها ، وذلك لاتصال الأصوات بالالفاظ والتراكيب ، وأيّ خلل في تأدية الأصوات يؤثر في دلالات الالفاظ ، ومن ثَمّ التراكيب ، أي في الأداء اللغويّ بصورة عامة فهذه العيوب بأنواعها تدل على فساد الألسن ، يقول الجاحظ : ((... كما نعوذ بك من العيّ والحَصَر ، وقديماً ما تعوّذوا بالله من شرهما ، وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما))[10] وقد أورد سبعة أبيات شعرية [11] منها قول الشاعر النمر بن تولب [12] :

أعِذني ربِّ مِن حَصَرٍ وعِيّ ومِن نفسٍ أُعالجُها عِلاجا

فقد ورد المصطلحان الصوتيان (الحَصَر والعِيّ) وهما من عيوب اللسان ويبدو مفهومهما واحداً إذ يُقال : حَصِرَ حَصَراً ، أي : عَيِيَ ولم يقدر على الكلام ، فالعيّ ضد البيان [13].

– اللُّثْغة – بضم فسكون – من عيوب اللسان بتصيير الراء غيناً أو لاماً أو ذالاً أو ياءً ، أو بتصيير السين ثاءً [14] ومصطلح (اللُّثغة) من المصطلحات الصوتية المعبرة عن فقدان صوت من الأصوات (فونيم من الفونيمات) إدراك معاني الكلمات وفهمها. ويذكر الجاحظ الحروف (الاصوات) التي يقع فيها اللثغ ويبيّن درجة قبحها ، ومَن توجد فيه ، فيقول : ((واللثغة في الراء تكون بالغين والذال والياء ، والغين أقلها قُبحاً ، وأوجدها في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم))[15] وما يحكم به الجاحظ من أحكام في النقد الصوتي إنما هدفها ((الحاجة الى حسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة))[16] فالغين أقل قُبحاً في اللثغ ، ثم يذكر

قبيحها وشنيعها وهذا ما عرف به واصل بن عطاء الذي قال فيه الجاحظ بأنّه : ((ألْثَغٌ فاحشُ اللّثغ وإنّ مخرج ذلك منه شنيع ... وإن البيان يحتاج الى تمييزٍ وسياسةٍ ... وعَلِمَ واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام ، واللسان المتمكن ، والقوة المتصرفة ...))[17] وقد أورد الجاحظ شاهداً شعرياً لبشار بن برد فيه هجاء لواصل لما عُرِف عنه من شناعة في اللثغ ، وهو قوله [18] :

ما لي أُشايعُ غَزّالاً لَهُ عُنُقٌ كنِقْنِقِ الدَّوِّ وإنْ ولّى وإن مَثَلا

إن لثغة (واصل بن عطاء) جَعَلَتْهُ يتجنبُ الالفاظَ التي ترِد فيها الراء ، الأمر الذي يُحدِثُ لبساً أحياناً ، وبُعداً عن الفصاحة في أحيان أخرى ، فإذا أراد (البُرّ) – بضم الباء – قال : القمح أو الحنطة ، والبُرّ أفصح.

يقول الجاحظ : ((وكان إذا أراد أن يقول البُرّ قال : القمح أو الحنطة ، والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية ، هذا وهو يعلمُ أن لغة من قال بُرّ أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة ...))[19] وفي المعجم تُفسَّر الحنطة بانها البُرّ وبالعكس [20] وقد وظف الجاحظ بيتين من الشعر يُشيران الى جودة البُرّ وكونه أفضل في إكرام الضيف ، والمديح لمن يُقَدِّمه أو يأكُلُهُ ، البيت الأول لأبي ذؤيب الهذلي [21] :

لا دَرَّ دَرّيَ إنْ أطعمتُ نازِلَهم قِرَفَ الحَتِيّ وعندي البُرُّ مكنوزُ

فالشاعر يفتخر بإطعامه الضيوف البُرّ وليس الحَتِيّ (القشور).

والبيت الثاني قول الشاعر :

إلى رُدُحٍ من الشّيْزى عليها لُبابُ البُرّ يُلبَكُ بالشِّهادِ

وأراد بـ (الرُّدُح) الجفان الكبيرة ، والشيزى خشب أسود تُصنع منه الجِفان أو القِصاع ، والشِهاد جمع شَهْد وهو العسل [22].

كما أورد بيتين من الشعر قيلاً فيما يلثغ به واصل بن عطاء وهما [23] :

ويجعلُ البُرَّ قَمْحاً في تَصرُّفِهِ وجانبَ الراءَ حتى احْتالَ لِلشَّعَرِ

ولم يُطلقْ مطراً والقولُ يُعجِلُهُ فَعاذَ بالغيثِ إشفاقاً من المَطَرِ

والشاهدان يصفان هروب واصل بن عطاء من اللثغة بعدولِهِ من البُرّ الى القمح ، ومِنَ المطرِ الى الغيث ، ومما لا شك فيه أن فرقاً دلالياً بين هذه المفردات ولم تكن مترادفة تماماً.

وقف الجاحظ أيضاً عند أثر سقوط الثنايا وفقدانها عند بعض الناس في الإبانة عن المعنى وما تسببه من لثغ ، فقال : ((فكم تظنهم – أكرمك الله – فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا))[24]. مستشهِداً ببيتين من الشعر في اللثغ عند فقدان الثنايا ، وهما للشاعر ابي الهنديّ [25] :

سقيتُ أبا المُصَّرح إذ أتاني وذو الرَّعثاتِ مُنْتَصِبٌ يَصيحُ

شراباً تهرُبُ الذِّبّانُ مِنهُ ويلثغُ حين يشربُهُ الفصيحُ

وهذان الشاهدان في اللثغ لسقوط الثنايا ، وأراد الشاعر بـ (الرَّعَثات) مفردها رُعثة – بالضم والفتح – عثنون الديك – وقد سقى النبيذ الحلو الذي تسقط عليه الذبان ، في حين تهرب من الحامظ (الحازر)[26].

ثم استدرك الجاحظ فذكر رأياً آخر لبعض العلماء وهو قوله : ((إنّ سقوط جميع الأسنان أصلحُ في الإبانة عن الحروف ، منه إذا سقط أكثرها وخالَفَ أحد شطريها الشطر الآخر))[27] ثم عرض الجاحظ أقوالاً وأخباراً في تأييد هذا الرأي ولكنه لم يأتِ بشاهد شعري [28].

وما يتصل بحال الأسنان وأثرها في إبانة الكلام حدوث (الصفير) من موضع الثنايا الساقطة أو المنزوعة ، ((وعند النطق بها تقترب الاسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلّا منفذ ضيّق جداً))[29] ولكن ما أراده الجاحظ فيما ذكره ليس صفير السين ، وإنما ما يحدث من صفير بسبب سقوط الاسنان ، فقال واصفاً خطبة لأحد الخطباء فضّلهُ بحسُن المخرج والسلامة من الصفير لسلامة أسنانه ، ثم أورد شاهداً شعرياً [30] :

قَلَّتْ قَوَادِحُها وتمَّ عديدُها فَلَهُ بذلك مَزِيَّةٌ لا تُنكَرُ

إنّ الأصوات – أو الحروف كما اصطلح اللغويون العرب [31] – التي تدخلها اللثغة قد أدركها الجاحظ وذكرها قائلاً : ((وهي أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء))[32] ثم أوضح كيفية ذلك وأمثلته المحددة بألفاظ معينة ، فاللثغة في (السين) تكون (ثاءً) كما في (بسم الله) يقولون : (بثم الله) ، وفي (القاف) يجعلونها (طاءً) كما في (قال لي) يجعلونها (طال لي) ، وفي (اللام) يحولونها (ياءً) كقولهم في (جَمَل) : (جَمَي) ، فهذه الاصوات أو الحروف موضحة بكلمات [33] ونجد الجاحظ عندما عرض اللثغة في الراء جاء بشاهد شعري واحد لما تصير اليه الراء من أصوات : ذالاً ، أو طاءً ، أو غيناً ، أو ياءً كقول الشاعر في جعل الراء ذالاً :

وأُسْتبَدَّتْ مَرَّةً واحدةً إنّما العاجِزُ مَنْ لا يَسْتبِدّ

فقال : (واستبدّتْ مَذّةً واحدةً)... فنطق الراء ذالاً. وقد تصير الراء ظاءً ، وفي البيت نفسه (مَظّةً واحدةً) ومنهم من يجعلها غيناً... (واستبدّتْ مَغّةً واحدةً) ((كما أن الذي لثغَتَهُ بالياء إذا أراد أنْ يقولَ : (واستبدّتْ مرةً واحدةً) يقول : (واستبدّتْ مَيّةً واحدة)))[34].

وما يحدث من تحولات للصوت سببه خلل في عضو من اعضاء النطق ليس في (اللثغة) فحسب بل في عيوب النطق الأخرى ذلك أنّ ((الوظيفة اللغوية لكل عضو من أعضاء النطق تنحصر في الدور الذي تقوم به في أثناء النطق أو إصدار الكلام فاذا حدث طارئ ما لأي عضو اختل الصوت الذي يسهم هذا العضو في إنتاجه وتغيّرت صورته تماماً))[35] وما ذكره الجاحظ من مسائل تؤثر في طبيعة الصوت وصيرورته الى صوت آخر إنما يكون بفعل عيب ما في عضو ما وكما أشرنا الى سقوط الثنايا أو فقدانها ، أو الأسنان وما تؤديه من وظيفة وهي ((وظيفتها اللغوية فتتمثل في إخراج بعض الأصوات اللغوية بمشاركة اللسان أو الشفة... وسقوط الاسنان أو اختلال تركيبها يؤدي غالباً إلى اضطراب الخصائص النطقية والفيزيائية لكثير من الأصوات))[36].

إنّ ما يحدث للأصوات اللغوية بسبب عيوب النطق يُعدُّ نوعاً من استبدال وحدة صوتية بأخرى ((ولعلّ الجاحظ (255 هـ) من أوائل علماء العرب الذين أولوا سلامة النطق العناية الفائقة ، لأنها ذات صلة وطيدة بنظريته في البيان))[37].

وما ذكره من عيوب نطقية تندرج تحت أنواع بحسب اسباب حدوثها ، كالأسباب الفسيولوجية التي تتعلق بأعضاء النطق ومنها (اللثغة) إذ يخرج الصوت من غير مخرجهِ ، كما تبيّن ذلك مشفوعاً بأمثلته وشواهده الشعرية

، ولم يتعلق الأمر بما حدث من لثغ وصورهِ ، بل يتعداه إلى إيراد الشواهد والأخبار في نفور العرب من ذلك الى درجة أن رجلاً طلّق زوجته لأنها لثغاء ، حِرصاً على ذريته من هذا العيب ((فقال :

لثغاء تأتي بِحَيْفسٍ لَثِغٍ تميسُ في المَوْشِيّ والمُصبَّغِ

الحَيْفَس : الولد القصير الصغير))[38] فهذه المرأة مع كونها لثغاء تتبختر بثوبها المُوَشَّى المزخرف الملوّن إمعاناً في السخرية من عدم بيانها وفصاحتها وكيف أنها تعتني بثوبها وتتجمّل ولم تُبالِ لمنطقها وفصاحتها ، ومن العيوب النطقية الأخرى الناتجة عن اسباب فسيولوجية – عضوية – لها صلة باللثغة وأنواعها كالتمتمة والفأفأة وغيرها ، وقد ذكرها الجاحظ ، وسنقف عندما جاء موثّقاً بالشاهد الشعري منها :

– ما يحدث من تردد في اللسان عند نطق التاء (التمتمة) ((وهي رد الكلام إلى التاء والميم ، والرجل تمتام ، والمرأة تمتامة ، وصوتا الحكاية التاء والميم وكرر المقطع للترجيع))[39] ، أما في (الفاء) فيُسمى صاحبها بـ (الفأفاء) ومصطلحها (الفأفأة).

يُقال : رجل فأفاة مردد الفاء ومكثره في كلامه ، وجيء بالهمزة في حكاية الصوت للتوهم ، ثم تكرر المقطع للترجيع [40].

وقد ذكر الجاحظ فيهما (التأتأة والفأفأة) شواهد شعرية متعددة ، منها قول الشاعر وقد جمعهما معاً في قوله [41] :

لَسْتُ بِفأفاءٍ ولا تَمْتَامِ ولا كثيرَ الهُجْرِ في الكلامِ

– العجلة في الكلام ، ويوصف صاحبها بـ (اللِّجْلاج أو اللَّجْلَج) ، واللجلجة والتلجلج : التردد في الكلام وإدخال بعضه في بعض فلا يبين [42] ويُعابُ المرء ولاسيما الخطيب بهذا العيب ، وفي ذلك وظّف الجاحظ شاهداً شعرياً لبيان كونه عيباً نطقياً لا ينبغي لمن يتصدى للخطابة الاتصاف به ، وهو في قول الشاعر [43] :

ليسَ خطيبُ القومِ بأ للِّجلاجِ ولا الذي يزحَلُ كالهِلْباجِ

فالخطيبُ لا يكون متردداً في كلامهِ ، ولا زالّاً عن مقامهِ ولا شديد الحمق ، وهذا من أدلة اهتمام العرب بالخطابة وأثرها في حياتهم الاجتماعية والثقافية والأدبية.

– ويدخل عيب (اللَّفَف) من حيث المفهوم مع (العَجَلة ، أو اللَّجْلَجَة) كونه دالاً على تداخل الكلام مع بعضه فترددهِ ((إذا أدخَلَ الرجلُ بعض كلامهِ في بعض فهو ألَفٌّ ، وقيل : بلسانهِ لَفَفٌ :

كأنَّ فيه لَفَفاً إذا نَطَقْ مِن طُوْلِ تحبيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

كأنه لمّا جلس وحدهُ ولم يكن له من يُكلِّمُهُ وطال عليه ذلك ، أصابَهُ لَفَفٌ في لسانهِ))[44].

يقول الفيروز آبادي (ت 817 هـ) : ((رجلٌ ألَفٌّ بيِّنُ اللَّفَفِ : عَيِيٌّ بطيء الكلام ، إذا تكلّم ملأ لسانُهُ فَمَهُ))[45] أما السبب الآخر الذي ينتج عنه عيب نطقي أو عدم وضوح الالفاظ ومعانيها فقد أشار اليه الجاحظ متمثلاً بما ظهر على ألسنة غير العرب الذين يتحدثون العربية ، ومما لا شكَ فيه ولا خلاف أنّ مَن يتعلّم لغةً غير لغته الأُمّ لا تصفو لغته الجديدة مهما بلغ من قدره وتَمَكُّن ، إذ تبقى مؤثرات لغته الأُمّ ، والعكس صحيح فالعربي اذا تعلّم لغة أخرى لا يصل في نطقها الى مرحلة متقدمة ومثالية ، فالأعاجم لا يستطيعون النطق الصحيح

وإخراج الاصوات من مخارجها بالدقة المعروفة في العربية ، فضلاً عن وجود أصوات عربية ليست لها نظائر في اللغات الأخرى ، وهذا سيؤثر في نطق اللغة ، فيحدث تشويه للأصوات والألفاظ المتضمنة لها ، وهذا عُدّ من عيوب النطق ، ومن هذه العيوب ما يحدث من استبدال صوت بآخر ، يقول الجاحظ : ((يعتري أصحاب اللَّكْنِ من العَجَم ومَن يُنَشَّأ من العرب مع العجم))[46] وقد جاء ببيت شعريّ وهو قول الشاعر [47] :

فَتَىً زادَهُ السُّلْطانُ في الودِّ رِفْعَةً إذا غَيَّرَ السُّلْطانُ كُلَّ خَلِيلِ

ثم كشف عن (اللُّكْنَة) التي تظهر في كلام زياد الأعجم ((فكان يجعلُ السين شيناً ، والطاء تاءً فيقول : فَتىً زادَهُ الشلتان))[48] أي أن صوت السين استبدل بالشين ، والطاء بالتاء – أي ان كلمة السلطان تُنطق (الشُلتان) فاللَّكن بنطق السين شيناً ، والطاء تاءً ، وهناك استبدال آخر للقاف كافاً ((وقال بعض الشعراء في أُمّ ولد له ، يذكر لُكنتها :

أوَّلُ ما أسمعُ منها في السَّحَرْ تذكيرها الأُنثى وتأنيثُ الذَّكَر

*** والسَّوْءَةُ السَّوْآء في ذِكْر القمر ***

لأنها كانت اذا أرادت أن تقول القمر : قالت : الكمر))[49].

ولم يكتفِ الجاحظ بالأصوات التي يحدث فيها استبدال والمجيء بالشاهد الشعري ، ولكنه يوضح مصطلح (اللُّكْنة) فيقول : ((يُقال في لسانهِ لُكنة إذا أدخل بعض حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأوّل))[50] وهذا اتفق عليه اللغويون القدماء والمحدثون مفهوماً ومصطلحاً ، فاللكنة تعني العجمة وعدم الإبانة في الكلام بسبب عدم إقامة الأصوات العربية الناتجة عن عُجمة اللسان ، فيُقال : رجل ألْكَنْ وأمرأة لكناء [51] وهناك مصطلح آخر ذكره الجاحظ يدل على عيوب النطق وهو (الحُكْلة) وتعني ثقل سببه العجمة أي أن غير العرب يستثقل عليهم اللفظ العربي [52] مما يُؤدي الى العجمة في الكلام فقال : ((فاذا قالوا في لسانهِ حُكْلة فإنّما يذهبون إلى نقصان آلة النطق ، وعَجْز أداة اللفظ حتى لا تُعرَفُ معانيهِ إلّا بالاستدلال))[53] وقد وظّف الجاحظ ثلاثة شواهد شعرية لبيان هذا العيب النطقي ، منها قول الشاعر :

لو أنّني أُوتيْتُ عِلْمَ الحُكْلِ عِلْمَ سُلَيمانَ كلامَ النّمْلِ [54]

وقد تكون عيوب النطق طارئة أو عارضة وليست دائمة وذلك بحسب المقام ، وهذا يكثر بين الخطباء أو مَن يواجه جمهوراً فقد تحدث معه – احياناً – أمورٌ نفسية تمنعه من إتمام الخطبة أو الكلام عموماً ، بسبب ارتباك عند مواجهة الجمهور والخجل أو الرهبة وغير ذلك [55] ومن تلك العيوب (النَحْنَحَة والسَّعْلة)[56] إذ يحدث اضطراب للاعضاء يصعب معه النطق. وقد اورد الجاحظ اكثر من شاهد شعري منها ما يتضمن العوذ بالله من هكذا عيوب ، وهو قول الشاعر :

نعوذُ باللهِ مِن الإهمالِ ومِنْ كَلالِ الغَرْبِ في المقالِ

*** ومِن خطيبٍ دائمِ السُّعالِ *** [57]

فالشاعر يتعوّذ من جملة صفات منها (كلال الغَرْب في المقال) والكَلال : الإعياء ، والغَرْب له معانٍ متعددة كما تشير كتب اللغة ولكن السياق يحدد دلالة واحدة هنا وهي حِدّة اللسان ، أو الغرابة في المقال أي القول [58] وموطن الشاهد الذي ساق الجاحظ البيت لأجله هو ما يُستكره في الخطيب.

ثانياً : توظيف الشاهد الشعري لبيان الالفاظ وما يتعلق بها :

تحتل دراسة الكلمة المستوى الثاني من مستويات الدراسة اللغوية ، ولها أهمية كبيرة – أعني الكلمة – فهي موضع اهتمام علم الصرف العربي ، والموضوع الاساس فيه ، وهي أيضاً الجزء الذي تتكون منه الجمل والتراكيب ، ولا تقوم دراسة نحوية بدون انتظام الكلمات في تركيب نحويّ معيّن ، وتُدرس الكلمة في المعجم ، وتتوضح معالمها أصلاً اشتقاقياً ، واستعمالاً ، ودلالات مختلفة فالمعجم يجمع مفردات اللغة بغض النظر عن الأساس المنهجي في الجمع والترتيب ، والكلمة أيضاً تُعدُّ أهم الوحدات الدلالية في علم الدلالة لانها تُشكِّل أهم مستوى اساسي للوحدات الدلالية المتكونة من (الكلمة المفردة ، والتركيب وغيرهما)[59]. وسنقف عند الكلمات أو الالفاظ بحسب ما ورد من شواهد شعرية عند الجاحظ ، وستكون في فقرتين ، الاولى : اشتقاق الالفاظ ، والثانية : دلالات الالفاظ.

1- اشتقاق الالفاظ :

بعد أن تبيّن في المبحث الاول التوظيف الصوتي للشاهد الشعري عند الجاحظ وما تمكّنا من رصدهِ من مسائل مشفوعة بشواهدها الشعرية سنوضح ما يتصل بالالفاظ المفردة وهذا سيكون بحسب ما جاء في البيان والتبيين ، إذ وردت مواضع كثيرة تدخل في موضوع الاشتقاق مفهوماً وتطبيقاً ، والاشتقاق – كما هو معروف – انتزاع لفظ من آخر مع الاتفاق في ترتيب الحروف الأصول ، والمعنى العام [60].

وهناك مسائل متعددة يمكن إدراجها تحت مصطلح الاشتقاق في أثناء معالجات الجاحظ لبعض الالفاظ ، ومن تلك المسائل محاولة إرجاع الالفاظ الى أصولها الاشتقاقية التي أُخذتْ منها ، فنجد الجاحظ يقف – احياناً – عند لفظة وردت في بيت شعري فَيبيّنُ أصلها الذي اشتقت منه ليكشف عن دلالتها ، كقول بشر بن ابي خازم [61] :

فأمّا تميمٌ تميمُ بن مُرّ فألفاهُمُ القومُ رَوْبى نِياما

والسياق الذي ذكر الجاحظ فيه هذا البيت هو عن القتال أو الحرب ، واللفظة التي وقف عندها هي (رَوْبى) فقال موضحاً ما أراد الشاعر ان يعبر عنه ، فقال :

((يقول : شرِبوا الرائب من اللبن فَسَكِروا منهُ ، وهو اللبن الذي قد أَدرَكَ ليُحمَض. يُقال منه : راب يروب رَوْباً ورَءوَباً [كذا] ، ورُؤْبةَ اللبن : خميرة تُلقى فيه من الحامض. ورُؤبة الليل : ساعة منه. يُقال : أهرقَ عنّا من رُؤية الليل))[62]. وكما نلاحظ كيف أخذ الجاحظ الوجوه الاشتقاقية للفظة وما له علاقة بأصلها الاشتقاقي فذكر الفعل الماضي والمضارع (راب يروب) والمصدر (رَوْباً) و (رَءوَباً) ويبدو أن وَهماً أو خطأً طباعياً وقع ، إذ لا يوجد مصدر لـ (راب) رَءوَباً فيما ذكرته كُتب اللغة ، والصواب رُؤوباً على وزن (فُعُولاً)[63]. ولم يغفل الجاحظ عن

طبيعة العلاقات الدلالية للفظة التي يقف عندها فقد ذكر المشترك اللفظي لـ (رُؤبة) فهي الخميرة ، والساعة من الليل ، وفي كتب اللغة رُوْبة بضم فسكون بدون همزة ، اما الراء فتُفتح وتُضمّ ، والغالب ضمها وهي اسم [64].

ويُعدّ تعليل التسمية التي جاءَت عليها اللفظة صورة من صور إرجاعها لأصولها الاشتقاقية وهذا مما حظي باهتمام اللغويين العرب [65]. ومما وجدناه عند الجاحظ : ((البُعيث الشاعر ، وإنما قيل له البُعيث لقوله [66] :

تبعَّثَ مني ما تبعّثَ بعد ما أَمِرَّتْ حبالي كُلَّ مِرَّتِها شَزْرا

وكما نلاحظ العلاقة الاشتقاقية بين الاسم (البُعيث) وهو مُصَغّر ، والعلة في ذلك ، فالشاهد الشعري ورد فيه الفعل الماضي المزيد (تبعَّث) الذي تكرر مرتين ، والعلاقة واضحة بين الاسم والفعل وهي اشتراكهما في الحروف الاصول (ب ، ع ، ث) وفي التعليل بيان للاصل الاشتقاقي للالفاظ. ومما ورد أيضاً تعليل تسمية (الخَطَفى) ، ((وهو جد جرير بن عطية بن الخَطَفى ... وإنما سُمّي الخَطَفَى لأبيات قالها ، وهي :

يَرْفَعْنَ بالليلِ إذا ما أَسْدَفا أعناقَ جِنَّانٍ وهَاماً رُجَّفا

*** وَعَنَقاً باقي الرسيمِ خَيْطَفا ***

... والخيطف : السريع اي يخطِفُ كما يخطِف البرق ، وخَيْطَف من الخطف ، والياء في خَيْطف زائدة ، كما قالوا : صَيْرَف من الصرف ... وأصل الخطف الأخذ في سرعة ثم استعير لِكلّ سريع))[67] فبعد ان ذكر عِلّة التسمية لـ (الخَطَفَى) أشار الى معناها (السريع) وما كان زائداً من أحرفها وهو الياء ، وما يناظرها من الالفاظ المزيدة بالياء (صيرف) ، ثم كيف تطورت دلالتها وانتقلت من التضييق الى التوسيع ، إذ دلّت على كل سريع ، بعد أن كانت تدلّ على الأخذ بسرعة.

2- دلالات الالفاظ :

تُعدّ الكلمات الوحدات الاساسية لعلم الدلالة ، وتتنوع دلالاتها وقد أشار إلى ذلك الجاحظ مع الشواهد الشعرية فهناك دلالة مركزية معجمية ، وهناك دلالات اخرى متنوعة سنقف عند بعضها بما يتوافق مع رؤية البحث ويلتزم به.

- **الدلالة المعجمية** : وهي دلالة الكلمة في المعجم وتكون ثابتة [68] ومن الالفاظ التي ذكر الجاحظ دلالتها المعجمية لفظتا (مكاء وتصدية) في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)[69] فقال : ((فالتصدية : التصفيق ، والمُكاء : الصفير أو شبيه بالصفير ولذلك قال عنترة :

وحليلِ غانيةٍ تركتَ مُجَدَّلاً تمكو فريصتُهُ كَشَدْقِ الأعلمِ))[70]

فجاء الشاهد الشعري تعضيداً للدلالة المعجمية للفظة واحدة وردت في الآية القرآنية وهي (مُكاء) في حين اكتفى ببيان الدلالة المعجمية للفظة الأخرى ولم يأتِ لها بشاهد شعري وهي (تصدية).

وقد تتعدد الدلالات لبعض الألفاظ وتختلف ومنها لفظة (خِنْذِيْذ) ، يقول الجاحظ : ((وقد زعم ناسٌ أن الخنذيذ من الخيل هو الخصيّ ، وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر :

يا ليلتي بالخَبْتِ لم أرَ مثلَها أمَرَّ قِرى منها وأكثر باكيا

وأكثر خِنذيذاً يجرُّ عِناتَهُ إلى الماءِ لم يَتْرُكْ له السيَّفُ ساقيا

وقال بشر بن أبي خازم :

وخِنذيذٍ ترى الغُرْمُومَ منه كطيّ الزِّقِّ علَّقهُ التِجارُ

وأبين من ذلك قول البُرْجُمِيّ :

*** وَخَناذيذَ خصيّةً وفُحُوْلا ***

ويدلُّ على ما قُلنا قول القيسيّ :

دَعوْتُ بني سَعْدٍ إليَّ فشمَّرتْ خَناذِيذُ من سَعْدٍ طِوالُ السَّواعِدِ))[71]

يتضح لنا أن الجاحظ أورد أربعة شواهد شعرية موطن الشاهد فيها لفظة (خِنذيذ) وهو لا يتفق مع القائلين بدلالتها على الخصيّ من الخيل بل يرى العكس بقول الشاعر في البيت الأول صفة الخنذيذ (يجرُّ عِنانه) دلالة على فحولته ؛ وأكد هذه الدلالة بشاهد آخر لبشر بن ابي خازم (وخِنذيذٍ ترى الغُرمُول منه) والغُرْمُول الذكر الضخم الرِّخْو [72] ثم جاء بالشاهد الثالث لتوكيد المعنى الذي يراه ويؤيده وهذا الشاهد – أعني (خناذيذ) في قول البُرْجُميّ ، ويرى بعض اللغويين أنه ((أراد بها الكرام من الخيل مطلقاً))[73] وإمعاناً في إثبات رأيه في دلالة (الخنذيذ) أورد شاهداً رابعاً وهو قول القيسيّ ، وهذه اللفظة لها دلالات متعددة في كتب اللغة : ((الخِنذيذ كصِندِيد : الشُّعبة من الجبل ، والعالي من رؤوس الجبال ، والفحل ، والخصيّ من الخيل ضدّ ، والكريم منها ...))[74] فهذا من المشترك اللفظيّ إذ تتعدد الدلالات للفظة الواحدة ، والسياق يُفصحُ عن دقة الدلالة لهذه اللفظة في الأبيات الشعرية التي أوردها الجاحظ ، ومما لا شكّ فيه أن المعجم العربي لم يهمل أثر السياق في تحديد الدلالات المتعددة للفظة الواحدة ، فهو يرصد هذا التنوع ولم يكتفِ ببيان الدلالة المعجمية المركزية فقط وهذا الحكم تُنبئ عنه المعجمات العربية ، ولا نكاد نجد من يناقض ذلك ، فالمعجم يهتم بالألفاظ ويصف أحوالها وتغيراتها ودلالاتها وسياقاتها.

والأمر اللافت أن الجاحظ يوجّه اهتمامه للفظة ما من دون غيرها في شواهده الشعرية ، من ذلك لفظتا (خَلْف وشَغْب) في قول لبيد بن ربيعة العامريّ [75] :

ذَهَبَ الذينَ يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ

يتأكَلونَ مغالةً وخِيانةً ويُعابُ قائلهُم وإنْ لم يشغَبِ

في هذين البيتين وجّه الجاحظ عنايته للفظتين فقط ، اللفظة الأولى في البيت الاول (خَلْف) قائلاً : ((والخَلَف : البقية الصالحة من ولد الرجل وأهله. والخَلْف ضِد هذا))[76] إذ إنّ اختلاف حركة اللام بين سكون وفتح له اثر دلالي فالفتح يدل على الخير والصلاح ، والسكون على الضد من ذلك يدل على السوء والفساد ، وهذا المعنى ذهب اليه الخليل (ت 175 هـ) قائلاً : ((والخَلْفُ : خَلْفُ سوء بعد ابيه ، ... والخَلَف : من الصالحين ، ولا يجوز أن يُقال : من الأشرار خَلَفٌ ، ولا من الأخيار خَلْفٌ))[77] وقيل : إنهما سواء [78] ، اما اللفظة الثانية فهي (الشَّغْب) التي ورد فعلها المضارع (يشغب) في البيت الثاني من بيتيّ لبيد ، ولكنه لم يوضح معناها كما فعل مع (خَلْف) بل اكتفى بشاهدين وردت فيهما مرة مصدراً على بناء فَعَل – شَغَب

– بفتح العين ، وأخرى على صيغة الفعل المضارع المزيد (تُشاغِبُ) والمصدر (شِغاب) يقول الجاحظ : ((وقال زيد بن جندب في ذِكر الشَّغْب :

ما كان أغنى رجالاً ضلَّ سَعْيُهُمُ عن الجدالِ وأغناهُمُ عن الشَّغَبِ

وقال آخر في الشَّغْب :

إني إذا عاقبتُ ذو عِقابِ وإن تُشاغِبْني فذو شِغابِ))[79]

وكما يتضح أن الجاحظ خَصّ (الشَّغْب) بسكون الغين في التمثيل بالبيتين اعلاه ، ولكنهُ لم يأتِ باللفظة ذاتها من حيث الضبط أو الشَكْل بل جاء بفتح الغين ، وبالمضارع المزيد بالالف ومصدره ، ويبدو المعنى المعجمي من سياق البيتين أنّ ((الشَّغْب : تهييج الشر))[80] ، وقيل : الشَّغْب والشَّغَب بمعنى واحد [81] والألفاظ التي وردت من الجذر (ش ، غ ، ب) فيما ذُكر من أبيات شعرية وبتنوع ابنيتها لا تخرج عن هذه الدلالة وهي تهييج الشر. ومن الامثلة الاخرى على عناية الجاحظ واهتمامه بألفاظ معينة فيما يورد من شواهد شعرية ، ما ذكره من قول للشاعر لبيد :

وأبيضَ يجتابُ الخُرُوقَ على الوَجى خطيباً إذا التفَّ المجامِعُ فاصلا))[82]

قال الجاحظ : ((يجتاب : يفتعل من الجَوْب وهو أن يجوب البلاد ، اي يدخل فيها ويقطعها. والخروق : جمع خَرِق ، والخَرِق : الفلاة الواسعة. والوجى : الحفا مقصور كما ترى ، وإنه ليتوخّى في مشيتهِ وهو وجٍ))[83] وهنا نجد منهجاً آخر في التعامل مع البيت الشعري إذ ذكر الجاحظ وزناً صرفياً للفظة في البيت ، والمفرد من الجمع للفظة اخرى ، وذكر اسماً مقصوراً مشيراً الى الفاظ اخرى هي (الوجى ، ويتوجّى ، وَوَجٍ) وكلها من جذر واحد (و ، ج ، ي) ثم جاء بشاهد آخر لتعضيد معنى (وجٍ) وهو قول رؤبة [84] :

*** به الرَّذايا مِن وجٍ ومُسْقَطٍ ***

والوجى لغة الحفا أو أشد منه ، وَجِيَ فهو وجٍ ، وأراد بالحفا رِقّة القدم والخفّ والحافر [85].

ومما له أمثلةٌ متعددة وشواهد كثيرة عند الجاحظ مجيؤه بأبيات شعرية يذكرها ، ثم يوضح معاني بعض الفاظها وأصولها الاشتقاقية ، كما في الابيات الآتية [86] :

يا دارُ قد غيرّها بلاها كأنمّا بقلمٍ محاها

أخربَها عُمْرانَ مَنْ بناها وكرّ مُمساها على مَغناها

وَطَفِقت سحابةٌ تغشاها تبكي على عِراصها عيناها

ثم شَرَع بتوضيح بعض الفاظها وهي لفظة (عُمْران) قائلاً : ((أخربها عُمْران من بناها ، يقول : عمرّها الخراب ، وأصل العُمْران مأخوذ من العَمْر وهو البقاء ... فلمّا بقي الخراب فيها وقام مقام العُمْران في غيرها سُمّي بالعُمْران))[87] وعَمَر عَمْراً وعُمْراناً كالبنيان زِنةً ومعنى وهو ما يُعْمَرُ ويُبنى وضد الخراب ، والعَمْر مدة بقاء الشخص أو غيره [88].

وكذلك في لفظة (مَغناها) قال : ((ومَغناها موضعها الذي أُقيم فيه ، والمغاني : المنازل التي كان بها أهلوها))[89] وغير ذلك من الالفاظ [90] فلم يكتفِ بالشواهد الشعرية الثلاثة والكشف عن معاني بعض الفاظها بل جاء بشاهد آخر ذاكراً معنى لفظة من الاصل الاشتقاقي نفسه : عَمْر : عامرات ، قائلاً : ((وقال الشاعر :

يا عجَّلَ الرَّحمنُ بالعذابِ لعامراتِ البيتِ بالخرابِ

يعني الفأر. يقول : هذا عُمْرانها ...))[91] والقائلُ أعرابيّ دَخَل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر [92].

– استعمال الألفاظ في غير ما وُضعتْ له :

اللغة – أيّة لغة – أنظمةٌ وقوانين لها أهمية تعكس صوراً من الالتزام والحرص والتقيُّد للناطقين بها ، وعدم الخروج عنها. وقد رصد النقاد اللغويون العرب أساليب لغتهم لما تمتّعوا به من خبرة ومعرفة وإحاطة بكلامهم ، فتمثّل ذلك كلُّهُ قواعد ومقاييس ، وبانت لهم مواضع الزلل ، ومظاهر اللحن في ترك الصواب في الصياغة أو الاستعمال للالفاظ في غير مواضعها ، والتراث اللغوي العربي حافل بجهود اللغويين الذين حرصوا على سلامة لغتهم ، وتشخيص مواطن الخطأ وتصويبه [93] ، ولم يكن الجاحظ بعيداً عمّا يحدث ، وعمّا يشغل اللغويين والأدباء في عصرهِ ، ونجد ذلك في كتابه البيان والتبيين فقد أفرد بابين في اللَّحن ، الاول (باب اللَّحن) والثاني : (باب من اللّحانين البُلغاء)[94] وجاء مصطلح (اللحن) في هذين البابين متضمناً لألفاظ وقع فيها خروج عن أصل استعمالها – وكل خروج عن مقاييس اللغة وقواعدها يُعدّ لحناً ، سواء أكان في ألفاظها أم تراكيبها ، وسنقفُ عند بعض الالفاظ التي وظّف الجاحظ الشعر لبيان ما فيها من لحن ، فقد ذكر أن عُبيد الله بن زياد قال مرةً لجنودهِ : ((افْتحُوا سُيُوفَكم ، يُريدُ : سُلُّوا سيوفكم فخالف موضع اللفظة ، فالفتحُ لا يُستعمل مع السيوف وإنمّا (السَّلّ) وجاء الجاحظ بشاهد شعريّ ليزيد بن مُفرّغ يهجو فيه عُبيد الله لِمَا وقع فيه من لحن ، فقال [95] :

وَيومَ فتحتَ سيفَكَ مِنْ بعيدٍ أضَعْتَ وكلُّ أمرِكَ للضَّياعِ

فالسَّلُّ لُغةً : إخراج شيء من شيء آخر ، وسَلَلْتُ السيفَ أخرجته من غمدِهِ ، ويُقال : سيفٌ سليلٌ أي مسلول [96]. ولا يُقالُ سيف مفتوح ، ومما وقف عنده الجاحظ كونه لحناً استعمال الفاظ غير عربية لمسميات عربية بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأُمم فذكر عدداً من الألفاظ ، وأشار الى ما يحدث بين اللغويين والشعراء من مُداخلات وردود فيما يتصل بالالفاظ وفصاحتها كقول ((أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : ليستْ لكم معاشر أهل البصرة لغةً فصيحة ، إنّما الفصاحةُ لنا أهل مكة ، فقال ابن المناذر : أما الفاظنا فأحكى الالفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقةً ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم ...))[97] فذكر عدداً من الآيات القرآنية فيها الألفاظ الفصيحة التي ينطقها أهل مكة مخالفة للقرآن الكريم ، ولكنّ الجاحظ لم يأتِ بشواهد شعرية [98].

ومما يلاحظ أن الجاحظ عَدّ استعمال الالفاظ الأعجمية ولها مسميات عربية في الامصار كالبصرة والكوفة والمدينة عدّه لحناً ، في حين جعل إدخال الالفاظ الفارسية – وهي أعجمية – في الكلام العربي ((على وجه التطرُّفِ والتّمَلُّحِ))[99] ، فذكر أبياتاً شعرية في ذلك ((وقد يَتمَلَّح الأعرابيّ بأن يُدخِلُ في شعرهِ شيئاً من كلام الفارسية كقول العُمانيّ للرشيد ، في قصيدتهِ التي مَدَحهُ فيها :

مَن يَلْقَهُ مِن بَطَلٍ مُسَرْنَدِ في زَغْفَةٍ مُحْكمةٍ بالسَّرْدِ

*** تَجُوْلُ بَين رأسِهِ و (الكَرْدِ) ***

يعني : العُنُق))[100] فالشاعر يصف ممدوحه بالبطولة وأنه مُسَرْنَد اي يغلب في الحرب ، وشديد وسريع في أموره ، مرتدياً درعه المحكمة الخرز [101] وهي – أي الدرع – بين رأسهِ وعُنُقهِ ، وقد استعمل لفظة فارسية (الكَرْد) بمعنى العُنُق [102] ومما أورده الجاحظ أيضاً قول يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ [103] :

آبَ أسْتْ نبيذَ أسْتْ عُصارات زبيبَ أسْتْ

*** سُميّة رُوْسَبِيْد أسْتْ ***

وكما نلاحظ الالفاظ الفارسية في هذا الشاهد الشعري ، فـ (آب) الماء و (أسْتْ) بارد وقد كررها ثلاث مرات ، و (الروسبيد) المشهورة أو المعروفة [104].

إنّ تضمين الالفاظ الفارسية في الشعر أو في الكلام عموماً يدلُّ على معرفة هذه الالفاظ والتأثر بها ، فالجاحظ الذي أورد الشواهد الشعرية ذات الالفاظ الفارسية على دراية بتلك الالفاظ وهذا بحكم الاختلاط ، فضلاً عن الإدراك لثقافة عصره وسِعة اطلاعه ، وقد رصدنا اثني عشر شاهداً شعرياً وردت فيها الألفاظ الفارسية [105].

والمتأمِّل لموقف الجاحظ عندما وصف استعمال الالفاظ الفارسية أو الأعجمية عند اهل المدن والامصار كالمدينة والبصرة والكوفة بأنه لحن ، واستعمال تلك الالفاظ في الشعر بأنه مِمّا يتلمَّحُ به الأعرابيّ ويتطرَّف يحدُ أنّ هذين الموقفين نابعان من واقع المجتمع العربي آنذاك ، وكأنّ الأمرَ أصبح مُسَلَّماً به ، ولا سبيلَ لإيقافهِ أو الحدّ منه ، فالاختلاطُ بين العرب والأقوام الاخرى حقيقةٌ تؤثر في جوانبَ مختلفةٍ ومنها اللغةُ ، فاللَّحنُ قد تفشّى على الرغم من النقد والاستهجان ، ومن نتائج ذلك تفكير ((أُولو الأمر ومَن تُهِمُّهُ سلامة العربية بعمل يُحصِّنُ اللغة ، ويعصِمُ الناسَ من السُّقوط في اللَّحن ، فكان أنْ هداهم تفكيرهم الى وضع عِلم يُدلُّ الناس على نظام اللغة في صياغة المفردات ، وتصريف الكلمات ، وبناء الجمل ، وعُرف هذا العلم بالنحو))[106].

ثالثاً : التوظيف النحوي للشاهد الشعري :

النحو بوصفه علماً يدرس التراكيب أو الجمل يعتمد على أنظمة تحكمُهُ ، فالمفردات التي تتكون منها الجمل تربطها علاقات لا يمكن الفصل بينهما ، وبدونها لا يتحقق النظام النحوي ، وما سنقف عندهُ في بحثنا الآلية التي وظّف بها الجاحظ الشواهد الشعرية توظيفاً نحوياً ، وسنبدأ بـ (باب اللّحن)[107] واللَّحن في اللغة ترك الصواب والخطأ في الإعراب ، وله دلالات أخرى ، فاللحن والألحان ضروب من الأصوات الموضوعة ، واللحن أيضاً الفِطنة واللغة [108] ، وأما مصطلح (اللحن) عند الجاحظ بحسب ما تبيّن في كتابه (البيان والتبيين) فمفهومه عام ، مُتابعاً في ذلك اللغويين العرب ، فيشمل ترك الصواب في الالفاظ وصياغتها ودلالتها ، وفي الجمل أو التراكيب ، وللجاحظ مرويات كثيرة بهذا الشأن وأخبار طريفة [109]. ومن المسائل النحوية التي احتجّ لها بالشاهد الشعري ما يأتي :

– ما ذكره من قول لبشر المَرِيسيّ وقد لحن فيه : قال بشر المَرِيسيّ : ((قضى اللهُ لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهْنَؤها)) فقال قاسم التمّار : هذا على قوله :

إنّ سُلَيْمى والله يكلؤُها ضَنّتْ بشيءٍ ما كان يرزؤها

فصار احتجاج قاسم أطيب من لحن بشر))[110] فقول المَرِيسيّ فيه خطأ نحوي وهو رفع كلمة (أهْنَؤها) وحقّها الجرّ كونها معطوفة على مجرور فهي من التوابع التي يتعلق إعرابها بما قبلها [111] وجاء الشاعر قاسم التمّار فذكر البيت الشعري وفيه لفظة (يرزؤها) وهي فعل مضارع مرفوع ولكن المجيء به على غرار تشابه اللفظ مع (أهنؤها) وتشابه الإعراب كونها مرفوعة وحقها الجر ، وفي ذلك فيما يبدو تنبيه غير مباشر لما في قوله من إنحراف عن القاعدة النحوية ، والشاهد الشعري حظي باعجاب الجاحظ فوجدهُ أطيب من لحن المَرِيسيّ.

– ما ذكرهُ في (باب من الكلام المحذوف)[112] وفي هذا الباب أمثلة مختلفة من الحذف لبعض عناصر الجملة او التركيب ، ويُعدّ الذِكر والحذف من الوسائل التي قد تُولّد المعاني في الجمل وبحسب ما يقتضي السياق من اختصار أو حذف أو ذِكر وذلك لأغراض متعددة ومقاصد مُحدَّدة كالاتساع في الكلام أو اختصاره وغير ذلك ، وهذا كلُّه له شروطُه وأنواعُه [113] ومن مواضع الحذف النحوي التي ذكرها الجاحظ مشفوعة بالشاهد الشعري ما يأتي :

– ذكر بيتاً للشاعر عبدالله بن قيس [114] :

ويَقُلْنَ : شيبٌ قد علا كَ وقد كَبُرْتَ ، فقلتُ إنّهْ

وقد اكتفى الجاحظ بذكر الشاهد الشعري تحت عنوان (باب من الكلام المحذوف) ولم يذكر شيئاً عمّا حُذف من الشاهد ، ولكنه بعد ذِكرِهِ إيّاهُ أشار الى قول أحدِهم إلى عبدالله بن الزبير : ((لا حُمِلَتْ ناقةٌ حملتني إليك ، قال ابن الزبير : إنّ وراكبَها))[115]. والشاهد الشعري هذا مما وقف عنده اللغويون في أكثر من مسألة ، ففي وَجْهَي (إنّ) المكسورة المشددّة نجد الشاهد في الوجه الثاني لها ((أن تكون حرف جواب بمعنى نعم ، خلافاً لأبي عبيدة ، أستدلّ المثبتون بقوله : ويَقُلنَ : شيبٌ .... وَرُدّ بأنّا لا نُسلِّمُ أنّ الهاء للسكت بل هي ضمير منصوب بها ، والخبر محذوف ، أي إنّهُ كذلك ، والجيّد الاستدلال بقول ابن الزبير... ((لعن اللهُ ناقةً حملتني إليك : إنّ وراكبَها)) اي نعم ولعن راكبَها ، إذ لا يجوز حذف الاسم والخبر جميعاً))[116] يرى ابن هشام الانصاريّ (ت 761 هـ) أنّ الاستدلالَ بقول ابن الزبير جيدٌ ، وهو مجيء (إنّ) بمعنى (نَعَم) أمّا الشاهد الشعريّ وفيه (إنّهْ) فَمَرْدُودٌ لعدم التسليم بكونِ الهاء للسكت.

ومن الجدير بالذِكْر أن ابن هشام الانصاريّ عندما عرض مسألة (حذف الكلام بجملتِهِ) واطّراد ذلك في خمسة مواضع منها بعد حرف الجواب جاء بالبيت الشعري (ويَقُلْنَ : شيبٌ) قال : ((أما قوله : ويَقُلْنَ : شيبٌ .... فلا يلزم كونه من ذلك خلافاً لأكثرهم لجواز ألّا تكونَ الهاء للسَّكْت ، بل اسماً لـ (إنّ) على أنها المُؤكِّدة والخبر محذوف ، أي : إنّهُ كذلك))[117] أي انّ هذا البيت لا يصحُّ مجيؤهُ في مسألة حذف الكلام بجملتهِ بل حذف بعضه ؛ ولكننا نجده – أيّ البيت السابق – شاهداً في مؤلفات اللغويين العرب على مجيء (إنّ) بمعنى (نعم)[118].

– ذَكَر قول الشاعر [119] [وهو عبيد الله بن قيس الرقيات] :

أزِفَ التَّرحُّلُ غَيْرَ أَنّ رِكابَنا لَمّا تَزُلْ برِحالِنا وكأَنْ قَدِ

وسبقه بقول تضمَّنَ عبارة (وكأنْ قَدِ) واكتفى الجاحظ بذلك أيضاً من دون تعليق أو توضيح ، وهذا البيت من شواهد حذف الفعل بدليل بعد (قَدِ) أي : وكأنْ قد زالتْ ، وتحدّث ابن هشام الانصاري عن هذا الشاهد وموضع الاستشهاد به (وكأنْ قدِ) فهي عنده من الأدوات ((الحرفية المختصّة بالفعل المتصرِّف الخبريّ ، المثبت ، المجرّد من جازم وناصب ، وحرف تنفيس ، وهي معهُ كالجُزء فلا تنفصل منه بِشيء ....))[120].

الخاتمة ونتائج البحث :

– إنّ هناك مسائل لغويةً كثيرةً في البيان والتبيين للجاحظ ولكننا وجّهنا عنايتنا إلى ما جاء موثقاً ومشفوعاً بالشواهد الشعرية. وقد تبيَّن لنا أُسلوب الجاحظ في ذلك ، فبدا متفاوتاً عدداً وعَرْضاً وشرحاً وتوضيحاً وشواهدَ ، فقد يأتي بشواهد شعرية كثيرة في مسألة لغويّة ما شارحاً ومرجِّحاً ، ويكتفي أحياناً بالشاهد الشعري الواحد من دون بيان موطن الشاهد ، وكأنّهُ – أيّ الجاحظ – يتركُ الأمرَ للقارئ لاستكناه ذلك.

– يُشكِّلُ عَرضُ المادة اللغوية مشفوعة بشواهدها بشيء من التوضيح وبتفاوت ملمحاً بارزاً عند الجاحظ ولاسيّما ما لهُ علاقة بالأصوات وعيوب النطق أو (أمراض الكلام) وقد احتلّ ذلك مساحةً واسعةً في كتابهِ (البيان والتبيين) أو ما لَهُ علاقةٌ بالألفاظ صياغةً ودلالةً واستعمالاً وتجرداً وزيادةً وعربياً واعجمياً ، في حين وجدناه يكتفي بالعبارة القصيرة ، واللَّمحة الخاطفة التي تتلو الشاهد الشعريّ أو تسبِقُهُ ، وكانت شواهده الشعرية مما شاع بين اللغويين والأدباء ، وأكثر ما تبيّن ذلك في المسائل النحوية على الرغم من إفراده بابين في اللَّحْن ، الأول (باب اللحن) والثاني (باب من اللّحانين البُلغاء) فجاء البابان وقد قصرتْ فيهما مسائل الشرح والروايات التي وجدناها في مسائل اخرى كعيوب النطق وما يتصل بمصطلحاتها وأمثلتها وأخبارها ، ولاسيما الباب الثاني (باب من اللّحانين البلغاء).

– كشف البحث كثرة الشواهد الشعرية للاستدلال على المسائل الصوتية ، وما يتصل بالالفاظ في حين جاءت الشواهد الشعرية للمسائل النحوية قليلة.

– وردتْ في كتاب الجاحظ (البيان والتبيين) أخبار وطرائف لا تخلو من النظري اللغويّ ، وتصلُح للمعالجة اللغوية ولكننا لم نقف عندها التزاماً بعنوان بحثنا.

– توجد في البيان والتبيين شواهد مختلفة : القرآن الكريم ، والقراءات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، والشِّعر والأمثال والأقوال ، لو دُرِسَتْ هذه الشواهد بأنواعها المختلفة لكانت دراسة علمية شاملة مُؤصِّلةً لآليات الاستشهاد ، وسُبُل التوظيف اللغويّ ، والتوصُّل الى نتائج طيبة ، نأمل توجيه عناية الباحثين الى ذلك.

والحمد لله رب العالمين...

مصادر البحث ومراجعِهِ

أولاً : الكتب المطبوعة :

1– ابنية الصرف في كتاب سيبويه / د. خديجة الحديثي ، مكتبة لبنان – بيروت ، ط/1 – 2003.

2- أسباب حدوث الحروف / ابن سينا (ت 428 هـ) ، شرح وتحقيق فرغلي سيد عرباوي – دار الكتب العلمية – بيروت ، ط/1 – 2011.
3- اشتقاق الأسماء / الاصمعي (ت 216 هـ) ، تح : د. رمضان عبد التواب ... مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط/3 – 2002.
4- الأصوات اللغوية / د. إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – 1971.
5- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم / ابن خالويه (ت 370 هـ) ، دار التربية للطباعة – بغداد – مطبعة منير (د.ت).
6- إعراب القراءات السبع وعللها / ابن خالويه (ت 370 هـ) ، تحقيق : د. عبد الرحمن العثيمين – مطبعة المدني – القاهرة – ط/1 – 1992.
7- أمالي ابن الشَّجري (ت 542 هـ) مطبعة المعارف العثمانية ، حيدر آباد – الدكن – الهند – 1349.
8- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك / أبن هشام الانصاري (ت 761 هـ) ، دار الفكر للطباعة – 1974.
9- البيان والتبيين / الجاحظ (ت 255 هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي بالقاهرة – 1985.
10- التطور النحويّ للغة العربية ، هنري فليش – مطبعة السماح – القاهرة – 1929.
11- الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، د. فاضل السامرائي ، دار الفكر للطباعة – ط/1 – 2002.
12- الجملة العربية والمعنى / د. فاضل السامرائي ، دار ابن حزم – بيروت – ط/1 – 2000 م.
13- خزانة الأدب / عبد القادر البغداديّ (ت 1093 هـ) مطبعة بولاق – 1299 هـ.
14- الخصائص / ابن جني (ت 392 هـ) ، تحقيق : محمد عليّ النجار – ط/4 – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد – 1990.
15- دراسات في علم الأصوات اللغوية ، د. صلاح الدين محمد قناوي ، و د. أحمد طه حسانين سلطان ، دار الفكر العربي – القاهرة – ط/2 – 2009.
16- دُرّة الغواص في أوهام الخواص / الحريري (ت 516 هـ) – مكتبة المثنى – بغداد – (د.ت).
17- دلالة الالفاظ / د. إبراهيم أنيس – مطبعة الأنكلو المصرية – القاهرة – 1963.
18- الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، د. صالح الفاخري ، مؤسسة الثقافة الجامعية – الاسكندرية ، 2007.
19- ديوان بشر بن أبي خازم / تحقيق : د. عزة حسن – وزارة الثقافة – دمشق ، 1972.
20- ديوان رؤبة (مجموع أشعار العرب) ، نشرهُ وليم بن الورد ، لايزيك – 1903.
21- ديوان عنترة العبسيّ / تحقيق ودراسة : محمد سعيد مولوي ، دمشق ، 1970.

22- ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ ، (شرح) حققه وقدّم له : د. إحسان عباس ، الكويت ، 1962.
23- الصاحبي / أحمد بن فارس (ت 395 هـ) ، تحقيق : سيد أحمد صقر ، مطبعة الحلبي ، مصر ، 1977.
24- الطراز الأوّل والكناز لما عليه من لغة العرب المُعوَّل ، ابن معصوم المدني (ت 1120 هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – ط/1 (مشهد) – 1434 هـ.
25- علم الأصوات العام / د. بسّام بركة ، مركز الإنماء القومي (د.ط) ، (د.ت).
26- علم الدلالة / د. أحمد مختار عمر – مكتبة دار العروبة ، الكويت ، ط/1 – 1982.
27- علم الدلالة / أف . بالمر ، ترجمة : مجيد الماشطة – الجامعة المستنصرية ، 1985.
28- العين / الفراهيدي (ت 175 هـ) ، مطبوعات وزارة الثقافة العراقية – تحقيق : د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، 1980.
29- فقه اللغة وسر العربية / الثعالبي (ت 429 هـ) ، قرأهُ وقدّم له وعلق عليه : خالد فهمي ، مكتبة الخانجي – القاهرة – 1998.
30- في البحث الصوتي عند العرب / دخيل العطية – منشورات الجاحظ – بغداد – الموسوعة الصغيرة (124) – 1983.
31- في النحو العربي نقد وتوجيه / د. مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية – بيروت (د.ت).
32- القاموس المحيط / الفيروز آبادي (ت 817 هـ) ، إعداد وتقديم : محمد المرعشلي – دار إحياء التراث العربي ، بيروت – ط/2 – 2003.
33- الكتاب / سيبويه (ت 180 هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون – ط/3 – مكتبة الخانجي – القاهرة (د.ت).
34- لسان العرب / ابن منظور (ت 711 هـ) ، دار صادر – بيروت – (د.ت).
35- المخصص / ابن سيدة (ت 458 هـ) ، القاهرة – مطبعة بولاق – 1321 هـ.
36- مدخل إلى علم اللغة / د. محمد حسن عبد العزيز – دار النمر للطباعة – 1991.
37- المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى (وآخرون) ، دار الدعوة – تركية – 1989.
38- المعرب من الكلام الأعجميّ / الجواليقي (ت 540 هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت – ط/2 – 2008.
39- مغني اللبيب / ابن هشام الانصاري (ت 761 هـ) – مؤسسة الصادق – قسم – 1378 هـ.
40- مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الأصفهاني (ت 425 هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق ، الدار الشامية – بيروت – ط/4 ، 1425 هـ.

41- النقد اللغويّ عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، د. نعمة رحيم العزاويّ – منشورات وزارة الثقافة والفنون – 1978.

ثانياً : الرسائل والأطاريح :

1- الشاهد الشعريّ في كتاب الحيوان للجاحظ / إبراهيم كربوش العلميّ / اطروحة دكتوراه – جامعة أُمّ البواقي – 2018.

2- عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين : دراسة لغوية / نورة مروش – رسالة ماجستير – جامعة منتوري – قسنطينة – 2013.

3- وظيفة الشاهد الشعري في الجزء الأول من كتاب الحيوان / عدلان جمعة – ماجستير – كلية الآداب للعلم الانسانيّة – تونس – 2006.

الهوامش :

1- ينظر : مقدمة ابن خلدون : 1 / 113.

2- ينظر : على سبيل المثال : وظيفة الشاهد الشعري في الجزء الاول من كتاب الحيوان ، للباحث (عدلان جمعة) – تونس ، كلية الآداب للعلوم الانسانية ، 2006 ، والشاهد الشعري في كتاب الحيوان للجاحظ ، للباحث إبراهيم كربوش العلمي ، جامعة ام البواقي – (اطروحة دكتوراه) ، 2018.

3- ينظر : الأصوات اللغوية : 6 ، وفي البحث الصوتي : 6 ، ودراسات في علم الأصوات اللغوية : 5 – 6 ، وعلم الاصوات العام ، د. بسام بركة : 31.

4- ينظر : التطور النحوي للغة العربية : 5.

5- ينظر : عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين : دراسة لغوية ، للباحثة نورة مروش (رسالة ماجستير) ، جامعة منتوري – قسنطينة ، 2013.

6- ينظر : في البحث الصوتي : 93 ، ومدخل الى علم اللغة : 104 ، والدلالة الصوتية في اللغة العربية : 109 – 110.

7- ينظر : الخصائص : 1 / 33.

8- الدلالة الصوتية في اللغة العربية : 109.

9- ينظر : العين : 1 / 71 ، والمخصص : 9 / 136 ، ولسان العرب : 8 / 190.

10- البيان والتبيين : 1 / 3.

11- ينظر : المصدر نفسه : 1 / 3 – 4.

12- ينظر : خزانة الادب : 1 / 291 ، والبيان والتبيين : 1 / 3.

13- ينظر : العين : 2 / 390 (حصر) ، والقاموس المحيط : 1209 (عيي) ، والطراز الأول : 7 / 291 (حصر).

14- ينظر : الصحاح : 3 / 95 ، (لثغ) ، والمزهر : 1 / 566.

15- البيان والتبيين : 1 / 15.

16- المصدر نفسه.

17- المصدر نفسه : 1 / 14.

18- ينظر : المصدر نفسه ، وديوان بشار بن برد : 256.

19- البيان والتبيين : 1 / 17.

20- ينظر : العين : 2 / 436 (حنط) ، والصحاح : 1 / 48 (برر) ، والقاموس المحيط : 327 (برر).

21- ينظر : البيان والتبيين : 1 / 17 ، ولسان العرب : 5 / 365 (برر).

22- ينظر : البيان والتبيين : 1 / 18 ، هامش (1).

23- ينظر : البيان والتبيين : 1 / 21 – 22.

24- البيان والتبيين : 1 / 60.

25- ينظر : المصدر نفسه .

26- ينظر : المصدر نفسه ، هامش (2 ، 3).

27- المصدر نفسه : 1 / 61.

28- ينظر : المصدر نفسه : 1 / 61 – 64.

29- الأصوات اللغوية ، (د. ابراهيم أنيس) : 76.

30- ينظر : البيان والتبيين : 1 / 58 – 59.

31- ينظر : الخصائص : 1 / 33 ، وأسباب حدوث الحروف : 23.

32- البيان والتبيين : 1 / 34.

33- ينظر : المصدر نفسه : 1 / 34 – 35.

34- المصدر نفسه : 1 / 35.

35- ينظر : دراسات في علم الاصوات اللغوية : 49 – 50.

36- المصدر نفسه : 66 – 67 ، وعلم الأصوات العام ، (د. بسام بركة) : 69.

37- في البحث الصوتي عند العرب : 93 – 94.

38- البيان والتبيين : 1 / 57 ، وينظر : الطراز الاول : 10 / 382 (حفس).

39- الدلالة الصوتية في اللغة العربية : 112 ، وينظر : القاموس المحيط : 84 (تمم).

40- ينظر : الدلالة الصوتية في اللغة العربية : 112 – 113.

41- البيان والتبيين : 1 / 38 ، وينظر : 37.

42- ينظر : القاموس المحيط : 199 (لجج) ، والطراز الأول : 4 / 199 – 200 (لجج).

43- ينظر : البيان والتبيين : 1 / 39.

44- المصدر نفسه : 1 / 38 ، وينظر : فقه اللغة وسر العربية : 106.

45- القاموس المحيط : 787 (لفف).

46- البيان والتبيين : 1 / 71.

47- المصدر نفسه.

48- المصدر نفسه : 1 / 72.

49- المصدر نفسه : 1 / 73 – 74.

50- المصدر نفسه : 1 / 39 – 40.

51- ينظر : فقه اللغة وسر العربية : 106 ، والقاموس المحيط : 135 (لكن) ، وفي البحث الصوتي عند العرب : 103 ، والدلالة الصوتية في اللغة العربية : 114.

52- ينظر : القاموس المحيط : 907 (حكل) ، والطراز الاول : 10 / 367 (حبس).

53- البيان والتبيين : 1 / 40.

54- المصدر نفسه.

55- ينظر : في البحث الصوتي عند العرب : 101 – 102 ، ومدخل الى علم اللغة ، (د. محمد حسن عبد العزيز) : 104 – 105.

56- ينظر : القاموس المحيط : 236 (نحح) و 933 (سعل).

57- البيان والتبيين : 1 / 40.

58- ينظر : الصحاح : 2 / 267 (غرب) ، والقاموس المحيط : 123 (غرب) ، والطراز الاول : 2 / 346 – 347 (غرب).

59- ينظر : علم الدلالة ، د. احمد مختار عمر : 32 – 33.

60- ينظر : الخصائص : 1 / 370.

61- ديوانه : 190 ، وينظر : البيان والتبيين : 3 / 20.

62- البيان والتبيين : 3 / 20.

63- ينظر : العين : 3 / 224 (روب) ، والصحاح : 1 / 261 (روب) ، والقاموس المحيط : 99 (روب) ، والطراز الاول : 2 / 87 – 188 (روب).

64- المصادر نفسها.

65- ينظر : العين : 7 / 168 ، واشتقاق الاسماء للاصمعي : 18 وما بعدها ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : 13.

66- البيان والتبيين : 3 / 10 – 11.

67- المصدر نفسه : 3 / 366 ، وينظر : القاموس المحيط : 743 (خطف) ، وابنية الصرف في كتاب سيبويه : 118.

68- ينظر : دلالة الالفاظ : 106 ، وعلم الدلالة ، أف . بالمر : 40.

69- الأنفال : 35.

70- البيان والتبيين : 1 / 123 ، وينظر : ديوان عنترة : 203 ، ومفردات الفاظ القرآن : 773 (مُكا).

71- البيان والتبيين : 2 / 11 – 12 ، وينظر : ديوان بشر بن ابي خازم : 76 ، والبيت من شواهد العين : 4 / 244 (غرمل) ، وبيت البُرْجُميّ منسوب الى النابغة الذبياني وهو في ديوانه : 170 ، وصدرهُ : وبراذينَ كأبياتٍ وأُتُناً ، ينظر : العين : 4 / 244 (خنذيذ).

72- ينظر : العين : 4 / 244 (غرمل) ، والقاموس المحيط : 956 (غرمل).

73- الطراز الاول : 6 / 394 (خِنذيذ) ، وينظر : المعجم الوسيط : 1 / 258 (خنذذ).

74- الطراز الاول : 6 / 394 ، وينظر : القاموس المحيط : 314 (خنذيذ).

75- ديوان لبيد : 83.

76- البيان والتبيين : 1 / 267.

77- العين : 2 / 316 (خلف) ، وينظر : مفردات الفاظ القرآن : 293 (خلف).

78- ينظر : الصحاح : 1 / 185 (خلف) ، والقاموس المحيط : 744 (خلف).

79- البيان والتبيين : 1 / 267.

80- العين : 2 / 325 (شغب).

81- ينظر : القاموس المحيط : 108 (شغب) ، والطراز الاول : 2 / 173 – 174 (شغب).

82- ديوان لبيد : 251 ، ((وفيه (فاضلا) بالضاد والانسب الصاد في وصف الخطيب اي لديه فصل الخطاب)).

83- البيان والتبيين : 1 / 266.

84- ينظر : المصدر نفسه ، وديوان رؤبة : 83.

85- ينظر : القاموس المحيط : 1172 (حفا) و 1231 (وجى).

86- ينظر : البيان والتبيين : 1 / 152.

87- المصدر نفسه.

88- ينظر : القاموس المحيط : 414 (عمر) ، والطراز الاول : 8 / 444 (عمر) ، والمعجم الوسيط : 626 – 627 (عمر).

89- البيان والتبيين : 1 / 153.

90- ينظر : المصدر نفسه.

91- المصدر نفسه.

92- ينظر : المصدر نفسه ، وهامش (5) من 1 / 152.

93- ينظر : الصاحبي : 203 ، ودُرّة الغواص : 91 – 92.

94- ينظر : البيان والتبيين : 2 / 110 و 2 / 220.

95- المصدر نفسه : 2 / 210 – 211.

96- ينظر : العين : 5 / 245 (سل) ، والقاموس المحيط : 934 (سلّ).

97- البيان والتبيين : 1 / 18 – 19.

98- ينظر : المصدر نفسه : 1 / 18 و 19 و 20.

99- المصدر نفسه : 1 / 141.

100- المصدر نفسه : 1 / 141 – 142.

101- ينظر : القاموس المحيط : 274 (سرد) ، و 753 (زغَفَ) ، والمعجم الوسيط : 1 / 426 (سرد) ، و 1 / 395 (زغف).

102- ينظر : المعرب في الكلام الاعجمي : 136 (باب الكاف).

103- ينظر : البيان والتبيين : 1 / 143.

104- ينظر : المصدر نفسه ، هامش (2).

105- ينظر : المصدر نفسه : 1 / 142 و 143 و 144.

106- النقد اللغوي عند العرب : 61.

107- ينظر : البيان والتبيين : 2 / 110 وما بعدها.

108- ينظر : العين : 3 / 128 (لحن) ، والقاموس المحيط : 1134 (لحن) ، والمعجم الوسيط : 2 / 821 – 822 (لحن).

109- ينظر : البيان والتبيين : 2 / 213 – 219.

110- المصدر نفسه : 2 / 212 – 213.

111- ينظر : أوضح المسالك : 3 / 299 وما بعدها ، وفي النحو العربي نقد وتوجيه : 234 – 235.

112- ينظر : البيان والتبيين : 2 / 278.

113- ينظر : الجملة العربية والمعنى : 199 – 200 ، والجملة العربية تأليفها وأقسامها : 76 – 93.

114- ينظر : البيان والتبيين : 2 / 278 – 279 ، وخزانة الادب : 4 / 485.

115- البيان والتبيين : 2 / 279 ، وقد ذكر ابن هشام الأنصاري القول بصياغة أُخرى ((لعن الله ناقة ...)) ، ينظر : مغني اللبيب : 1 / 57.

116- مغني اللبيب : 1 / 56 – 57.

117- المصدر نفسه : 2 / 851.

118- ينظر : الكتاب : 1 / 475 ، وإعراب القراءات السبع وعللها : 2 / 37 ، وأمالي ابن الشجري : 1 / 322 ، وخزانة الادب : 4 / 485.

119- ينظر : البيان والتبيين : 2 / 279 – 280.

120- مغني اللبيب : 1 / 227 ، وينظر : المصدر نفسه : 1 / 448.

كـتاب النبات للاصمعي (ت 216 هـ) دراسـة فـي البنيـة والدلالـة

أ.م.د خلود شهاب أحمد

جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الانسانية قسم اللغة العربية

ملخص البحث :

إن هذا البحث هو إضاءة معرفية لـ (كتاب النبات) للأصمعي اللغوي البصري (ت 216 هـ) فهو عالم لغة يدرك ألفاظها ، وينسبها الى قائلها ، ويحتج بها شعراً ، وقد جمع أكثرها مبوبة في مجموعات منها مادة بحثنا النبات. أجاب البحث عن جملة من التساؤلات التي قسمت على ثلاثة محاور رئيسة : الأول : الاسم وجه البحث فيهِ حول الألفاظ انواعها واشتقاقها من حيث التذكير والتأنيث وأقسام الاسم واشتقاقاته ، والثاني : الفعل ، والثالث : الدلالة المعجمية.

الكلمات المفتاحية :

البنية الصرفية – الجنس – الاشتقاق – التلاؤمية – الاستمرارية – المركزية.

AL Nabat by Al Asmaee (216 A.H.): A Semantic - Structural Study

By Asst. Prof. Khilood Shihab Ahmed Al Shammaa

University of Basrah / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

Abstract :

The current study is an introduction to the book , entitled “Al Nabat” composed by Al Asmaee , who is a linguist from Basrah (216 A. H.). He was well aware of the Arabic language, always documenting. He was also discussing with the standardized forms of the language such as poetry to argue with others. Most of such wonderful arguments are included in this book. The research addresses some issues that are distributed into two parts in the research. The first one is the morphological structures where the noun and its derivations and related parts of speech are discussed and analyzed in detail. The second part is devoted to the sematic indication of those morphological variations, in which the study focuses on semantic extension , succession and centrality of meaning. The conclusion comes with a number of results that showed the efforts made on language use and rhetoric practiced in Basrah during the 2nd century of Hijra as represented in Al Nabat book.

Key words : morphological structuralism , gender , derivation , compatibility , continuity , centrality.

ختم البحث ببيان جملة من النتائج التي بينت الجهد البصري في القرن الثاني الهجري متمثلاً بـ (كتاب النبات) للاصمعي.

الاصمعي هو أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك ، ولد في سنة ثلاث وعشرين ومائة للهجرة (123 هـ) في مدينة البصرة [1] ، ولد في خلافة هشام بن عبد الملك وقضى كما تؤكد المصادر اكثر من تسعين عاماً فيكون قد عاش تسعة اعوام في العصر الأموي وأربعة وثمانين في العصر العباسي ، وامضى الشطر الأكبر من حياته في البصرة مكان ولادته ومستقر آبائهِ وأجدادهِ فقد كان فيها حيٌّ يعرف بني اصمع [2] ، يعرف الآن الأصمعي.

لقب بالأصمعي وذلك لانه نسب الى جدهِ اصمع قال الاصمعي : ((الأصمع : الأملس المحدد وبهِ سميت الصومعة وقال : يُقال : رجلٌ اصمع إذا كان ذكياً حديد الفؤاد))[3].

لذا كان استاذ العربية الذي مثل عصب الرواية العربية التي بدأت مع بداية القرن الثاني الهجري الاصمعي اللغوي ، حوى كتابه (النبات) على مجموعات من الألفاظ التي دارت حول موضوع معين وهو (النبات) وبهذهِ الحصيلة كان استاذ العربية في البصرة يعنى بالجوانب المعرفية المتنوعة [4].

تتبع البحث الالفاظ العربية في (كتاب النبات) للاصمعي استقصاء علمياً افردت له ملحقاً احصائياً في خاتمة البحث ووجد المبحث (95) خمساً وتسعين لفظة رئيسة ، و (162) مائة واثنتين وستين لفظة فرعية.

والبنية الصرفية هي الهيأة التي بُنِي عليها مثل المِشية [5].

والبنيةُ ما بُنِي والجمع بِنَى ، وهيأة الكلمة ، ومنه بنية الكلمة اي : صيغها [6].

اما البنية الصرفية اصطلاحاً فهي : هيأة الكلمة [7] وهي انواع : بنية الكلمة وبنية الجملة وبنية النص [8] ، وندرس في مادة بحثنا بنية الكلمة التي تعني : صيغتها أو وزنها أي : هيأة الكلمة التي وضعت عليها والتي يمكن ان يشاركها فيها غيرها ، فالبنية الصرفية على هذا الأساس تشمل الاسماء المتمكنة والافعال المتصرفة [9].

لذا فإن تحديد البنية الصرفية يتحدد بأقسام ثلاث هي :

القسم الأول : الاسم :

وهو أقوى أقسام الكلام (الاسم والفعل والحرف) فقد ذكر سيبويه : ((الاسم أبداً له من القوة ما ليس لغيرهِ))[10].

وإن الاسم ما دلّ على مسمى أو معنى من غير دلالة على الزمن ، وأهم خصائصه : الإسناد اليه ، وقبوله حروف الجر.

وتتحدد دراسة الاسم بـ :

أ- التذكير والتأنيث :

إن دراسة الجنس في اللغة هي دراسة مختلفة ، لا في أصل تحديده ، بل في علة تعيين جنس ما لا جنس له [11] ، وهو أقرب الى العادات اللغوية المجهولة الأصل ، فما يؤنث في لغة قد يُذَكّر في لغة أُخرى [12] ، وفي ضوء العمل على استقراء كتاب النبات باعتماد عملية التحديد والتعيين على وفق ما ذكره الاصمعي

للاقتراب من حقائق الواقع البصري الاستعمالي المتجسد لألفاظ النبات مثالنا قول الاصمعي : ((((والفَغْوُ)) و ((الفَاعِيَةُ)) وَرْدُ حُملِ ما كان من الشَّجَرِ له رِيحٌ طَيِّبَةٌ ، ولا يكون لِغَيرِ ذلك))[13].

ومن قوله في بيان دلالة اللفظ المؤنث : ((و ((البَغْوَةُ)) ثَمَرَةٌ تَخْرُجُ غَضَّةً قَبْلَ أن تَنْعَقِدَ ، فَهِيَ خَضْرَاءُ صُلْبَةٌ))[14].

ويذكر : ((وَمِنَ النَبْتِ الهِرْدَى قال : ولا أدري أيُذَكَّرُ أم يُؤَنَّثُ ، والحِفْرَا والهِرْدى عند النحويين مُؤَنَّثَانِ ويَجُوزُ تذكيرهما))[15].

وقوله ايضاً : ((وَمِنَ الشَّجَرِ : الثَّغْرُ ، والثَّغْرَةُ شَجَرةٌ لها شَوْكٌ ليس بالقَوى تُعْجِبُ الإبِلَ وتَرْعَاهَا))[16].

لذا وجد البحث ان كتاب النبات للاصمعي مَثّل قيمة معرفية وإثراءً معجمياً ودلالياً للمكتبة العربية كونه انماز بالضبط اللغوي السليم واعتماده الأمانة العلمية والعرض العلمي الموثوق نقلا عن العرب الفصحاء.

ب- الافراد والتثنية والجمع :

وشاهده مثلاً قوله : ((و ((بُرْعُم الزَّهْرِ)) أكمامه والجَمْعُ ((البَرَاعِيمُ))))[17].

وقوله : ((والعَرَاجِينُ نَبْتٌ بِيضٌ صِغَارٌ واحِدُها ((عُرْجُون))))[18] وما ذكره في المفرد المؤنث قوله : ((ومن النَّبْتِ : الثُّمَامُ : الوَاحِدةُ : ثُمَامَةٌ وأهل نَجْدٍ يُسَمُّونَهُ ((الجَلِيلَ)) الواحِدَةُ : جَلِيلة))[19].

وقوله : ((و ((الآءُ)) الواحِدَةُ ((آءَةٌ))))[20].

وقوله : ((و الطَّرْفَاءُ واحِدَتهَا طَرَفَةٌ والحَلْفَاءُ وَاحِدَتُهَا حَلِفَةٌ ... بكسْرِ اللام لأنَّ حَلْفَاء لَيْسَ بَجَمْعٍ ، إنما هُوَ اسمٌ للجَمْعِ))[21].

وقوله : ((والعَرَادُ الواحدة عَرَادَةٌ والعِجْلَةُ نَبْتٌ دون الشَّجر ، والعَلَنْدَى شَجَرٌ))[22].

وقوله : ((وَمِنَ النَّبْتِ الرِّبَّةُ وَجَمْعُهَا الرِّبَبُ وهو نَبْتٌ تَدُومُ خُضْرَتُهُ))[23].

وقوله : ((((السُّلُبُ)) التي قد سَقَطَ ثَمَرُهَا وهي جَمْعُ ((سَلُوبٍ))))[24].

ت- اقسام الاسم :

وجد البحث ان الاصمعي يحدد نوع الاسم عندما يعرض دلالة اللفظة مثلاً قوله : ((والضَّهْيَأُ واحِدَتُهُ ضَهْيَأَةٌ مَقْصُورٌ مهموزٌ))[25].

وقوله : ((((والسَّرَاءُ ممدودٌ))[26] ، وقوله : ((القَفْءُ)) مهموزٌ التُّرابُ يُصِيبُ البَقْلَ من مَطَرٍ شَدِيدٍ يَرْفَعُ التُّرابَ إليهِ... يُقَالُ : قَدْ ((قُفِئَ النَبْتُ وهو مَقْفُوءٌ)) إذا أصابه ذلك ، و ((أَرْضٌ مَقْفُوءَةٌ)) إذا حَثَتِ الرِّيحُ التُّرابَ على بَقْلِهَا))[27].

وقوله : ((((والخَلَا)) مَقْصُورٌ وهو النَّبْتُ الرقيق كُلُّهُ ما دام رطباً))[28].

ث- المصدر :

إن المصدر هو اسم لحادث يوجد فيهِ الفعل [29] ، وهو ((لفظ واسع الدلالة كثير تداوله في الكلام ، لإن فيه من الاسم والفعل خصائص ومعاني عِدّة))[30].

وشواهده في كتاب النبات كثيرة نذكر منها قوله : ((ويُقَالُ : أَبْشَرَتِ الأَرضُ ، إذا حَسُنَ طُلُوعُ نَبْتِها ((إبْشَاراً))))[31] فقوله : إبشاراً : مصدر ((نستطيع ان نحدد معنى الكلمات بموجب ارتباطها بالكلمات الأُخرى))[32] فالصيغة المصدرية ((إبشاراً)) بينت معنى الوصف في الفعل : أبشرت.

وقوله : ((فإذا يَبِسَ قيلَ : ((قَدْ تَصَوَّحَ تَصَوُّحَاً)) و ((انْصَاحَ انصياحاً)) فإذا تَمَّ يَبْسُهُ قيلَ : ((قَدْ هَاجَتِ الأَرْضُ تَهِيجُ هَيَاجَاً وهَيْجَاً))))[33].

وذكر : ((ويُقَال : وَدَسَت الأَرْضُ وَدْساً و ((وَدَّست الأَرضُ تَودِيساً حسناً)) في أول ما يَظْهَرُ نَبَاتُهَا))[34].

ج- المشتق :

وورد كثيراً منها في كتاب النبات نذكر مثلاً :

اسم الفاعل : هو كل اسم اشتق من فعل لمن قام بهِ على معنى الحدوث مثل : ضَارِبٌ ومُكْرِم [35] ، وشاهده مثلاً ما ذكره الاصمعي : ((فإذا رعت الإبلُ الحَمْضَ فهي ((حَامِضَةٌ)) وأصْحَابُهَا ((مُحْمِضُون))))[36].

فلفظة : حَامِضٌ : على وزن فَاعِل بفتح الفاء وكسر العين وهي اسم فاعل من الفعل الثلاثي : حَمَضَ على وزن فَعَلَ ، وللكلمة دلالة ملازمة الى الدلالة الصرفية العامة وهي الثبوت [37].

وفي كثير من الاسماء كان يُقَلّب الكلمة على أوجهها من الاشتقاق اللغوي [38] ، منها قوله : ((فَإذَا خَرَجَ خَرَجَ زَهَرُهُ قِيلَ : ((قَدْ جَنَّ جُنُوناً)) و ((زَهَرُهُ وَزَهْرَتُهُ)) و ((نُوَّارُهُ وَنَوْرُهُ)) ، و ((زَهْرُهُ)) سَوَاءٌ ، وَمِنْ ذلِكَ ((نَبْتٌ مُنَوّرٌ)) و ((نَبْتٌ مُزْهٍ)) و ((أَزْهَتِ الأَرْضُ))))[39].

ومنها قوله : ((فَمَا تَمَّ يَبْسُهُ مِنْ أَحْرَارِ البُقُولِ وَذُكُورِهَا قيلَ له : ((اليَبِيسُ)) و ((اليَبْسُ)) وهو ((الجَفِيفُ)) و ((الجَفُّ)) و ((القَفِيفُ)) و ((القَفُّ))))[40].

وقوله : ((ويُقَالُ : ((اقْطَرَّ اقْطِرَاراً واقْطَارَّ أيضاً)) إذا تَهَيَّأَ لليُبْسِ))[41].

وقوله ايضاً : ((و ((الحَمْضُ)) مَا كَان مَالِحَاً ، و ((الخُلَّةُ)) ما لم تَكُنْ فِيهِ مُلُوحَةٌ فإذا رَعَتِ الإبِلُ الخُلَّة فَهِيَ مُخْتَلَّةٌ ومُخِلَّةٌ أَيضاً وأصْحَابُهَا مُخِلُّونَ))[42].

القسم الثاني : الفعل :

((وأما الفعل فأمثلةٌ أُخِذَتْ من لفظ أحداثِ الأسماء ، وبُنِيت لِمَا مضى ، ولما يكون ، ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع ...))[43] وهذا تقسيم للفعل من حيث الزمن الماضي والمضارع والأمر وهو الوظيفة الصرفية للفعل. إذا اعتمد الاصمعي البنية الفعلية لبيان فاعلية الأسماء وطاقتها التأثيرية في اللغة بمعانيها المفهومة من التعابير المتصورة ، وهي وسيلة لتحصيل المعرفة المعجمية للألفاظ وتوظيفها في السياق العربي شاهدنا مثلاً قول الأصمعي في الشاهد الاول من كتابهِ النبات :

((يُقَال : ((رَأَيْتُ أَرْضَ بَني فُلَانٍ غِبَّ المطرِ ...))))[44].

بَدَأ بـ (يُقَال) الفعل المضارع المبني للمجهول (قالَ) و (رَأَيْتُ أرضَ) جملة فعلية وظفت لبيان حالة الارض عندما ينزل عليها المطر فـ (الغِبُّ) بالكسر عاقبة الشيءِ وبالفتح مصدرُ غَبَّتِ الماشِيَةُ تَغِبُّ إذا شربت غِبّاً اي كثيراً [45].

بدأ الاصمعي كتابه بالبنية الفعلية المبنية للمجهول ((يُقَال)) وهي تشير الى ملاحظ منها :

1- ان البناء للمجهول هو من الظواهر الاسلوبية التي تسمى ظاهرة الاستغناء عن الفاعل [46] ، او ما لم يسم فَاعِلهُ [47].

2- تضمن الفعل (يقال) معنى دلالة الاخبار عن العرب ، والسماع منهم ، وهو اساس جمع مادة الكتاب مشافهة العرب ، والأخذ بلغتهم.

3- إن الفعل المبني للمجهول في هذا الموضع وُظِّفَت توظيفاً لغوياً في هذا المقام وهو تركيز الاهتمام على الحدث (القول) بغض النظر عن محدثه (الفاعل) بقصدية تامة من المؤلف لان هدفه جمع المادة لا بيان القائل.

عمد الاصمعي الى بيان دلالة الالفاظ بجمل فعلية منها قوله : ((يُقَالُ : قَدْ ((تَرَبَّلَتْ الأَرْضُ)) و ((أَخْلَفَ الشَّجَرُ))))[48].

وقوله : ((وَإِذَا غَطَّى النباتُ الأَرْضَ أو كادَ يُغَطِّيها قِيلَ : ((اسْتَحْلَسَتِ الأَرْضُ)) وهي ((أرضٌ مُسْتَحْلِسَةٌ))))[49].

القسم الثالث : الدلالة المعجمية :

إن كتاب النبات هو معجم الفاظ يدور حول الفاظ النبات إيضاحاً وشرحاً ، وهو ما نسميه المعنى المعجمي [50] الذي يبين منهج الدلالة العربية ، فالكلمة هي اللفظ المفرد اي : انها قول مفرد [51].

والدلالة المعنوية تفسر الألفاظ تفسيراً معجمياً وحددها البحث بثلاثة محاور رئيسة هي :

1- الاستمراية. 2- العموم.

3- المركزية. 4- التلاؤمية.

1- الاستمرارية :

وتعني : ((المعنى الذي يعطيه ظاهر اللفظ))[52].

ولما كان الميزان الصرفي الهيكل الذي حفظ للعربية اوزانها وابنيتها فهو مفتاح فهم طبيعة البنية [53] ، والاستمرارية دلالة زمنية يكسبها الفعل للحدث الذي اشتق منه وقد تتبع البحث كتاب النبات للاصمعي ووجد مثلاً : ((والأَثْلُ : يقالُ ما نَبَتَ مِنْهُ فِي الجِبَال فَهوَ نُضَارٌ ، والأَثْأَبُ شَجَرٌ يُشْبِهُ الأَثْلَ))[54] ، الاستمرارية الدلالية نجدها في لفظة ((الأَثْل)) ، فهي تدل على الدلالة نفسها التي ذكرها الاصمعي والى الوقت الحاضر.

2- العموم :

وهو التوسع الدلالي في توظيف الدلالة المعنوية وقد استطاع الاصمعي في كتابه (النبات) ان يتوسع في ذكر دلالة المفردات العربية فقد تتبع البحث عرض الاصمعي للمفردات فتراه يذكر الدلالة المعجمية ويحللها ويعرض لبيان الرأي النقدي الذي انماز بهِ عالمنا البصري فنجده مثلاً يقول :

((واللُّمْعَةُ مِنَ الأرضِ : الكثيرةُ الكلأِ { قال } : وأكْثَرَهَا ما يُقَال ((اللُّمْعَةُ)) في الحَلِيّش خاصةً))[55].

ويقول في موضع آخر : ((والعُنْظُوانُ { يقالُ } : ((بعيرٌ بهِ عنظٌ)) إذا اشتكى بَطْنَهُ فَسَلحَعن رعيهِ))[56] فهذا ليس في النبات ، انما في الحيوان والأمراض.

وعرض لمفردات كثيرة منها قوله : ((((آنَفَتْهُ)) حَمَلَتْ تُوجِعُ أنْفَهُ بِسَفَاهَا ، و ((سَفَاهَا)) شوكها...))[57].

وقوله : ((وَيُقَالُ للأَرْضِ إذا حَسُنَ نباتُهَا وامْتَلأَتْ ((قد اكْتَمَلَتْ واعْتَمَّتْ)) والنبتُ حِينَئِذٍ ((مُكْتَهِلٌ ومُعْتَمٌّ)) ويُقَالُ : ((نَبْتٌ عَمِيمٌ وعَمَمٌ))))[58].

وجد البحث ان الاصمعي في كتابه ((النبات)) اسند اكثر الأفعال الى الأرض كونها مصدر النبات واصله وجذره.

3- المركزية :

وهي الدلالة التي تركز على ابراز الحدث للقارئ فهي دلالة واضحة بَيّنة تجمع بين المؤلف والقارئ [59] لان فيها روابط وأواصر مشتركة وسمات متقاربة تجعلها توظف المعنى توظيفاً مركزياً ، وهذا ما وجده البحث في كتاب النبات شاهد ذلك : ((و ((العُنْتَرُ)) أصْلُ كل شجرةٍ ، أو بَرْدِيَّةٍ أو عُسْلُوجةٍ يُخْرِجُ أَبْيَضَ ثم يَستَدِيرُ وَيتَقَشَّرُ فَيَخْرُجُ له وَرَقٌ أخْضَر ، وإذا خَرَجَ قبل أن تَتَقَشرَ خُضْرَتُهُ فهو ((عُنْقَرٌ))))[60].

فتلحظ الدلالة المركزية في الالفاظ :

شجرة – بَرْدِيّة – ابيض – يستدير – ورق ، أخضر ، يَتَقَشَّر كلها وظفت لبيان الدلالة المعجمعية للاصل اللغوي : عَنْقَر.

وقوله في موضع آخر : ((و ((الخَلَا)) مَقْصُورٌ وهو النَّبْتُ الرَّقيقُ كُلُّهُ ما دامَ رَطْباً ، وإذا يَبسَ فهو ((حَشِيْشٌ)) لا يقل حشيشٌ إلّا لِليابِس))[61].

ونجد التركيز والمقارنة والضبط المعجمي في قوله : ((و ((الخُلَّةُ)) مِنَ العُشْبِ عند الإبِلِ بِمَنْزِلَةِ الخُبْزِ ، والحَمْضُ بِمَنْزِلَةِ اللَّحْمِ ، إنَما هو بِمَنْزِلَةِ الأُدْمِ مع الخُلَّةِ))[62].

4- التلاؤمية :

وهي دلالة تتحدد في تلاؤم القيمة الدلالية للمادة اللغوية عندما ينقل من مادة الى أخرى مع الاشتراك في المادة المعجمية ، فلكل صيغة دلالة معجمية تلاؤم المسياق الذي ترد فيه لأن الالفاظ ادلة على المعاني [63].

اما اصلها اللغوي : يقال : لَأَمَ ولاءَمَ بين الشيئين إذا جمع بينهما ووافق [64] مثالها قول الاصمعي : ((و ((اللَّوِيُّ مِنَ البَقْلِ الذي قَدْ يَبِسَ بَعْضَ اليُبْس وفيهِ ندىً وَيَكُونُ بَعْضُهُ أَخْضَرٌ وبعضه يابساً)) يُقال : ((أَلْوَى البَقْلُ إلواءً شديداً)) و ((التَوت الأرْضُ))))[65].

يقول ايضاً : ((والعِشْرِقُ ، والشِّبْرِقُ ، والشَّرْىُ شَجَرُ الحَنْظَل وَثَمَرَهُ : ((الخَدَجُ)) صِغَاراً))[66]

فالدلالة التلاؤمية تتضح في مفردة :

صغار شجرة الحنظل ثمرها يسمى الخَدَج ، والولد الخديج هو الحديث الولادة.

الخاتمة ونتائج البحث :

الحمد لله رب العالمين ، الذي بحمدهِ تتم الصالحات بدءاً وانتهاءً وفي خاتمة البحث لا بد من عرض موجز لأهم النتائج التي تتبعها البحث في كتاب النبات للاصمعي نذكر منها :

– وجد البحث ان كتاب النبات ضم (95) خمس وتسعون لفظة رئيسة و (162) مائة واثنتان وستون لفظة فرعية.

– حدد البحث البنية الصرفية بثلاثة اقسام رئيسة هي :

1– الاسم وفيه درس البحث :

أ– التذكير والتأنيث.

ب– الافراد والتثنية والجمع.

ت– اقسام الاسم.

ث– المصدر.

ج– المشتق.

2– الفعل.

3– الدلالة المعجمية.

– إن دراسة كتاب النبات للاصمعي هي دراسة معرفية تطبيقية تعد محاولة لإضاءة التراث العربي عامة والبصري خاصة في القرن الثاني الهجري.

– حدد البحث دراسة الدلالة المعجمية في كتاب النبات بأربعة محاور رئيسة هي :

1– الاستمرارية. **2– العموم.**

3– المركزية. **4– التلاؤمية.**

– ان الاصمعي اسند اكثر الافعال في كتابهِ النبات الى الأرض كونها اصل النبات وجذوره ومصدره ، ووقف الاصمعي في منهجه العلمي في دراسة الفاظ النبات دراسة شمولية – متكاملة وجد البحث فيها الضبط اللغوي والأمانة العلمية في النقل ولم نجد تكراراً او خروجاً عن موضوع النبات.

ملحق احصائي لألفاظ كتاب النبات للأصمعي

1– غِبَّ المَطَرِ.

2- أَوْشَمَتِ الأرضُ وأَرْشَمَتِ الأرضُ.

3- أَبْشَرَتِ الأرضُ.

4- بَذَرَتِ الأرْضُ.

5- وَدَست الأَرْضُ وَدْساً ودَسَّتِ الأرْضُ توديساً حسناً.

6- بَارِضُ النبتِ.

7- بَارِضُ البُهْمَى : الجَمِيم – الصَّمْعَاءُ – الحَبَشِيَّةُ.

8- بَعَاعَةً حَسَنَةً – الدُّعَاعُ – لُعَاعَةٌ حَسَنَةٌ.

9- وَاصِيَة.

10- اسْتَحْلَسَتِ الأرْضُ.

11- جَأَرَتِ الأرْضُ.

12- قد اكْتَهَلَتْ واعْتَمَّتْ.

13- قد اسْتَأْسَدَ.

14- خَرَجَ زَهَرُهُ.

15- بُرْعُم الزَّهَرِ.

16- تَصَوَّحَ تَصَوُّحاً وانْصَاحَ انْصِيَاحاً.

17- تَمَّ يبْسُهُ.

18- ما تَمّ يَبْسُهُ من أَحْرَارِ البَقُولِ وذُكُورِهَا.

19- أَسْحَفَتْ تَسْحِفُ إِسْحَافاً.

20- أَصَابَ الكَلأَ المَطَرُ.

21- إذا تكسر اليَبِيسُ.

22- الثِّنُّ.

23- أَصَارَتِ الأَرْضُ وأرضُ بني فُلَانٍ صَيُّورٌ.

24- أرضُ بني فُلَانٍ مُوْثِجَة.

25- الحِبَّة.

26- الدَّرِينُ.

27- السَّفِيرُ.

28- الجِعْثِن – الضِّخَامِ.

29- اللُّمْعَةُ.

30- العُقْدَةُ – العُرْوَةُ.

31- النُّفَأُ.

32- الثُّجَرُ.

33- أحرار البقل.

34- الأَجْرَد – الحَرْشَاءُ.

35- النَّبْتُ غَيْرِ الأَحْرَار.

36- القُرَّاصُ – الخُزَامى – الأُقحُوانُ – الحَرْشَاءُ.

37- النَّبْتُ غَيْر الذُّكُورِ : الهَيْشَرُ – السُّلُبُ والعَرَاجِينُ – الحَبَقُ.

38- الشجر العِظَام.

39- الجَنْبَةُ.

40- الخُلَّةُ.

41- الحَمْضُ.

42- الرِّمْثُ – القِضَّةُ – الرُّغْلُ – القُلَّامُ – الهَرْمُ – الضَّمْرَانُ – النَّجِيلُ – الخِذْرافُ – العُنْظُوانُ – الغَوْلَانُ – الشَّعْرَانُ – الدَّعَاعُ – الإِخْرِيطُ – الحَرْضُ – العُذَارُ – الحَاذُ – الطَّمْحَاءُ.

43- العَرْفَجُ – النَّقْدُ – النَّعضُ – السُّطَاح – الحَلَمَةُ – الضَّهْيَأُ – السَّرْحُ – الجَثْجَاثُ – المَكْرُ – السَّكْبُ – الحُلَّبُ – الحِلبْلَابُ – الرَّنَمَةُ – الشُّكَاعَى – الزُّبَّادُ – الشِّيْحُ – الثُّدَّاءُ – الضَّغَابِيسُ – الثَّعَارِيرُ.

44- الرِّجَالِ – الصَّبْغَاءُ – الحَصَادُ – الطَّرَثِيْثُ – الجَذْرُ – النُّفَأُ – الثُّعَامُ.

45- الأَرْنَبَةُ – القَرْمَلَةُ – الوَشِيجُ – العَيْشُومُ.

46- الأَلاءُ – العَلْقَى – الغَضَا – الأَرْطَى – الأَمْطِيُّ – المُرصَاصُ – الرُّخَامَى.

47- السَّبَطَ – النَّصِيُّ – الدَّوِيلُ – الغَضْوَرُ – الغَرَزُ – الصِلِّيانُ – العَسَالِيجُ.

48- الهِردَى – الحِفْرَا.

49- العِضَاهُ.

50- الطَّلْحُ – السَّلَمُ – السَّيَالُ – العُرْفُطُ – السَّمُرُ – الشَّبْهَانُ – الكَنَهْبَلُ – شَكِيرُ – العِضَاه.

51- الغَرْقَدُ – السِّدْرُ – ضَالٌ – عُبْرِيٌّ – العَوْسَجُ – اللَّصَفُ – الشَّفَلَّحُ.

52- الثَّغَامُ – الحُمَّاضُ – الشِّرْشِرُ – القَتَادُ – الحَرْشَفُ – العِكْرِشُ.

53- العَلَجَانُ.

54- رَوْحاً – رُؤُوحاً وتَرَوَّحَ تَرَوُّحاً.

55- تَمَشَّرَ الشَّجَرُ تَمَشُّراً – امْتَشَرَتِ العِضَاهُ.

56- خُضُوباً.

57- أَحْنَطَ الطَّلْحُ.

58- أَمْصَعَ الرِّمْثُ.

59- أَوْرَسَ الرِّمْثُ.

60- نَضْجاً.

61- الرَّبْلُ.

62- الخِلْفَةُ.

63- الرِّبَّةُ – الحُلَّبُ – الخِمْخِمُ – الشَّرْىُ – الحَمَاطُ – النُّقُدُ – التَّنُّومُ.

64- الغَمِيرُ.

65- النَّشْرُ.

66- اللَّوِىُّ.

67- الخَلَا – حَشِيْشٌ.

68- خُوصَةٌ – الهَدَبُ – الأَثْلِ – الغَضَا – الرِّمْثِ – الطَّرْفَاءِ – الأَثْأَبِ.

69- الآءُ.

70- الإِعْبَالُ.

71- العُنْقَرُ.

72- الحَفَأُ.

73- الأَبَأُ – الغَرِيفُ.

74- الفِصْفِصَةُ – الصَفْصَافُ.

75- ثَرَى – تَرَى – مَرْعَى – استوى – بُلُوحاً.

76- إِخْوَاصاً.

77- القَفْءُ.

78- المُخَاطَةُ.

79- الثَّغْرُ – الثَّغْرَةُ.

80- الكَرْبَلُ.

81- الهَدَسُ – الرَّنْدُ – العَبْهرُ – السُّمْسُقُ – المرْزَنُ – العَنْقَر.

82- الفَغْوُ – الفَاغِيَةُ.

83- البَغْوَةُ.

84- الفَغْمَةُ – المُنْتِنَة.

85- العُجْرُمُ – التِّينُ – الأَرَاكُ – الكَبَاث – المَرْدُ – الإِسْحِلُ.

86- العِشْرِقُ – الشِّبْرِقُ – الشَّرْىُ – شَجَرُ – الحَنْظَل – الحَدَجُ – الخُطْبَانُ – صَرايَةٌ.

87- التَّنْضُبُ – الحَاجُ.

88- المَرخُ – العَفَارُ.

89- الأَثْلُ.

90- الطَّرْفَاءُ – الحَلْفَاء.

91- السَاسَمُ – المَيْسُ – العُشَرُ – الخُرْفُعُ – الخِرْوَعُ – الينبُوتُ – العَرَاد – العِجْلَةُ – العَلَنْدَى.

92- العَوْفُ.

93- الشَّتُّ – العَرْعَرُ – الطبَّاقُ – الضَّبِرُ – المَظُّ – القَانُ – النَّشَمُ – الشَّوْحَطُ – النَّبْعُ – التَّأْلَبُ – الحَمَاطُ – السَّرَاءُ – الصَّوْمُ – الحِثْيَلُ – الرَّنْفُ – الظَّيَّانُ – الشُّوعُ – الغِرْيَفُ – الخَزَمُ – العُتْم – الرَّتَم – الصابُ.

روافد البحث

اولاً : المصادر

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه : خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط1 – 1965م.
- أخبار أبي نؤاس : ابن منظور ، مطبعة الاعتماد – القاهرة – 1924م.
- الاشتقاق : الاصمعي : تحقيق : سليم النعيمي ، مطبعة اسد – بغداد ، د.ط 1982م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة : د. فاضل مصطفى الساقي ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط1 – 1977م.
- التطبيق الصرفي : د. عبدة الراجحي ، دار النهضة العربية – بيروت ، د.ط 1973م.
- رسالتان في اللغة : الرماني : تحقيق : ابراهيم السامرائي ، دار الفكر – عمان ، د.ت.
- شرح ألفية ابن مالك : ابن الناظم ، تصحيح وتنقيح : محمد بن سليم اللبابيري ، دار السرور – بيروت ، د.ت.
- شرح الأشموني على الفية ابن مالك : علي بن محمد الاشموني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة البابي الحلبي واولاده – مصر ، ط2 – 1939م.
- شرح شذور الذهب : ابن هشام الانصاري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، د.ت.
- علم الدلالة : جون لاينز ، ترجمة : مجيد الماشطة وآخرون ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، 1980م.
- علم الدلالة والمعجم العربي : د. عبد القادر ابو شريفة وحسين لافي وداود عبده ، دار الفكر – د.ط ، 1989م.
- علم اللغة : د. علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر – القاهرة ، ط7 ، د.ت.
- الكتاب : سيبويه ، طبعة بولاق – مصر ، ط1 ، د.ت.
- لسان العرب : ابن منظور ، تحقيق : علي الكبير ، دار المعارف – القاهرة ، 1300هـ – د.ط.

– اللغة : ج فندريس ، تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، لجنة البيان العربي ، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ، ط1 ، 1950م.
– لغة قريش : دراسة في اللهجة والأداء : مهدي حارث الغانمي ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 ، 2009م.
– القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي – بيروت ، ط2 ، 2003م.
– كتاب النبات : الاصمعي ، تحقيق : عبدالله يوسف الغنيم ، مطبعة المدني – القاهرة ، ط1 ، 1972م.
– مراتب النحويين ، ابي الطيب اللغوي ، مكتبة النهضة – مصر ، د.ت.
– المزهر في علوم اللغة وانواعها : السيوطي ، علق على حواشيه : محمد احمد جاد المولى وآخرون ، منشورات المكتبة العصرية – صيد – بيروت ، 1968م.
– معاني النحو : د. فاضل السامرائي ، دار الفكر – الاردن ، ط1 ، 2000م.
– المعجم الوسيط : ابراهيم انيس وآخرون ، دار احياء التراث العربي – بيروت ، ط2 ، د.ت.
– من أسرار اللغة في البيان القرآني : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، جامعة بيروت العربية ، 1972م.
– مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان ، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، دار الثقافة ، 1979م.
– المعارف : ابن قتيبة ، تحقيق : د. ثروت عكاشة ، دار المعارف – مصر ، ط4 ، 2007م.
– نحو القرآن : احمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد ، ط1 ، 1974م.

ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية

1– آيات المنافقين في القرآن الكريم دراسة فنية ، هوزان عزة ابراهيم ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، مخطوطة 1995م.
2– جهود الأصمعي في دراسة الشعر الجاهلي ، اياد عبد المجيد ابراهيم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 1984م.

ثالثاً : البحوث

– البنية الصرفية في نظر النحاة : ابو حنيفة عمر الشريف وعلي مبارك حسين نجم الدين ، مجلة العلوم والبحوث الاسلامية ، ع2 ، 2016م.

الهوامش :

1- ينظر : المعارف : ابن قتيبة : 236 – ومراتب النحويين : أبي الطيب اللغوي – والمزهر : السيوطي : 2 / 462.

2- ينظر : أخبار ابي نؤاس : ابن منظور : 1 / 15 ، وجهود الاصمعي في دراسة الشعر الجاهلي : اياد عبد المجيد ابراهيم ، رسالة ماجستير : 12 – 13.

3- الاشتقاق : الأصمعي : 272.

4- ينظر : الاصمعي اللغوي : د. عبد الحميد الشلقاني : 3.

5- ينظر : لسان العرب : ابن منظور : مادة : ب ن ى : 1 / 365.

6- ينظر : المعجم الوسيط : ابراهيم انيس وآخرون : 1 / 72.

7- ينظر : التطبيق الصرفي : عبده الراجحي : 7.

8- ينظر : البنية الصرفية في نظر النحاة : ابو حنيفة عمر الشريف علي ومبارك حسين نجم الدين ، بحث مجلة العلوم والبحوث الاسلامية : 114.

9- ينظر : ابنية الصرف في كتاب سيبويه : د. خديجة الحديثي : 17.

10- الكتاب : سيبويه : 1 / 12.

11- ينظر : لغة قريش : د. مهدي الغانمي : 236.

12- ينظر : اللغة : فندريس : 134 ، وعلم اللغة : د. علي عبد الواحد وافي : 223.

13- كتاب النبات : الاصمعي : 32.

14- المصدر السابق : 33.

15- المصدر السابق : 22 – 23.

16- المصدر السابق : 31.

17- كتاب النبات : 8.

18- المصدر السابق : 17.

19- المصدر السابق : 20.

20- المصدر السابق : 28.

21- المصدر السابق : 34 – 35.

22- المصدر السابق : 35.

23- المصدر السابق : 27.

24- المصدر السابق : 16.

25- المصدر السابق : 19.

26- المصدر السابق : 36.

27- المصدر السابق : 31.

28- المصدر السابق : 28.

29- ينظر : رسالتان في اللغة : الرماني : 96.

30- نحو القرآن : الجواري : 68.

31- كتاب النبات : الاصمعي : 2.

32- علم الدلالة : جون لاينز : 77.

33- كتاب النبات : 9.

34- المصدر السابق : 4.

35- ينظر : شرح شذور الذهب : ابن هشام : 385.

36- كتاب النبات : 18.

37- ينظر : اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، د. فاضل الساقي : 208.

38- ينظر : الاصمعي اللغوي : 123.

39- كتاب النبات : الاصمعي : 8.

40- المصدر السابق : 9.

41- المصدر السابق : 9.

42- المصدر السابق : 17.

43- الكتاب : 1 / 12.

44- كتاب النبات : الاصمعي : 2.

45- ينظر : القاموس المحيط : الفيروز آبادي : 123.

46- ينظر : من اسرار اللغة في البيان القرآني : عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ : 53.

47- ينظر : شرح الألفية : ابن الناظم : 88.

48- كتاب النبات : 27.

49- المصدر السابق : 6.

50- ينظر : مناهج البحث في اللغة : تمام حسان : 258.

51- ينظر : شرح الاشموني : علي بن محمد : 10.

52- معاني النحو : د. فاضل السامرائي : 1 / 17.

53- ينظر : اللغة العربية عبر القرون : محمود فهمي حجازي : 29.

54- كتاب النبات : 34.

55- كتاب النبات : 12.

56- المصدر السابق : 18.

57- المصدر السابق : 5.

58- المصدر السابق : 7.

59- ينظر : علم الدلالة والمعجم العربي : د. عبد القادر ابو شريفة وآخرون : 95.

60- كتاب النبات : 29.

61- المصدر السابق : 28.

62- المصدر السابق : 17.

63- ينظر : آيات المنافقين في القرآن الكريم : هوزان عزة ابراهيم ، (رسالة ماجستير) مخطوطة : 35.

64- ينظر : لسان العرب : مادة ل ء م : 12 / 34.

65- كتاب النبات : 28.

66- المصدر السابق : 23.

البناء الفني لمقدمة قصيدة المدح في شعر الفرزدق

أ.م.د. صباح عيدي عطية

جامعة البصرة كلية التربية للعولم الانسانية قسم اللغة العربية

المبنى مصطلح نقدي يطلقُ على بناء الشعر وطريقة صياغته وتركيبه [1].

وأول مَن تعرض لهذه القضية بشيء من التفصيل ابن قتيبة (276 هـ) الذي جعل أقسام القصيدة أربَعة وهي : الوقوف على الاطلال والديار ، وبكاء الربع ، ومخاطبة الرفيق أولاً والقسم الثاني من القصيدة هو غرض النسيب وذكر الشوق والصبابة. وثالثاً وصف الرحلة في الصحراء ، والراحلة في الطريق وما كايده مِن معاناة.

ورابع اقسام القصيدة هو الغرض الذي قال القصيدة من أجله : مثلاً المديح أو غيره.

والشاعر المجيد عند أبن قتيبة هو مَن يسلك هذه الاساليب ، وعدل بين أقسامها فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر. ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد [2].

يقول ابن قتيبة : ((وسمعتُ بعض أهل الادب يذكر أن مقصد القصيدة إنّما ابتدأ بذكر الديار والزمن والآثار ، فبكى وشكا وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها))[3] اذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لِأنتقالهم عن ماء الى ماء ، وانتجاعهم الكلأ ... فاذا علم أنّه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزّه على السماح ، وفضّله على الاشياء [4].

وبنية الشيء في العربية تكوينه ، وقد تعني الكلمة ، أيضاً الكيفية التي شُيّدَ على نحوها البناء أو الشيء ، فقد يكون الحديث عن بنية المجتمع أو بنية الشخصية أو بنية اللغة ، ويفرق العرب في اللغة بين ((المعنى)) و ((المبنى)) فهم حين يتحدثون عن ((المبنى)) كانوا يقصدون ما يعنيه النقد الحديث بكلمة البنية ، فالبنية في اصلها تحمِل معنى المجموع أو الكل المؤلف مِن ظواهر متماسكة ، يتوقف كل منها على ما عداه ويتحدد من خلال علاقته بغيره [5].

ويؤكد سوسير أن اللغة مجموعة من العلاقات وهي نظام أو نسق له قواعده الخاصة ، ومكونات هذا النسق مترابطة فيما بينها ككل متماسك.

وقد أخذ مفهوم البناء الفني للقصيدة جهداً كبيراً من النقاد الغربيين ، ومنهم أصحاب مدرسة النقد الجديد الذين درسوا القصيدة غير معتبرين للظروف الخارجية التي تحيط بها ، وعلى اية حال فان بناء القصيدة وفق

([1]) مصطلحات نقدية من التراث الادبي العربي ، محمد عزّام ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1995 ، ص : 424.

([2]) مصطلحات نقدية ، ص : 425 ، ويُنظر : في صحبة الادب القديم ، د. أحمد محمد الحوفي ، ص : 25.

([3]) الشعر والشعراء ، ج2 ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، 1966 ، ص : 75.

([4]) الشعر والشعراء ، ج1 ، ص : 75 ، ويُنظر : مقالات في الشعر الجاهلي ، د. يوسف اليوسف ، ص : 115.

([5]) بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، د. ناصر علي ، ط1 ، 2001 ، ص : 13.

المنهج البنائي هي دراسة تركيب النص ، بما يتضمنه من عناصر صوتية ودلالية لأكتشاف العلاقات الرابطة بينها [1].

والمديح لغةً : ((الثناء الحسن واصطلاحاً : غرض شعري يختص بهذا النوع من الثناء ، يتوجه به الشاعر الى ممدوح معيّن. وهو أحد أغراض الشعر العربي العريقة في كل عصوره))[2].

ومصطلح المديح متداول عند النقاد : فالأصمعي مثلاً يرفض إدخال ذا الرمة في زمرة الفحول وذلكَ لتجافيه عن المديح والهجاء وأقتصاره على الرموم والديار.

والمديح فن الثناء ولغة التقدير ومجال الفضائل والمثل تخليداً للقيم والاخلاق. وعرّفه الزمخشري بقوله : ((وصف الممدوح بأخلاق حميدة وصفات رفيعة يتصف بها فيمدح عليها))[3].

وهو مصدر مشتق عند صاحب اللسان بقوله : ((المدائح مصدر مشتق من مادة مَدَح بفتح الحروف الثلاثة فيقال : مَدَحَهُ ، مدحاً ، ومَدَحةٌ ، بمعنى أحسن الثناء عليه ، والجمع مدائح))[4].

وجاء في المستظرف في كل فن مستظرف أنّه : ((وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها ويكون نعتاً حميداً)).

فالمدح اذاً هو التغني بالخصال الحميدة والاشادة بمناقب الممدوح وصفاته ، وهو غرض شعري جوهره الشكر ، والثناء والتنويه بمناقب الممدوح.

وليس من السهل أن نضع للمدح تعريفاً جامعاً مانعاً ، كما يقول أهل المنطق ، ولكن سنحاول ان نحدد المدح بتعريف قدر المستطاع.

وهو ثناء حسن يرفعه إنسان ما الى انسان آخر حيّ أو جماعة آخرين أحياء ، عرفاناً بالجميل ، أو طالباً للنوال ، أو رغبة في الصفح والمغفرة أو املاً في تحقيق هدف كبير [5].

وقصيدة المدح عند الفرزدق يستوي فيها ذلك الرجز وسواه من الاوزان الشعرية ، وهي في الغالب الأعم ، قصائد مركبة على حد تعبير حازم القرطاجي ، لا تقتصر على المديح بل تتعداه الى الغزل والظعن والرحلة وشؤون اخرى من فنون الشعر العربي وتقاليده.

ونحن حين نتحدث عن قصيدة الفرزدق لا نخص جانباً لقول دون آخر ، ولا نتحدث عنها بوصفها اغراضاً مستقلة ، بل ننظر إليها بوصفها كلا واحداً تظافرت على بنائه جزئيات شتى [6].

([1]) ينظر : بنية القصيدة في شعر محمود درويش ، ص : 14 ، وينظر : معرفة الآخر ، د. عبدالله ابراهيم وآخرون ، ص : 25 ، وينظر : البناء الفني للقصيدة العربية القديمة والمعاصرة ، د. مرشد الزيدي ، ص : 20.

([2]) مصطلحات نقدية ، محمد عزّام ، ص : 444.

([3]) اساس البلاغة ، الزمخشري ، بيروت ، د.ط ، دار صادر – 1916 ، مادة (مدح) ، ص : 181.

([4]) لسان العرب ، ابن منظور ، بيروت ، ج2 ، د.ط ، دار صادر – 1965 ، مادة (مدح) ، ص : 165.

([5]) بنية القصيدة العربية ، حتى نهاية العصر الاموي ، قصيدة المدح انموذجاً ، د. وهب رومية ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1997 ، ص : 20.

([6]) بنية القصيدة العربية ، ص : 21.

وقد كشف البحث عن ثلاث ظواهر فنية هامة في قصيدة المدح عند الفرزدق بخاصة وقصيدة الاموية بعامة منها :

أولاً : قلة اغراض هذه القصيدة ، فهي – غالباً – تدور في الاغراض التي تشتق منها الحادثة نفسها ، أو ترتبط ارتباطاً وثيقاً بها ، فكانت غرضاً واحداً ، أو غرضين اثنين ، وكانت احياناً ثلاثة أغراض [1] وهذا يعني أنها لم تكن تُبنى بطريقة مرسومة يتوارثها الشعراء على ما حددها ((ابن قتيبة)).

ثانياً : الوحدة النفسية ، وهي امتداد للظاهرة السابقة ، او نتيجة لها ، فكثيراً ما تتواشج الاغراض بصورة رامزة أو سافرة.

ثالثاً : اختلاف القيم الاجتماعية في القصيدة إختلاف الحادثة التي دفعت الشاعر الى انشاد قصيدته ، فليس القيم في هذه القصائد سواء ، وليست مواقف الشعراء منها واحدة ، بل ليس موقف الشاعر نفسه واحداً من منظومة القيم.

و ((أما في المديح فقد وفق الفرزدق أحياناً ، الا أنّه فشل احياناً اخرى فشلاً تاماً))[2]. واكبر الظن أن عدم نجاحه في مديحه ناشئ عن عدم أخلاصه لممدوحيه ، فأنت تعلم أنّه علوي الرأي ولكنه كان مضطراً لِأنتجاع بني امية ورجال دولتهم بالمديح.

والمتتبع لتجربة الفرزدق الشعرية يمكنه أن يتبين مبلغ اخلاصه لممدوحيه إذا علمت أنه هجا اكثرهم اشنع الهجاء كما مدحهم احسن المديح...

على أن مديح الفرزدق لا يخلو من متعة وفائدة وهو بالصور الصادقة التي تمثل أحوال زمانه وديوان الفرزدق في حقيقته ، يكاد يكون دفاعاً خالصاً عن قومه وتمجيداً غالياً لهم ، فهو اشبه ما يكون بخطبة أو خُطب ، قيلت في مديحهم والفخر بهم فخراً لا تجفّ مادته في نفسه ، اذ كان يستمد من معين لا ينضب ، وكأنّه يغرف من بحر تمدّه أبحر ، فهو لسان قبيلته ، في الفخر والمدح [3].

ويرى د. شوقي ضيف في شعر الفرزدق ظاهرة مهمة وهي أن الشخص الواحد نجد له عنده مديحاً كما نجد له هجاء. وتفسير ذلك أنّه كان يهاجي القبائل اليمنية والقيسية ومن يعبّر عنهما من الشعراء. فمديح الفرزدق لولاة العراق من اليمن وقيس لم يكن صادراً عن نفسهِ بل كان منافقاً فيه وهذه الظاهرة النفسية [4] المهمة في ديوانه لم تكن موجودة في الجاهلية لِأنّ القبيلة لم تكن تضطر الى الخضوع لسلطان من خصومها أو منافسيها ولم يكن يضطر شعراؤها الى هذا اللون من الوان النفاق السياسي لِأرباب السلطة. وليس هذا فحسب هو الشيء الجديد ، الذي يلفتنا في مديح الفرزدق لولاة العراق ، وشعره في المدح يختلف عن المديح القديم ، لسبب طبيعي ، هو أنَّ

([1]) ينظر : شعر أبن قيس الرُقيات بين السياسة والغزل ، تحقيق : د. ابراهيم عبد الرحمن محمد ، لونجمان ، ص : 138.

([2]) عصر القرآن ، محمد مهدي البصير ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1990 ، ص : 200.

([3]) يُنظر : الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته واساليبه ، د. سامية الدريدي ، عالم الكتاب الحديث ، ط1 ، 2008 ، ص : 373.

([4]) التطور والتجديد في الشعر الاموي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط6 ، ص : 146.

الفرزدق مسلم ، يمدح وُلاة خليفة الله في أرضه ، وهم كما يقومون على ولاية الناس يقضون بالعدل وينشرون الأمن ، ويقومون أيضاً بمحاربة الثائرين [1].

وكل ذلك ماثل في ديوان الفرزدق ، فالحياة العربية اختلفت ، واختلف معها شعر المديح الذي يصورها ، وفرق بين ان يمدح الشاعر الجاهلي سيد القبيلة ، وأن يمدح الشاعر الأموي والي العراق المسلم الذي يتصف بصفات دينية هي صفات الاسلام [2].

وبنية القصيدة في شعر الفرزدق وبالتحديد في تجربته الشعرية لم تعد تجري على النمط القديم أو الاسلوب القديم ، لِأن الحياة اختلفت وانتقل العرب الى أقاليم جديدة ، وأسَّسوا دولةً دينية تعتنق مثالية جديدة ، والملاحظة الاولية على ديوانه أنه ليس فيه مديح لمعاوية ولا لِأبنه يزيد. واغلب الظن أن الفرزدق لم يمدحهما ، لِأنّه كان يحمل نفساً متمردةً ، كانت تخضع للسلطان القريب كسلطان الحجاج فتضطَرُّ الى مديحه ، أما السلطان البعيد فلم تكن تخضع له فلا كان يهمها في شيء [3].

وحين ننظر في لوحة الشعر عامة ، أو في لوحة قصيدة المدح خاصة فترة صدر الاسلام ، نرى خطاً عريضاً فاصلاً بين منطقتين فنيتين تتباين ألوانهما تبايناً شديداً ، منطقة قديمة مألوفة تلوح فيها صورة قصيدة المدح الجاهلية بكل تقاليدها وملامحها وقد زادها الزمن صقلاً وتنقيحاً في بعض انحائها ، ومنطقة جديدة لا عهد لنا بها تتراءى فيها صورة قصيدة الاسلامية وقد مضى الفرزدق وغيره من الشعراء يرسمونها ويحددون تقاليدها ، ويبيِّنونَ ملامحها [4].

بنية مقدمة قصيدة المدح عند الفرزدق تختلف في تكوينها وبنائها اختلافاً كبيراً عن مشاركة الآخرين من شعراء الاحياء المعتدلين الذين قاموا بأدوار متفاوتة في بناء هذه القصيدة.

يميز د. وهب رومية بين طائفتين من الشعراء فهما : الاحيائيون السلفيون وهم : الاخطل ، والنابعة الشيباني ، والراعي ، وذو الرُّمة من المقصّرين ، والعجاج وأبنه رؤية من الرجّاز [5].

والاحيائيون المعتدلون وهم : جرير ، والفرزدق ، وكثير عزة ، والقطامي ، وأعشى همدان.

على أنّنا ينبغي ألا ننسى أن ثمة فروقاً بين شعراء الطائفة الواحدة في قصيدة المدح.

([1]) التطور والتجديد في الشعر الاموي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط6 ، ص : 147.

([2]) نفسه ، ص : 147 ، وينظر : الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم ، د. سمير الديوب ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 2009 ، ص : 77.

([3]) التطور والتجديد في الشعر الاموي ، ص : 147 ، وينظر : بنية القصيدة العربية ، د. وهب رومية ، ص : 193 وما بعدها.

([4]) التطور والتجديد في الشعر الاموي ، ص : 149.

([5]) بنية القصيدة العربية ، ص : 347.

ويمكن أن نقول : إنّ مقدمة قصيدة المدح لدى السلفيين تتميز ، بصورة عامة بالمحافظة الشديدة في كل شيء ، في صورتها العامة وفي تقاليدها الكبرى ، وفي صورة كل تقليد من هذه التقاليد وموضوعاتها ، وفي صورها الشعرية ، وفي اساليبها الصناعة الغنية ، وفي المعاني واللّغَة أيضاً [1].

ولعلّ المقدمة والرحلة اشد محافظة من المدح.

وأشهر المقدمات التي أفتتحوا بها مدائحهم وأطالوا فيها هي اشهر المقدمات الجاهلية ، اعني ((المقدمة الطللية)) ثم تليها ((مقدمة الظعن)) وتليهما جميعاً ((المقدمة الغزلية)) و ((مقدمة الشيب والشباب)) و ((مقدمة حديث الحب)) أو حديث الصحراء أو المدح ، والمقدمة الدينية والمقدمة ((الطيف)) عند الشاعر الفرزدق [2].

وقد أدت ظاهرة ((أزدواجية المقدمة)) الى ظاهرة هي طول المقدمات لدى الشعراء السلفيين والمعتدلين.

لقد بات واضحاً أن هؤلاء الشعراء ((المعتدلون)) والفرزدق منهم يصدرون في مقدمات مدائحهم الغزلية والمدحية عن ذوق فني يفارق ذوق الشعراء السلفيين مفارقة ظاهرة ، وإن لم تكن هذه المفارقة واحدة عندهم جميعاً.

وتتراجع المقدمة الطلية عند الفرزدق تراجعاً شديداً في مدائحه ويتأخر بها الفرزدق عن المقدمات الاخرى تأخراً لا نكاد نرى نظيراً له ، فتتقدمها ضروب المقدمات جميعاً خلا ((المقدمة الدينية))[3].

إنّ فكرة المقدمة لا تلقى صدى قوياً في نفس الفرزدق وهذه ظاهرة فنية نفسية بارزة يتميز بها الفرزدق من الشعراء السلفيين تميزاً واضحاً ، وهو يتصرف عن هذه المقدمات أحياناً كثيرة ، واذا حاولنا أن نجلو صورة ((مقدمة طللية)) في مدائحه تقل الاستغراب والحيرة ألسنتنا فليس في مدائحه الفرزدق جميعاً ، سوى ثلاث مقدمات طللية ، وهي مقدمات قصيدة شديدة القصد ولا تزيد على خمسة أبيات [4].

والمتلقي لمدائح الفرزدق يحسُّ إحساساً عميقاً أنّ مقدمة الأطلال بدأت تتقوّض تحت ضربات هذا الشاعر ، فقد صدّ عن هذه المقدمة صدوداً مسرفاً حتى أوشك ان يكون هجراناً ، ثم مضى يهدمها ويجردها من اكثر الرسوم التي حرص الاسلاف على تأصيلها ، فهو لا يُعنى بحاضرها أو بماضيها بل يقتصر على تصوير مشاعره نحوها [5]. إنّ الفرزدق لا يصف الأطلال بل يستعيد وصفها ذهنياً فيقول :

أَلمّاً على الاطلال سُعدى تُسلِّم ... دوارس لمّا استُنطقتْ لم تُكَلّمِ

وقوفاً بها صحبي عليَّ وإنّما ... عرفتُ رسوم الدار بعد التوهمِ

يقولون لا تهلِك أسى ولقد بدت ... لهم عبراتُ المستهام المتيم [6]

([1]) المصدر نفسه ، ص : 348 – 349.

([2]) المصدر نفسه ، ص : 350 ، وينظر : دراسات في الشعر الجاهلي ، د. يوسف خليف ، دار غريب ، القاهرة ، ص : 147.

([3]) بنية القصيدة العربية ، ص : 562 ، وينظر : الرحلة في القصيدة الجاهلية ، د. وهب رومية ، ط3 ، 1982 ، ص : 165.

([4]) بنية القصيدة العربية ، ص : 563.

([5]) المصدر نفسه.

([6]) شعر الفرزدق ، اطروحة دكتوراه مخطوطة ، القاهرة ، ص : 754.

واذا دققت النظر في هذه المقدمة وجدت أن الشاعر سيبعث طائفة من رسومها العريقة كمخاطبة الصاحبين ، والتسليم على الديار واستنطاقها والوقوف فيها ، ولكن حذاري أن تخدعك هذه الرسوم فتظن ان الفرزدق يبني اطلالاً ، خاصة به ، فقد تناول بعضاً من ((طرفة)) وبعضها من ((زهير)) وبعضها من ((عنترة))[1].

وينهض الفرزدق بمقدمة قصيدة ((الطيف)) نهضة طيبة ، فيتقدم جمهرة الشعراء بها ، وتزدهر هذه المقدمة على يديه ازدهاراً ملحوظاً ، فهو يكثر من افتتاح مدائحه بها على قلّة اهتمامه بالمقدمات ، وهو أيضاً يُحيي طائفة من رسومها الفنية القديمة ، فضلاً عن الاضافة الفنية الجديدة على رسومها. والفرزدق يغيّر صورتها القديمة تغيراً واضحاً في اغلب الاحيان ، فهو يمدح الوليد بن عبد الملك فيفتتح مدحته لهذهِ المقدمة [2] ، فيقول [3]:

اذا عرض لنا المنام لنا بسلمى ... فقلْ في ليلِ طارقة قصيرِ

أتتنا بعد ما وقع المطايا ... بنا في ظلّ أبيضَ مستطيرِ

فباتتْ لي وأحْسَبُهَا حلالاً ... وبتُّ لها كمحتضنِ الخصورِ

فبتُ معانقاً أَرنو وأُرنى ... ومرّاتٍ على كفَلٍ وثيرِ

وبتنا في الرداء معاً كأنّا ... لنا ملكُ الخورنق والسديرِ

فلَمّا للصلاة دعا المنادي ... نهضتُ وكُنتُ منها في غرورِ

لقد حوّر الفرزدق في صورة هذه المقدمة في بنية القصيدة – على نحو ما نرى – تحويراً شديداً حتى أوشك ان ينسخ ملامحها القديمة نسخاً الا قليلاً ، فاذا استثنينا وقت الزيارة لم يبق للقدماء شيء فيها [4].

لقد اغفل الشاعر كثيراً من الرسوم الفنية القديمة ، وأقترب بمقدمته من شاطئ الجزيرة المسحورة – جزيرة العشاق – وراح يقصّ علينا هذه الحكاية الصغيرة التي يضيء الحلم أرجاءها جميعاً ، فيعني بالتصوير النفسي عناية رائعة – فما أقصر ليله اذا طرقه طيف الحبيب! ، وما أجمل هذا التعاطف والود اللذين يعمران هذه العلاقة! ثم ما اجمل ساعات الفرح والغبطة حين ينعم كلاهما بالآخر سواء بسواء كأنّ لهما معاً ملك الخورنق والسدير![5] ، ويصور الفرزدق مقدمة الطيف في قصيدة اخرى بصورة ضيف ، ويضفي عليه كل ما يضيفه المرء على ضيوفه الاعزاء من الترحيب بهم ، وتهيئة المبيت الناعم لهم ، والحديث عمّا أنعقد بينه وبينهم من أواصر القربى حتى يوشك المرء أن يظن ان الفرزدق يتحدث عن ضيف حقيقي لا عن ضيف طارق ، ثم يكون الصباح ومع الصباح يتبدد الحلم الجميل.

([1]) بنية القصيدة العربية ، ص : 564 ، ويُنظر : بنية القصيدة الجاهلية ، الصورة الشعرية لدى امرؤ القيس ، د. ريتا عوض ، دار الآداب ، ص : 185.

([2]) بنية القصيدة العربية ، ص : 571.

([3]) شعر الفرزدق ، ص : 349.

([4]) بنية القصيدة العربية ، ص : 572 ، وينظر : التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص : 131.

([5]) يُنظر : بنية القصيدة العربية ، ص : 572 ، ويُنظر : الشعراء الصعاليك في صدر الاسلام ، د. حسين عطوان.

والفرزدق في مقدمة قصيدة الطيف يخالف صورة الطيف القديمة مخالفة واسعة ويعبر تعبيراً دقيقاً عن التحرر من الاسترقاق للقديم. على أنّ أجمل ما أضافه الشاعر الى مقدمة ((الطيف)) هو ((الحنين وعاطفته)) التي بثها فيها ، فاذا شعلة صغيرة من المشاعر النفسية المتألقة كما نجد في مقدمة مدحته ((الرائية)) في سليمان بن عبد الملك ، وهو أول خليفة أُموي يرحل الفرزدق إليه [1] ، فيقول :

طرقتْ نوارُ ودون مطرقها — جذبُ البُرى لنواحلٍ صُغرُ
ورواحُ معصفةٍ وغدوتُها — شهراً تواصُلُهُ الى شهرِ
أدنى منازلها لطالبها — خمسُ الموؤَّبِ للقطا الكدرِ
واذا أنامُ أَلمَّ طائفها — حتى يُنسَّهُ أعين السفرِ [2]

والمقدمة هذه كما نرى عامرة بالحنين الى العراق فليست ((نوار)) حبيبة الشاعر الا صورة من العراق ، ومَن في العراق ، فالشاعر يذكر الحبيبة ويشتاق ويحن اليها كلما هبت ريح الجنوب أوفاه بأسمها احد كما يقول :

إنّي يُهيّجُني إذا ذُكرَتْ — ريحُ الجنوبِ لها على الذِّكرِ

ونحن لا نسرفُ في الظنّ ، فأغلب مدائح الشاعر الفرزدق في سليمان بن عبد الملك تتوهج صدورها ((بالحَنين)) حتى نكاد ننصّ على مقدمة ((الحنين)) في مدائح الشاعر ، التي يبوح فيها بهذا الحنين في غير مداراة فكأنّه يكفكف دموعه ويزجرها زجراً فيقول [3]:

لوى ابنُ أبي الرقراقِ عينيهِ بعد ما — دنا من أهالي إيلياءَ وغوَّرا
رَجا أن يرى ما اهله يُبصِرونه — سهيلاً فقد واراه أجبالُ أعفرا

والقارئ يرى كيف يتدفق الحنين في هذه المقدمة تدفقاً ؟ إنّها لؤلؤة هذا الشاطئ الممتد من المقدمات ، وكل ما فيها بديع ومدهش لقد حاول الفرزدق أن يقنّع حنينه بالغزل ، ولكن موجة الحنين طغت على كل ارجاء المقدمة طغياناً فزادت هذا الغزل – على قصره – ألفاً وجمالاً ، هل رأيتَ اجمل من هذه المخابيء التي يتحدث عنها ((مخابيء حب من حميدة ...)) [4] إنّ اموراً كثيرة تشعل الحنين في نفوس الشعراء العرب كالبرق ، والنار البعيدة ونجوم الجزيرة العربية حيناً آخر ، ورياح الصبا الرقيق وبكاء الحمام... واحياناً كثيرة ، فليس ((ابن أبي الرقراق)) هذا سوى صورة من الفرزدق أو امرأة له تنعلس فيها اشواق الشاعر ومواجعه ، بل لست أبعد اذا رأيت في هذا الشاب الذي ولّى فجأةً صورة رمزية لهذا الارتحال عن العراق الحبيب الى الشام البغيض – في عين الشاعر – إنّه شعر الحنين الذي يتوهج في صدور هذه المدائح عارياً كاللآليء حيناً ، ومقنَّعاً بقناع الغزل أو الطيف كاللآليء في اصدافها حيناً آخر [5].

([1]) بنية القصيدة العربية ، د. وهب رومية ، ص : 573 ، ويُنظر : الكلمات والاشياء ، د. حسن البنا عز الدين.
([2]) شعر الفرزدق ، ص : 573.
([3]) شعر الفرزدق ، ص : 240.
([4]) بنية القصيدة العربية ، ص : 575.
([5]) المصدر نفسه ، ص : 576.

وينفرد الفرزدق بافتتاح بعض مدائحه بمقدمة ((الشيب والشباب)) ولكنه لا يفصل فيها ولا يتسع فهو يسقط منها هذا الانطلاق خلف ذكريات الشباب وقصّها وتصويرها على خلاف ما كان يصنع الاعشى والاخطل ويصور الشاعر موقف النساء منه في انصرافهن عنه وإنكارهن ما صار إليه تصويراً ضيقاً قصيراً ، فيقول :

يا عجباً للعذارى يوم معقلةٍ عيّرنني تحت ظل السدرة الكِبرا

فظلَّ دمعي ممّا بان لي سرِباً على الشباب اذا كفكفتُه انحدرا

فإن تكن لِمّتي أسستْ قد انطلقتْ فقد أَصيدُ بها الغزلان والبقرا [1]

إنّ التحرر من عبودية القديم أبين وواضح من أن تنص عليه ، فقد تقلصتْ هذه المقدمة في مدائح الفرزدق ، وتقاربت اطرافها ، وغابت منها ضروب الفتوة المختلفة التي كان يسرف ((الاعشى)) في الحديث عنها من شرب للخمر وأعتساف للفلوات ، ومطاردة للنساء وسوى ذلك من ألوان المغامرة المعروفة [2].

وقد كُنّا ننتظر من شاعر مقبل على الحياة مثل الفرزدق ان يكثر من بكاء الشباب والتفجع عليه ، وأن يستدير نحو الماضي فينشر صفحاته المطوية ويسرف في مزاعمه ويغلو.

إنّ شعر الفرزدق يصدر في مقدماته المدحية عن ذوق شعري يزاوج مزاوجة ظاهرة بين التراث وروح العصر ، فيختار من القديم دون أن يسترقه ، ويختار من الجديد دون يبهره ، ثم يلائم بين هذه العناصر جميعاً ملاءمة تكشف عن روح شعري متميز يمكن أن نصفه بالاعتدال [3] والفرزدق في تقاليده لقصيدة المدح لا يحرصُ على مراعاة ترتيب تقاليد قصيدة المدح كما كان يحرض الشعراء السلفيون في بنية قصيدة ((الرحيل)) والشاعر يكثر من الرحيل في مدائحه ويفتتح به طائفة منها ، ولكنّه يعبث بصورة هذا التقليل (الحديث عن الرحيل) عبثاً شديداً ، فيعترض به المدح ويقسمه نصفين ، أو يمزج بينه وبين الغزل حيناً وبينه وبين المدح أحياناً ، ويكثر من ذلك حيث يغدو ظاهرة فنية بارزة في شعره [4].

ولا يطيل الفرزدق في وصف الصحراء ، بل يوجز إيجازاً شديداً اذا توخينا الدقة ولا يطيل في الوصف ، بل يكتفي برسم صور ضيقة أو شديدة الضيق على نحو نرى في قوله :

وصاديةُ الصدورِ نضحتُ ليلاً لهنَّ سجال اجنحةٍ طوامي

كأنّ نصالَ يثربَ ساقطتها على الارجاء من ريش الحمامِ [5]

قائمة المصادر والمراجع

1- أساس البلاغة ، للزمخشري ، بيروت ، د ، ط ، دار صادر ، 1966.

([1]) شعر الفرزدق ، ص : 577.

([2]) يُنظر : بنية القصيدة العربية ، ص : 577.

([3]) ينظر : بنية القصيدة العربية ، ص : 582.

([4])

([5]) شعر الفرزدق ، اطروحة دكتوراه مخطوطة ، القاهرة ، ص : 835.

2- بنية القصيدة العربية في شعر محمود درويش ، د. ناصر علي ، ط1 ، 2001.
- بنية القصيدة الجاهلية ، الصورة الشعرية لدى امرؤ القيس ، د. ريتا عوض ، دار الآداب.
3- بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح انموذجاً) ، د. وهب رومية ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1997.
4- البناء الفني في القصيدة العربية القديمة والمعاصرة ، د. مرشد الزيدي.
5- التطور والتجديد في الشعر الاموي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط6.
6- الثنائيات الضدية ، دراسات في الشعر العربي القديم ، د. سمير الديوب ، الجمهورية العربية السورية - وزارة الثقافة ، دمشق ، 2009.
7- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته واساليبه ، د. سامية الدّريدي ، عالم الكتب الحديث ، ط ، 2008.
8- حفريات من تراثنا النقدي ، د. يوسف بكار ، دار الرائد ، ط1 ، 2007.
9- دراسات في الشعر الجاهلي ، د. يوسف خليف ، دار غريب ، القاهرة.
10- شعر ابن قيس الرُّقيّات ، تح : د. ابراهيم عبد الرحمن محمد ، لونجمان.
11- الرحلة في القصيدة الجاهلية ، د. وهب رومية ، ط3 ، 1982.
12- شعر الفرزدق ، اطروحة دكتوراه (مخطوطة) ، القاهرة ، 1965.
13- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ج2 ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، المعارف ، 1966.
14- مصطلحات نقدية من التراث الادبي العربي ، محمد عزّام ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1995.
15- مقالات في الشعر الجاهلي ، د. يوسف اليوسف.
16- معرفة الآخر ، د. عبدالله ابراهيم ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1991.
17- عصر القرآن ، محمد مهدي البصير ، دار الرائد – بيروت ، ط4 ، 1990.
18- في صحبة الادب القديم ، د. أحمد محمد الحوفي ، نهضة مصر ، ط1 ، 2006.
19- لسان العرب ، ابن منظور ، ج2 ، بيروت ، (د . ط) ، دار صادر ، 1965.
20- الشعراء الصعاليك في صدر الاسلام والعصر الاموي ، د. حسين عطوان ، دار الجيل ، ط1 ، 1970.
21- الشعر الجاهلي واثره في تغيير الواقع ، د. علي سليمان ، منشورات وزارة الثقافة ، في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، 2000.
22- الكلمات والاشياء ، التحليل البنيوي لقصيدة الاطلال في الشعر الجاهلي دراسة نقدية ، د. حسن البنا عز الدين ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1989.

جهود علماء تفسير القرآن في الحفاظ على أصالة اللغة العربية وتراثها
(المفسر البصري قتادة السدوسي نموذجا)

أ.م. د. فلاح عبد الحسن هاشم
جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم علوم القرآن

الملخص

يهدف البحث إلى بيان أهمية القرآن في حفظ اللغة العربية أولاً ومن ثم وفي طول ذلك بيان الجهود التي بذلها علماء القرآن خصوصاً علماء التفسير وعلماء معاني القرآن وغيرهم وأهمية تلك الجهود في المحافظة على اللغة العربية وتراثها وأصالتها، وكان من بين هؤلاء العلماء الذين أسهموا في ذلك علماء العراق البصريين، وأبرزهم جهود الإمام قتادة بن دعامة السدوسي البصري.

اتسم البحث بمنهج وصفي ولم يكن معيارياً، ولهذا خلا من النقد وما يجب أن يكون، والهدف الأساس منه هو إبراز وتوثيق جهود المفسرين وإسهامهم في حفظ اللغة العربية وتراثها.

وكان المحور الأول في هذه الدراسة في أثر القرآن في المحافظة على أصالة اللغة العربية، والمحور الثاني في أثر علماء القرآن ممن عرف عنهم تفسير القرآن، والمحور الثالث في خصوص المفسر قتادة بن دعامة السدوسي البصري وأهمية جهوده العلمية والمعرفية خصوصاً القرآنية وما تعلق منها بلغة القرآن في الحفاظ على أصالة اللغة العربية وتراثها.

كلمات دلالية: (جهود) (علماء القرآن) (علماء البصرة) (تفسير قتادة).

المبحث الأول: أثر القرآن الكريم في الحفاظ على أصالة اللغة العربية

القرآن كلام الله وهو في اللغة – في أرجح الأقوال– لفظ مهموز، ومشتق، سواء كان مصدر قرأتُ، فهو مهموز اللام من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، على وزن فعلان كالرجحان والغفران والشكران، سمي الكتاب المقروء بالقرآن، من باب التسمية بالمصدر وإرادة اسم المفعول[i]. أو كان وصفاً على وزن فعلان، مشتق من القَرْء، بمعنى الجمع، ومنه: قرأت الماء في الحوض أي جمعته. قال أبو عبيدة: وسمي بذلك؛ لأنه جمع السور بعضها إلى بعض. وقال الراغب: لا يقال لكل جمع قرآنٌ، ولا لجمع كل كلام قرآن، قال وإنما سمي قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة. وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها[ii].

وفي الاصطلاح هو وحي الله المنزل على النبي محمد (ص) لفظاً ومعنى وأسلوباً المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر [iii]. وهذا الوحي نزل بلسان عربي مبين، كما يقول الله تعالى: **(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)**[iv].

ومن المعلوم أن اللغة التي كتب بها القرآن هي اللغة العربية التي شرفها الله تعالى بأن تكون وعاء للقرآن ولكلامه ووحيه، وبهذا الاختيار أتيح لألفاظ هذه اللغة أن تؤدي معاني الوحي الإلهي وتبينه للناس، فكانت ألفاظ هذا القرآن – كما يقول الراغب الأصفهاني– لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمه، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة[v].

وفي هذا السياق يقول الشاطبي: "وإن كان النبي (ص) بعث للناس كافة؛ فإن الله جعل جميع الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعا للسان العرب، وإذا كان كذلك فلا يفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي نزل عليه، وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها"[vi].

واختيار الله تعالى لتكون العربية لغة الوحي ولغة قرآنه وكلامه ما كان إلا لأن في هذه اللغة عناصر خاصة كانت تؤهلها لتكون ذلك الوعاء، فقد حظيت بصفات وطابع خاص بها يميزها عن غيرها، فهي أكثر اللغات السامية تأثيراً في أصول الكلمات والمفردات، فقد اشتملت على جميع الأصول التي اشتملت عليها أخواتها من اللغات السامية أو على معظمها، مضافاً إلى هذه الميزة، قد جمعت من المفردات والمترادفات ما لم تجتمع للغة سامية أخرى في مختلف أنواع الكلمات، اسمها وفعلها وحرفها[vii].

كما أنها أوسع اللغات مدى– كما يقول الرافعي– وأغزرهن مادة، وأوفاهن بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة؛ لكثرة أبنيتها، وتعدد صيغها، ومرونتها على الاشتقاق، بنحو أفضى إلى استغراق اللغات بجملتها، مع أنها أقل هذه اللغات أوضاعًا، حتى إن المستعمل منها لا يتجاوز ستة آلاف تركيب[viii].

ويؤكد هذه الحقيقة ابن فارس بقوله: إن "لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، قال تعالى: **(بلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)**[ix] فوصفه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان، وقال تعالى: **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)**[x] فقدم ذكر البيان على جميع ما توحد الله بخلقه، فلما خص تعالى اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه"[xi].

ومع هذا الخصائص المهمة للغة العربية لا يمكن **لذاتها** أن تحافظ على نفسها من تأثيرات التطور الزماني، فإن كل لغة خاضعة في بنيتها واستمرارها للتطور، ولا يمكن للسنن التاريخية أن تستثني أي لغة من التأثير مهما علا شأنها، فلابد أن يطالها هذا التأثير، ولا يقال إن العربية مستثناة من ذلك لكونها لغة إلهية، بزعم أن أصل اللغة العربية كانت لغة آدم في الجنة؛ فلما عصى ربه سلبه العربية وأعطاه السريانية ثم تاب فردها إليه[xii]. فإن ذلك من المغالاة يجب تجنبه.

نعم ثمة إجماع على أن إسماعيل عليه السلام أصل العربية المضرية؛ كما قال ابن جني: "وإنما صارت لغتهم الأصل" لأن العربية أصلها إسماعيل عليه السلام وكان مسكنه مكة"[xiii]. لكن هذا لا يعني بالضرورة أن اللغة متوارثة في قريش من عند إسماعيل عليه السلام وتكون قد بقيت زهاء خمساً وعشرين قرناً، وهي جامدة على وتيرة واحدة، فهو رأي لا يصمد أمام العقل وإنما سوغه من يريد إعطاء اللغة صفة إلهية لمنزلة القرآن منها، وما كان إلهيا فهو كذلك إلى الأبد؛ غير أن التاريخ لا دين له في نسقه الزمني وإنما التحول والتنوع من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

نعم لا يبعد أن لسان إسماعيل بالعربية وضع أصلها بما أضاف من لغة "جرهم" الى لغة قومه، وبذلك انطلق لسانه من الكلام في مذهب أوسع منحى وأوضح دلالة، وهذا معنى ما ورد في الحديث من أن" "أول من فتق لسانه بالعربية هو إسماعيل" وعلى هذا يصح الادعاء إن أول تهذيب حدث في العربية يرجع الى عهد إسماعيل[xiv].

ثم توسع التهذيب والتنقيح لهذه اللغة العظيمة في عهد قريش وهي القبيلة الأخيرة في تاريخ الفصاحة، وذلك أن قريشا كانوا ينزلون من مكة بواد غير ذي زرع وكانت الكعبة شرفها الله وجهة العرب وبيت حجهم قاطبة في الجاهلية فكان لكل قبيلة منهم صنم يحجون إليه حتى وكانت تلك القبائل بطبائعها متباينة اللهجات، مختلفة الأقيسة المنطقية المودعة في غرائزها، فكان قريش يسمعون لغاتهم ويأخذون ما استحسنوه منها، فارتفعت لغتهم عن كثير من مستبشع اللغات ومستقبحها، وبذلك مرنوا على الانتقاد؛ حتى رقت أذواقهم، وسمت طبائعهم، وقويت سلائقهم؛ وحتى صاروا في آخر أمرهم أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانة عما في النفس[xv].

وعندما نقارن تأثير التطور في سائر اللغات غير العربية نجد أن هناك تغيراً كبيراً حدث على جميع المستويات خصوصاً في الدلالات، كاللغة الإنكليزية التي يعسر فهم دلالات نصوصها القديمة للجيل الحاضر، بل هناك لغات اندثرت تماماً بفعل التطور مثل اللغة الفينيقية واللغة المصرية القديمة الهيروغليفية واللغة الآشورية[xvi].

إلا أن اللغة العربية لبثت محتفظة بكل مستوياتها اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وهذا الصفة لم تكن لولا القرآن الكريم.

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن جعلها محفوظة بحفظ القرآن باقية ببقائه، كما قال الله تعالى: **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)**، ودل هذا الوعد الإلهي أن اللغة التي جسدت كلام الله تعالى هي متعلق هذا الوعد العظيم. هذه اللغة بما تحمل من عناصر تركيبية ونحوية وبلاغية وفصاحة وجمال.

بل إن عالمية اللغة العربية كان بفضل القرآن والإسلام، وقد أكد هذا المعنى بعض المستشرقين مثل الألماني نولدكه بقوله: "إن العربية لم تصر لغة عالمية حقاً إلا بسبب القرآن والإسلام، وبهذا صارت العربية مقدسة"[xvii].

ولو أردنا أن نرصد تأثير القرآن في هذه اللغة، يمكن أن نحدد ذلك ببعض النقاط:

أولا: زيادة الرغبة في تعلم العربية تبعاً للرغبة في أداء العبادات وفهم القرآن وتعاليمه وإرشاداته، فعندما تكون لغة الدين الإسلامي هي اللغة العربية ولغة نصوصه هي اللغة العربية سواء النصوص القرآنية أم نصوص النبي وأهل بيته وصحابته الذين نقلوا الدين بمروياتهم، حتماً سيسهم ذلك في تعلم تلك اللغة العربية. يقول الرازي: "تفتقر سائر اللغات، خصوصية انفردت بها اللغة العربية، هي شدة حاجة الناس الى معرفتها، تبعاً لحاجتهم لمعرفة القرآن وألفاظه وأحاديث رسول الله والأئمة والصحابة والتابعين وما موجود في الشريعة من الأسماء في أصول الفرائض والسنن مما يكون الجهل به نقص ظاهر على المرء المسلم"[xviii].

وكأن في اللغة العربية سرٌّ خالدٌ يتمثل في الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب أن يؤدى على وجهه العربي الصريح ويحكم منطقاً وإعراباً بحيث يكون الإخلال بمخرج الحرف الواحد كالزيغ بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤداها[xix].

ويعدها من روائع تأثير القرآن في اللغة العربية، فإن وجوب أداء القرآن والعبادات بنفس اللغة دون غيرها، ولا يجوز الأداء بالترجمة جعل المسلمون يتجهون إلى أن يرتلوا القرآن بلغته العربية ويحافظوا على تجويده ويفسروه لأبناء لغاتهم.

وهذا بخلاف الكتب المنزلة الأخرى فالتوراة مثلا لا يقرأها بلغتها العبرية إلا أحبار اليهود ونفر ممن تفرعوا لدراستها أما سائر اليهود يقرؤونها بلغة سكان البلاد التي يعيشون فيها. واقتصرت قراءته على العلماء فقط باللغة العبرية والسريانية واليونانية[xx].

ثانياً: أصبح القرآن المعيار والقانون في تنقيح اللغة العربية بيان أصالتها، فيكون مضافاً للشعر وكلام العرب وخطبهم، فكلما ابتعدنا عند العصور الأولى للغة العربية كلما احتجنا إلى قانون وميزان نحتكم له في معرفة صحة الكلام من سقمه، وليس ثمة أجلى من ميزان القرآن وكلامه، "فالجملة القرآنية وعربيتها وفصاحتها وقيامها في تربية الملكة وإرهاف المنطق وحل الذوق مقام نشأة خالصة في أفصح قبائل العرب وردها تاريخنا القديم إلينا حتى كأننا فيه وصلتنا به حتى كأنه فينا وحفظها لنا منطق رسول الله ومنطق الفصحاء من قومه حتى لكأن ألسنتهم عند التلاوة تدور في أفواهنا وسلائقهم هي تقيمنا على أوزانها"[xxi].

ثالثاً: الحفاظ على الدين النابع من شعور المسلم يسهم في تضافر جهود علماء العربية وعلماء الإسلام والشريعة في درء الأخطار في وقت التدهور والانحطاط الذي تتعرض له كل اللغات في العالم، وهذه الجهود منعت اللغة العربية من الانصهار في غيرها من اللغات ومنع تسرب كل ما هو دخيل عليها من الألفاظ، ومن هنا لم نجد اللهجات العامية أثرت بشكل بنيوي على اللغة.

ولهذا عندما ما تقهقرت اللغة الدولة العربية، وتقهقرت معها الحضارة الإسلامية خشي أن تندثر لغة تلك الدول وتندمج في لغة الشعوب المغلوبة على أمرها غير أن اللغة العربية قد استعصت على نكبات الدهر بفضل القران[xxii].

رابعاً: ثبات واستقرار اللغة العربية، مزية تفردت بها اللغة العربية عن سائر اللغات وهي أثر من آثار القرآن الكريم، فإنه له الفضل في الاستقرار الصوتي للغة العربية، فالإعجاز في نظم الكلام وفي دقة اختيار المفردات وفي التناسب الصوتي للكلمات مع المعاني المقصودة مضافاً للإعجاز في الفصاحة والبلاغة كل ذلك أسهم بلا شك في استقرار اللغة وثباتها.

وينعكس ذلك بثمرة مهمة تتمثل في تواصل الفهم بين الأجيال للنصوص القديمة والتراثية، بخلاف اللغات الأخرى التي أصبحت صعبة الفهم بمجرد أن مر عليها أكثر من أربعة قرون كاللغة الإنكليزية التي يعسر فهم دلالات نصوصها القديمة للجيل الحاضر.

وتنعكس أيضاً على أن حدود تجاوز اللغة المعاصرة بكل مستوياتها نتيجة التطور عن اللغة العربية الفصحى بخلاف معظم اللغات الحية التي تغير وجهها بصورة أضحت متباينة مع اللغة الأصل تكاد تكون لغة أخرى[xxiii].

خامساً: استحداث مفردات جديدة في معان خاصة لم تكن متوفرة في اللغة العربية المستعملة وقت نزول القرآن، مثل الإيمان والكفر والصلاة والصيام والزكاة والحج والمغفرة، وما تفرع على ذلك من مفردات زخرت بها العلوم الشرعية، مثل التوحيد والفقه والتفسير والنحو والصرف ونحو ذلك، كلها نشأت في رحاب القران الكريم للمحافظة عليه من اللحن ولمحاولة فهمه والوقوف على أسرار معانيه.

يقول ابن فارس في سياق حديثه عن استحداث القرآن لألفاظ ومصطلحات جديدة: " كان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا. وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع. ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: " فسقت الرطبة "إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الأفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه.

ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم: الدعاء. وقد كانوا عرفوا الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة، وكذلك الحج، لم يكن عندهم فيه غير القصد، وسبر الجراح، ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج

وشعائره، وكذلك الزكاة، لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره"[xxiv].

سادساً: أسهم القرآن الكريم بتهذيب اللغة العربية من الألفاظ الغليظة والخشنة والموحشة الثقيلة على السمع مثل كلمة "الهعخع" و"افرنقعوا" وغير ذلك، فعدم استعمالها في القرآن أشعر بعدم بلاغتها وفصاحتها، فندر تداولها، وكل ذلك ببركة القرآن الكريم.

لقد ارتبطت اللغة العربية واندكت بالقرآن اندكاكاً شديداً، يتعسر الفصل بينهما، فأضحت اللغة العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم، وقد اجمع الأولون والآخرون على إعجازه بفصاحته [xxv].

سابعاً: إن تعلق القرآن باللغة العربية أسهم في تدوين علوم القرآن مضافاً لعلوم اللغة العربية، ولولا الإسلام والقرآن لم تحظ اللغة العربية بما حظيت به من خدمة بتدوين علومها وتبويب مسائلها وتتابع أجيال فأجيال على النظر فيها جمعاً وتأليفا وتقعيداً وبحثا عن أوجه جمالها وإعجاز قرآنها وتمجيدا لها وتعظيما ليس من أبنائها فحسب، بل من ذوي الأصول غير العربية الذين هجروا لغتهم الأم وتعصبوا للغة العربية كالجاحظ وأبي حاتم الرازي وأبي علي الفارسي وأحمد بن فارس وأبي حيان التوحيدي الذين رأوا أن اللغة العربية لم يكن اختيارها للقرآن عبثاً بل من رب العالمين ذي الخلق والأمر وكل شيء عنده بحكمة ومقدار[xxvi].

المبحث الثاني: مفسرو القرآن وأثرهم في المحافظة على أصالة اللغة العربية

قلنا في نهاية المحور الأول أن تدوين علوم القرآن كان أحد الآثار التي نتجت عن ارتباط القرآن باللغة العربية؛ فنشأت دراسات علوم القرآن بفروعها المختلفة متعلقةً بالقرآن الكريم؛ فكان القرآن هو محورها، والدراسات المتعلقة بالتفسير كانت الأهم وتمثلت في توضيح آيات القرآن وتبين معناه واستخراج الأحكام الشرعية منه، وقد كان معظم المفسرين من علماء اللغة العربية، وقلما تجد عالماً منهم لم يكن مقرئاً أو مفسراً.

لقد بدأ سؤال النبي (ص) مبكراً في الصدر الأول للإسلام عن تفسير بعض آيات القرآن وغريب ألفاظه، من كبار الصحابة أمثال عبد الله بن عباس وغيره– ممن اهتموا بتفسير القرآن– عن معاني بعض آيات القرآن الكريم، وغريب ألفاظه؛ وبرغم أن هؤلاء الصحابة كانوا يفهمون لغة القرآن، إلا أن فهمهم اقتصر على الظاهر منه، ولهذا ما خفي عنهم كانوا يسألون النبي عنه فيبينه لهم، وقد عكفوا على تعلم القرآن ودراسته دراسة دقيقة حتى قال ابن مسعود: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"[xxvii].

ومن ثم فبعد وفاة النبي (ص) ظهر علماء كبار في التفسير، كان أبرزهم علي بن أبي طالب (ع) وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت(رض).

وكان ابن عباس منهم يرجع الى اللغة العربية في تفسيره خصوصاً الشعر الجاهلي حيث كان يستشهد به كثيراً، وقد ساعد ذلك سعة اطلاعه على شعر العرب وأيامهم وسرعة حفظه وقوة ذاكرته[xxviii]. وعندما كان يسأل ابن عباس عن آية أو لفظ؛ كان يجيب عن ذلك مستشهداً بأبيات من الشعر العربي، كما نقل عنه قوله: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[xxix] وقوله: "الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها؛ فالتمسنا ذلك منه"[xxx].

وقد ذكر السيوطي في الإتقان كثيراً من هذه الأسئلة وإجاباتها [xxxi]، وجمعها الدكتور إبراهيم السامرائي في كتاب مستقل بعنوان (سؤالات ابن نافع بن الأزرق الى عبد الله بن عباس)، وبذلك يمكن عد تفسير ابن عباس على هذا النحو نواة للمعاجم العربية.

وهكذا بدأت الدراسة في هذا المجال من اللغة بالبحث عن معاني الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم؛ ولذلك نجد التأليفات الأولى في المعاجم كانت تحمل اسم (عريب القرآن). فكانت دراسة القرآن وتفسيره من دواعي الاهتمام بالشعر العربي، وأحد الأسباب التي أسهمت في نشأة المعاجم العربية[xxxii].

وإذا ما أضفنا علم القراءات، ولما لها من ارتباط شديد في توجيه التفسير القرآني، واستظهار المراد من كلام الله تعالى، فإنه بالقراءات المتعددة المتاحة ينكشف المعنى المحتمل، عندئذ يقال لا شك في أن لهذه القراءات أهمية خاصة على مستوى الحفاظ على اللغة العربية؛ فقد حفظت لنا أصوات هذه اللغة عبر أربعة عشر قرناً؛ حتى لتمثل – في معظمها – النطق العربيّ الأصيل؛ ومن هذا المنطلق أمكن تحديد معالم الصوتيات العربية، ومناهجها ونتائجها، فمخارج الحروف وصفاتها محددة مضبوطة وما يعرض لها من ألوان التغير والتفاعل بينها قد أكسبته القراءات صموده مع الزمن وثبوت قوانينه بالدليل العلمي الأكيد[xxxiii].

وجدير بالذكر هنا أن العلماء كانوا يمنعون من لا يجيد اللغة العربية من دخول ساحة التفسير والتصدي له، كما روي عن مالك قوله: "لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً"[xxxiv].

ومرجع ذلك أن القرآن لم يختلف في كيفية أدائه لمعانيه وأهدافه عن أساليب العرب وعن لغتهم، فقد اشتمل القرآن ذات أساليبهم من الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والحذف والإيجاز وغير ذلك، فأفرغت في هذه اللغة جميع معاني القرآن، وأودعت فيها جميع أسراره، وإن كان ما جاء في القرآن قد أُلبس ثوباً من الجمال والكمال ارتفع به عن سائر الكلام، ولهذا من المنطقي جداً أن من لا يفقه في هذه اللغة لا يمكنه أن يغوص في أعماق تلك الأسرار واللطائف ويتذوق أسرار جمالها[xxxv].

ولو رصدنا مناهج المفسرين لا نجدها ذات نمط واحد، بل كانت متنوعة تبعاً لتنوع ثقافة المفسر وما يحمل من توجهات وعلوم تشبع توجهاته وميوله، فثمة المفسر الذي يتبع منهجاً نحوياً وآخر يتبع منهجا أدبياً في تفسيره للقرآن وتوضيحه له، وهناك المنهج البلاغي والبياني، كما أن هناك المنهج الفلسفي العقلي والعلمي والصوفي وغير ذلك من المناهج المختلفة باختلاف توجهات المفسر.

وما يهمنا هنا هو المناهج ذات الصلة باللغة العربية، فمثل المنهج النحوي والأدبي والبياني والبلاغي، كل هذه المناهج لا شك في أنها تدعم فكرة أن المفسر لعب دوراً مهماً في المحافظة على اللغة العربية وأصالتها، وكانت المناهج اللغوية في التفسير لها امتداد تاريخي ابتداء بمفسري المعتزلة، فقد حرص المعتزلة شديد الحرص على الطريقة اللغوية التي تعد عندهم المبدأ الأعلى لتفسير القرآن وهذا المبدأ يظهر واضحاً في تفسيرهم للعبارات القرآنية التي لا يليق ظاهرها عندهم بمقام الألوهية أو العبارات التي تحتوي على التشبيه والتجسيم فيرجحون معنى آخر يزيل هذا التشبيه فيستدلون على ذلك المعنى بأدلة من اللغة والشعر العربي القديم[xxxvi]. كذلك لم تخل التفاسير القديمة والمهمة مثل تفسير الطبري عن الاهتمام بالشعر العربي، والمذاهب النحوية، وساهم في

ذلك معرفة ابن جرير الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب، وقد وظف ذلك في استعانته بالشعر القديم بشكل واسع واضح في تفسيره، وعلى سبيل المثال في تفسيره لقوله تعالى: فلا تجعلوا لله أنداداً يقول: قال أبو جعفر والأنداد جمع ند، والند العدل والمثل، كما قال حسان بن ثابت: أتهجوه ولست له بندٍّ فشركما لخيركما الفداء. كذلك نجده يتعرض كثيراً لمذاهب النحويين من البصريين والكوفيين في النحو والصرف، ويوجه الأقوال تارة على المذهب البصري وأخرى على المذهب الكوفي، وهكذا يكثر الاحتكام في مناسبات متعددة الى ما هو معروف من لغة العرب، عندما تمس الحاجة؛ مما جعل الكتاب يحتوي على جملة كبيرة من المعالجات اللغوية والنحوية التي أكسبت الكتاب شهرة عظيمة، وتعد هذه البحوث كنزاً عظيماً ومرجعاً مهماً في بابها[xxxvii].

وهكذا مثل تفسير الفخر الرازي (606هـ) نجده يستطرد في المسائل النحوية والبلاغية في العديد من الآيات القرآنية[xxxviii].

ولو حاولنا تسليط الضوء على من تميز بالمنهج اللغوي لكان الأفضل اختياراً لذلك هو الزمخشري المعتزلي (538 هـ) فهو القمة الأعلى للتفسير الاعتزالي، وعندما نلقي نظرة فاحصة على العمل التفسيري الذي قام به الزمخشري يظهر لنا أن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية كان في تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته والإتيان بأقصر سورة من مثله، فكان يحرص كل الحرص على أن يبرز في حلة بديعة جمال أسلوب القرآن وكمال نظمه ويمكن القول أن تفسير الكشاف هو الأوسع مجالا في هذا النحو من الجهود، فهو سلطان هذه الطريقة بلا منازع.

ولا يخفى تأثير الزمخشري على بقية المفسرين الذي جاءوا بعده، فقد استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة كانوا لا يلتفتون لها لولا تنبيهم لها. ولهذا نجدهم يذكرون ما ذكره الزمخشري من أنواع الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى، ومن نكات بلاغية عميقة تكشف عن براعة نظم القرآن وحسن أسلوبه[xxxix].

ولو تناولنا مفسراً آخر برع في هذا الجانب من المتأخرين، فلا يمكن تجاوز العلامة الألوسي (1270هـ) وتفسيره المعروف بروح المعاني، فقد برع باللغة العربية، نحواً وبلاغةً، فتمكن من طريقة المقارنة بين النصوص الأدبية في المعاني والتراكيب، مقارنة يتخذ بها من بعض تلك النصوص على بعضها شواهد، وهذا قد وسع من آفاق نظره في المعاني، وبهذا الثروة الواسعة من المعرفة اللغوية تقدم لتحرير تفسيره روح المعاني، فسلك فيه مسلك التفسير اللغوي، يهتم أولا ببيان موقع المفرد أو المركب من جملة الكلام، معتمدا على قواعد الإعراب واستعمالات البلاغة، ومعتصما بانسجام المعاني وتسلسل الأغراض[xl]. يتوسع في المسائل النحوية إلى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسراً، ولا يكاد يخلو موضع من الكتاب من دون التعرض للمسائل النحوية[xli]. بل من يراجع كتابه يجد اهتماماً واضحاً في لهجات العرب والاشتقاقات اللغوية والمسائل الصرفية، وتمييز ما هو أعجمي وما معرب، وما هو فصيح وما هو غير فصيح.

ومن النماذج التفسيرية المهمة أيضاً التي انعكس فيها الاهتمام اللغوي؛ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الغرناطي (745هـ) فقد كان من أقطاب سلسلة العلم والأدب وأعيان المبصرين بدقائق ما يكون من لغة العرب، ويعد تفسيره من أجمع التفاسير على النكات الأدبية الرائعة التي اشتمل عليها القرآن الكريم وأوفرهم بحثاً

وراء كشف المعاني الدقيقة لكلام الله، ويمكن القول إن تفسيره كان ديواناً حافلاً بشواهد تفسير الكلمات واللغات والتعابير اللغوية والوجوه الإعرابية والقراءات واللهجات المختلفة[xlii].

يقول عنه تلميذه الصفدي في الوفيات: "عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف فهو إمام الدنيا فيهما، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في العربية وله اليد الطولى في التفسير والحديث"[xliii].

ومنهجه اللغوي كشف عنه في مقدمة تفسيره، قال: "وترتيبي في هذا الكتاب، أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها، لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب. وإذا كان للكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه، فيحمل عليه، ثم أشرع في تفسير الآية"[xliv].

وبهذا يتضح أهمية علم التفسير والمفسرين في حفظ اللغة العربية، فكل هذه التفاسير تمثل إثراءً لها بالدرجة الأساس، وتمثل حفظاً للتراث اللغوي الأصيل كما هو واضح من التشابك الحاصل بين علوم اللغة المختلفة من النحو والبلاغة والبيان في تفسير القرآن الكريم. فعندما يقوم المفسر بعزل الدخيل على اللغة والفصيح عن غيره مثلاً أو يقوم في تفسيره بتعزيز الأمثلة على الاستعارات والمجازات وما يتصل بالأدب العربي ويكرس الشواهد الشعرية ونحو ذلك هذا يعد أحد أهم موجبات وأسباب حفظ اللغة وتراثها وأصالتها.

ونختم هذا المحور الثاني بالغرناطي، ثم نتجه لأحد المفسرين البصريين الذي اشتهر عنهم العلم والأدب، وكان له دور بارز في حفظ التراث التفسيري وحفظ اللغة العربية تبعاً لذلك، وهو إمام التفسير أبو الخطاب قتادة البصري السدوسي.

المبحث الثالث: الإمام المفسر قتادة البصري وأثره في الحفاظ على اللغة العربي

من الذين كان لهم إسهام فاعل في التفسير وفي اللغة العربية الإمام التابعي قتادة البصري (117هـ)، نشأ في مدينة البصرة، ويعد من علمائها.

ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء، قال: "قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ"[xlv].

وقال أحمد بن حنبل: "كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئاً إلا حفظه؛ قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها"[xlvi]. وفي تعبير له آخر وصفه بأنه عالم أهل البصرة، قال: "الحافظ أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي عالم أهل البصرة"[xlvii].

ولم يقتصر علمه على التفسير، بل كان له باع في اللغة وأنساب العرب، كما نقل الداودي عنه ذلك قال: "ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث، كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب"[xlviii]. وكان كذلك عالماً بأشعار العرب، كما ينقل السيوطي عن عامر بن عبد الملك، قال: "كان الرجلان من بني مروان يختلفان في الشعر فيرسلان راكباً فينيخ ببابه، فيسأله عنه ثم يشخص"[xlix].

ولا شك في أن من الأسباب المهمة التي جعلته متقدماً وبارعاً في التفسير هو معرفته الواسعة بلغة العرب وبأشعارهم وإحاطته باللغة العربية عموماً، ولم يكن قتادة مقتصراً على اللغة المشتركة بين عموم العرب، بل كان له علم واسع أيضاً بلغات القبائل ولهجاتها المختلفة، فنراه مثلاً يستشهد بلغة اليمن وبلغة هجر ولغة قريش في موارد من تفسيره[l].

تفسير أبي الخطاب قتادة السدوسي

لم يكن لعالم مثل لقتادة مؤلفات كثيرة، في عصر لم يكن فيه تدوين الكتب والمصنفات متعارفاً، بل كان الشائع في ذلك العصر هو الاعتماد على الحفظ والذاكرة، كما أن فقدان بصره منع من تلك الكثرة، ولهذا لم يخلف آثاراً علمية مدونة أكثر من أربعة كتب رواها عنه تلامذته، هي: كتاب (المناسك) برواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وكتاب الناسخ والمنسوخ في كتاب الله، وكتاب (عواشر القرآن) وكتاب (التفسير) الذي لم تصل لنا نسخة منه بل هو مروي ومتناثر في كتب مؤلفة في التفسير مثل كتاب تفسير الطبري وغيره[li].

وقد أكثر عبد الرزاق الصنعاني (211هـ) من النقل عن قتادة، والمراجع لتفسيره يجد أنه لا تخلو ورقة منه من أثر عن قتادة، حتى كاد تفسيره يكون كله لقتادة، وتفسير عبد الرزاق من التفاسير المتقدمة التي اهتمت بتفسير التابعين، وقدمته على غيره لا سيما ما كان عن مدرسة أهل البصرة، فقد استغرق المروي عنهم ما يزيد على نصف الآثار الواردة في هذا التفسير[lii].

وتبعه ابن جرير الطبري (310 هـ) في الإكثار عن تفسير قتادة، في مصنفه (جامع البيان في تفسير القرآن) حتى تجاوز ما نقله عنه ثلاثة آلاف مورد، وكانت أغلب تلك الأقوال أو كلها يرويها عن بشر بن معاد عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة، وهذا يكشف عن أن تفسير قتادة كان تفسيراً كبير الحجم[liii].

وأشهر أسانيد تفسير قتادة في تفسير عبد الرزاق وتفسير الطبري، كما يلي:

في تفسير عبد الرزاق: روى أقوال قتادة عن معمر عن قتادة.

أما تفسير جامع البيان للطبري، فقد روى تفسير قتادة من عدة طرق، أهمها:

الأول: عن بشر بن معاذ عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

الثاني: عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة.

الثالث: عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن قتادة.

وكل رجال الطرق المذكورة لتفسير قتادة ثقات أو ممن تقبل رواياتهم، وأصح الطرق طريق سعيد بن أبي عروبة عند ابن جرير الطبري[liv].

وبهذا يتضح أن تفسير قتادة ثابت فعلاً وإن لم يكن كتاباً مستقلاً، نعم في الآونة الأخيرة جمعت أقواله وآراؤه في كتابين اشتمل الأول على سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف، لمؤلفه يوسف بن محمد الدكالي، والثاني من أول سورة يس إلى نهاية المصحف، جمعه في رسالة ماجستير للطالب محمد خالد عبد الهادي، من منشورات جامعة أم القرى.

أهمية تفسير التابعين

لا يخفى أن للتابعين أهمية مميزة ومكانة عالية ومرموقة في تفسير القران الكريم؛ بسبب ما تلقوه من معرفة مباشرة من الصحابة الذي كان على تماس مع حياة النبي ومع أقواله وتفسيره للقرآن وللوحي، ولهذا تشكل هذه التفاسير المرجع في تفسير القران بعد تفسير النبي واهل البيت والصحابة؛ ولا يمكن الاستغناء عن تفاسيرهم بوجه من الوجوه، مضافاً لما ورثوه من علوم قرآنية كأسباب النزول وغيرها. ولهذا يمكن القول أنهم أعلم بالتفسير من غيرهم، ومن هنا ذهب بعض العلماء إلى أن مخالفتهم نوعاً من الخطأ في التفسير والابتداع[lv].

قتادة وعلوم اللغة العربية

ذكرنا أن من الأسباب التي قدمت قتادة في التفسير على غيره هو ريادته في معرفة اللغة العربية واطلاعه الواسع على لغات العرب وأشعارهم، كما يؤكد ذلك الذهبي في ترجمته: "ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأساً في العربية وأيام العرب والنسب"[lvi].

وفي إنباه الرواة: "تابع بصريّ مقدّم في علم العربية والعرب، عالم بأنسابها وأيامها، لم يأت عن أحد من ذلك أصح مما أتى عنه في علم العرب... وقد كان الرّجلان من بنى أمية يختلفان في البيت من الشعر، فيبردان بريداً إلى قتادة بن دعامة، فيسألانه عن ذلك"[lvii].

فإن تضلعه في اللغة العربية، وعدم فساد سليقته كما ينقل سعيد بن المسيب قال فيه: ما أتاني عراقي أحسن من قتادة، ولعدم فساد سليقته العربية[lviii] كل ذلك جعل قتادة أعلم المفسرين التابعين.

وفي وفيات الأعيان: "قال معمر[lix]: سألت أبا عمرو بن العلاء[lx] عن قوله تعالى: (وما كنا له مقرنين)، فلم يجبني، فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مطيقين، فسكت، فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال: حسبك قتادة"[lxi].

وفي العلل لابن حنبل: "عن سعيد بن أبي عروبة: كان قتادة ربما حدثني بالحديث فينشد بعده بيت شعر أو بيتين"[lxii].

مظاهر التفسير اللغوي عند قتادة

من دون أدنى شك كان قتادة إماماً في اللغة العربية وبصيراً بعلومها وأسرارها وبلاغتها وفصاحتها، متبحراً بلغات العرب المتنوعة، ولهجاتهم المختلفة، واسع المعرفة إلى حد كبير جداً بمعاني الكلمات ودلالات الجمل، ومقاصد الكلام ومغزاه، وهذه الخبرة والفطنة والحنكة والدراية في المجال اللغوي هي إحدى الأسباب الرئيسة لنبوغه في علم التفسير، وعندما نرصد جانب التفسير اللغوي نجده يشكل ركناً أساسياً في تفسيره، ومن أهم مظاهر هذا التفسير اللغوي:

أولا: في بيان معاني الألفاظ والمفردات القرآنية، وما لهذه المعاني من أهمية بالغة في اللغة، فنجده فائق الخبرة في تشخيص مفهوم ومعنى المفردات القرآنية، وفائق الاهتمام في معرفة موقع الكلمة في اللغة، وله في ذلك أساليب مختلفة.

ثانيا: في الاهتمام بالتراكيب اللغوية في الجمل القرآنية، ورفع الغموض الذي يكون فيها، تارة بتوضيح موارد الوقف والابتداء فيها وأخرى في تحديد المتقدم والمتأخر فيها، وثالثة بتحديد مواقع القسم فيها وجوابه، ورابعة يقوم

بتوضيح المعنى المتمم للجملة من خلال تعيين الجزء المرتبط فيها، كما سيتضح لاحقاً في بعض النماذج التفسيرية له.

ثالثا: اهتمامه كثيراً بشرح الأمثال القرآنية لغوياً، وكذلك تشخيص التشبيهات فيها، وأيضاً من خلال خبرته بلغة العرب كان يتجه أحياناً لحمل اللفظ على معناه البعيد المشهور في اللغة.

وجدير بالذكر وقبل أن أختم البحث أنوه هنا إلى أن تشكيل شخصية قتادة العلمية واللغوية والخبرة الواسعة في هذا المجال، كان للحسن البصري دور فيها، فإن قتادة يعدّ من تلاميذ الحسن البصري، وأكثر الرواة الذين نقلوا تفسير الحسن البصري هو قتادة، حيث روى ما يعادل اثنتا عشرة بالمائة من تفسيره؛ وكان قتادة كثير المجالسة للحسن البصري؛ فعن معمر قال قتادة: جالست الحسن اثنتي عشرة سنة أصلي معه الصبح ثلاث سنين ومثلي أخذ عن مثله[lxiii].

فقد عرف الحسن البصري بنشأته البدوية حيث الفصاحة واللسان العربي المبين البعيد عن تأثير المدينة وما يخالطها من عجمة ولحن، ثم تربيته في بيت من بيوت أمهات المؤمنين السيد أم سلمة، ثم تتلمذه المبكر على يد نخبة من أكابر الصحابة الكرام، وكل ذلك جعله متفوقاً ومتميزاً على أقرانه في التفسير وغيره. فالحسن البصري يعني السبك القوي في نظم الكلام والقدرة الفائقة في اختيار أعذب الألفاظ وأكثرها اختصاراً وأبلغها وقعاً في النفوس وأشدها تأثيراً في الأحاسيس، وكما يقول ابن الجوزي، لله دره إنه لفصيح إذا لفظ نصيح إذا وعظ، وروي أن الإمام الباقر (ع) إذا ذكر عنده الحسن البصري قال: "ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء"[lxiv]. وكان من نتاج تلك الفصاحة والتقدم في معرفة لسان العرب ولغاتها أن اتخذه كثير من الأئمة حجة في اللغة واستشهدوا بجمل من كلماته في ذلك[lxv].

وهكذا يشكل الأستاذ مع تلميذه رافداً مهماً من العطاء الفكري والمعرفي والكنز اللغوي يصب في مصلحة اللغة العربية وتراثها وأصالتها.

نماذج تفسيرية لغوية من تفسير قتادة

قوله تعالى: (لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ)[lxvi] قال قتادة: "قد فرطوا في النار أي معجلون"[lxvii].

قوله تعالى: (وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا)[lxviii] قال قتادة: " أي دائم، ألا ترى أنه يقول: ولهم عذاب واصب، أي دائم"[lxix].

قوله تعالى: (وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ)[lxx] قال قتادة: " قال ترعون"[lxxi]. وقوله تعالى: (انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون)[lxxii] قال قتادة: عن آياتنا أي يعرضون عنها"[lxxiii]. وفي جامع البيان للطبري: عن قتادة: وأنتم داخرون، أي صاغرون[lxxiv]. عن قتادة: "(وعزني في الخطاب) أي ظلمني وقهرني"[lxxv]. قوله تعالى: (ولا تشطط) عن قتادة "ولا تشطط: أي لا تمل"[lxxvi]، وهنا نجده في هذه الأمثلة يعطي المعنى المرادف للكلمة القرآنية، وأحياناً يشرح اللفظ بنحو واضح، مثلاً: قوله: (إنا خلقناهم من طين لازب) عن قتادة، "قال الله: إنا خلقناهم من طين لازب واللازب: الذي يلزق باليد"[lxxvii]. وعن قتادة قوله: "وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه: أي اجحدوا به وأنكروه وعادوه، قال: هذا قول مشركي العرب"[lxxviii]. وأحياناً يكرس قاعدة كلية، مثل: عن قتادة: "إني ظننت أني ملاق حسابيه، قال: ما كان من ظن الآخرة فهو علم"[lxxix].

هذا في جانب تفسير المفردات اللفظية وإتقانه المعاني الصحيحة لها في اللغة العربية، وفي جانب آخر نجده يشرح معاني الآيات ويكشف أهدافها ومقاصدها ويزيل الغموض عنها:

على سبيل المثال: في قوله تعالى: (فأولى لهم طاعة وقول معروف) نجده يحدد أن التعبير: (فأولى لهم) هذا وعيد، وأن الوقف يكون على هذا التعبير، وما بعده كلام مستأنف.

وفي تفسير قوله تعالى: (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) يقول ويوضح: أن الوقف إنما يكون على قوله تعالى: (عليهم)، وهكذا يتضح المعنى: يتيهون أربعين سنة.

وفي تفسير قوله تعالى: (إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد) يشخص مقدم الكلام ومؤخره، فيقول: إن الله لشهيد أن الإنسان لحب الخير لشديد. وفي تفسير قوله تعالى: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) يقول هذه من تقاديم الكلام: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة.

وفي بعض الموارد يحدد موقع القسم مثلاً عند قوله تعالى: (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) يقول: ها هنا وقع القسم، ويقول في سورة البروج" وقع القسم ها هنا في قوله: (إن بطش ربك لشديد). ويقول وقع القسم ها هنا في قوله: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم). وفي قوله تعالى: (إن عذاب ربك لواقع) ها هنا وقع القسم. وفي بعض الأحيان يحدد أيضاً جواب القسم.

وفي موارد أخرى يبين المراد بلفظ موجز مرتبط بالآية كأنه متمم لها، مثلا: في تفسير قوله تعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) يقول: (شاهداً) على أمتك بالبلاغ، (ومبشراً) بالجنة، (ونذيراً) بالنار. أو في قوله تعالى: (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلا) يقول: (ملعونين) على كل حال (أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً) إذا هم أظهروا النفاق. وفي تفسير قوله تعالى: (وقالوا آمنا به) عند ذلك يعني حين عاينوا عذاب الله.

وكذلك نجده يهتم بشرح الأمثال والتشبيهات القرآنية، مثلاً: عند قوله تعالى: (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) يقول: هي لا إله إلا الله أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا ونكحوا النساء وحقنوا بها ماءهم حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون. وفي تفسير قوله تعالى: (ضرب الله مثلا عبدا مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سراً وجهاراً) يقول: هذا مثل ضربه الله للكافر، رزقه مالاً فلم يقدم فيه خيراً، ولم يعمل فيه بطاعة الله، قال تعالى ذكره: (ومن رزقناه منا رزقا حسنا) فهذا المؤمن أعطاه الله مالاً فعمل فيه بطاعة الله وأخذ بالشكر ومعرفة حق الله فأثابه الله[lxxx].

وخلاصة القول إن تفسير قتادة في الجانب اللغوي يتميز بأنه يفسر الكلمات والآيات القرآنية تفسيراً لغويا دقيقاً بأسلوب واضح سلس بحيث يزول عنها اللبس والغموض ويتجلى المعنى ويظهر المراد والمقصود. وهو بهذا يشكل عنصراً مهماً في عالم اللغة العربية في جانب إثرائها والمحافظة على تراثها وأصالتها ونقائها.

ما انفرد به أبو عمرو بن العلاء في قراءات كتاب السبعة لابن مجاهد وأثره في تفسير النص القرآني

د. مخلد جبار سلطان

كلية التربية للعلوم الإنسانيّة – جامعة البصرة

الكلمات المفتاحيّة: أبو عمرو بن العلاء القراءات القرآنية انفرادات

Which was unique to Abu Amr bin Al-Ala in the readings of the Book of Seven by Ibn Mujahid and its impact on the interpretation of the Qur'anic text

Dr. Makhlid Jabbar Sultan

College of Education for Human Sciences - University of Basra

Keywords: Abu Amr bin Al-Ala', Quranic readings, singularities

ملخص البحث

تفرّد أبو عمرو بن العلاء في قراءته لكثير من الآيات القرآنية، وقد عرض البحث لنماذج من هذه القراءات وتحليلها لغويّاً كاشفاً عن أثرها في توجيه فهم النص القرآني، وقد اقترحنا ثلاثة محاور جعلناها جامعة لهذه النماذج من الانفرادات، وقد أعرضنا عن ذكر الانفرادات التي لا مدخلية لها في اختلاف الفهم والتفسير كبعض المسائل الصوتية التي تتعلق في اختلاف طرق أداة التلاوة القرآنية، وبعض المسائل النحوية التي لا تستتبع اختلافاً في الفهم والتفسير.

Research Summary

Abu Amr bin Al-Ala was unique in his reading of many Qur'anic verses, and the research presented models of these readings and analyzed them linguistically, revealing their impact in directing the understanding of the Qur'anic text. In the difference of understanding and interpretation, such as some phonetic issues that relate to the different methods of the Quranic recitation tool, and some grammatical issues that do not entail a difference in understanding and interpretation

توطئة

تعدّ القراءاتُ القرآنيّةُ رافداً مهمّاً من روافد التقعيد النحويّ، ولا يخفى على المتتبّع أثرُها في توجيه فهم النصّ القرآنيّ؛ لما لاختلافها من مدخليةٍ في اختلاف فهم النصّ القرآنيّ، وقد سال كثيرٌ من المداد في بيان حجيّة القراءات، وأثيرت الكثيرُ من المسائل التي تتعلّق في حجيّتها من الناحيّة الشرعيّة، إلّا أنّ كلمةَ العلماء تكاد تجتمعُ على حجيّتها اللغويّة ولا سيما بعد وضع العلماء شروطاً لقبولِ القراءة أو رفضِها.

واختلف العلماءُ أيضاً في تواترِ هذه القراءات عن الرّسول الأعظم أو عدمِهِ، ولهذا نجدهم قسّموا القراءاتِ القرآنيّةَ إلى سبع أو عشر، وعُد ما زاد على العشرة من القراءات غير المتواترة، ومن هذه القراءات قراءة أبي عمرو بن العلاء البصريّ، فهي إحدى القراءات التي تُلقيت بالقبول عند العلماء.

وقد ابتنى هذا البحثُ على ما تفرّد به أبو عمرو من بين القرّاء الذين ذكرهم ابنُ مجاهد في كتابه (السبعة في القراءات)، ليس لأن المذكورين في كتاب السبعة هم أصحابُ القراءات المتواترة وما سواهم ليس كذلك، بل لأن هذه القراءات هي الأشهر من حيث عدد القارئين بها في العالم الإسلاميّ، يرى ابنُ الجزري أنّ للقراءة شروطاً إذا توفرت في قراءة معيّنة فلا بدّ أن تُقبلَ ولا يجوز ردّها، وإذا لم تتوفر فهي ضعيفة شاذة أو باطلة بلا فرق في الحالتين بين أن تكون القراءة سبعيّة أو عشريّة أو غير ذلك[1] « والحقّ أنّ ابن مجاهد حين اختار السبعة لم يسقط روايةَ من سواهم ولم يبطلها.... وإنّما قصد أنّ ما وراء هؤلاء السبعة يأتي وراء السبعة في عدد من يقرؤون بها في الأمصار»[2] وعند رجوعنا إلى هذا الكتاب واستقراء هذه الانفرادات وجدناها أكثر من أن تستقصى في بحث مختصر مثل هذا البحث؛ ولهذا وقع الاختيار على بعض هذه الانفرادات لتكون عيّنة البحث، وقد أعرضنا عن ذكر ما يطوّل هذا البحثَ من ذكر شيء عن أبي عمرو وقراءته لأنّها من المسائل التي أشبعها الدارسون والعلماء من قبل بحثا ودراسة، وجعلنا البحث مبنيّاً على ثلاثة محاور أدرجنا في كل محور بعض هذه الانفرادات، ومن الله نسأل التوفيق والاسداد.

التشديد والتخفيف

---

[1] ينظر: النشر في القراءات العشر :9

[2] علم القراءات:108-109

وجدنا لأبي عمرو بن العلاء البصري بعض الانفرادات في قراءته في مسألة تشديد بعض الكلمات وتخفيفها، ولمّا كانت صيغةُ الكلمة في تشديد حرف من حروفها تختلفُ عن صيغتها في التخفيف فلا بد من وجود اختلاف في دلالتها وذلك لأنّه « لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة، إذ لكلّ عدول عن صيغة إلى أخرى لا بدّ أن يصحبه عدولٌ عن معنى لآخر، إلّا إذا كان ذلك لغة »[1] والقراءة التي تفردّ بها هنا أنّه خفّف الفعل (تفتّح) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[2] فقد ذكر ابن مجاهد ذلك قائلاً: « قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: (لا تُفَتَّح) بالتاء مشدّدة، وقرأ أبو عمرو (لا تُفْتَح) بالتاء خفيفة ساكنة الفاء، وقرأ حمزة والكسائيّ: (لا يُفْتَح) بالياء خفيفة »[3] وقد رجّح بعض المفسّرين التضعيف على التخفيف في هذا الموضع، باعتبار الكثرة التي يدلّ عليها التضعيف، يقول عمر بن علي الدمشقي: « والتضعيف هنا أوضح لكثرة المتعلّق »[4] ويبدو لنا أنّ تعميم القول بدلالة التضعيف على الكثرة أمرٌ مجانب للصّواب، لأنّ دلالة (فعّل) على التكثير ليست قاعدة مطّردة، ولهذا نجد ابن الحاجب يصرّح أنّ هذا التكثير هو الغالب في الاستعمال إلّا أن مجيء (فعّل) بمعنى (فَعَلَ) واردٌ في اللغة إذ يقول « وفعّل للتكثير غالباً ..... [وتأتي فعّل] بمعنى (فَعَلَ) نحو زلته وزيّلته »[5] ويبدو لنا في هذه الآية وجهاً ممكناً لاستعمال الفعل بالتخفيف يتناسب مع دلالة النص، فالآية في سياق النفي، ونفي القلّة – مع فرض دلالة التخفيف على القلّة– أبلغ من نفي الكثرة، لأن نفي الكثير ليست فيه دلالةُ الالتزام على نفي القليل، على عكس نفي القليل، فكلما نفينا القليل يكون نفي الكثير داخلاً تحته من باب الأولويّة ولا عكس، وعلى هذا البيان قد تكون قراءة أبي عمرو البصرة لهذه الآية هي القراءة الأنسب، ولله العلم والحكم.

---

[1] معاني الأبنية في العربية: 7

[2] الأعراف: 40

[3] السبعة في القراءات: 280

[4] اللباب في علوم الكتاب: 9/ 111

[5] شرح شافية ابن الحاجب: 67/1

وممّا تفرّد بقراءته أبو عمرو البصري من بين القرّاء تخفيفه اللام في الفعل (أبلّغ) من قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ذكر ابن مجاهد هذا الافراد بقوله: « فقرأ أبو عمرو وحده (أُبْلِغُكُم) ساكنة الباء في كلّ القرآن، وفتح الباقون الباء وشدّدوا اللام في كلّ القرآن» [2] وقد اختلف المفسّرون في توجيه هذا التخفيف واختلاف دلالته عن التضعيف فزعم ابن عاشور أنّ المعنى فيهما واحد لا اختلاف فيه، لعدم الاختلاف بين التبليغ والإبلاغ، فقال: « وقرأه أبو عمرو ويعقوب بسكون [الباء] الموحّدة وتخفيف اللام من الإبلاغ، والمعنى واحد »[3] في حين نجد بعض المفسّرين فرق بين هذين الاستعمالين ناصّاً على أن التشديد يحمل معنى تكرار التبليغ وهو المناسب لجمع (الرسالة) في الآية المباركة، يقول العلامة محمد رشيد رضا: « والباقون بالتشديد المفيد من التبليغ للتدريج والتكرار المناسب لجمع الرسالة باعتبار متعلقها وموضوعها وهو التعدّد، منه العقائد ..... ومنه الآداب والحكم والمواعظ والأحكام العمليّة من عبادات ومعاملات»[4] والذي نراه أن التضعيف في خصوص هذه الآية أبلغ في إيصال المراد، فالكلام عن النبي نوح (عليه السلام) الذ لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلّا خمسين عاماً ولأنّه من أصحاب الشرائع العامّة الموجّهة للبشرية عامّة، فناسب التضعيفُ هذا التعميمَ والتكثيرَ، ونجد لهذا الترجيع مبرّراً من القرآن الكريم نفسه، إذ تكلم على لسان نوح عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[5] فإظهار هذا التكرير في الدعوة إلى الله ليلاً ونهاراً في طول المدة التي ذكرها القرآن وإصرار قومه على الإعراض إضافة إلى جمع (الرسالة) في الآية المباركة كلّ ذلك يرجّح لنا قراءة التضعيف في هذه الآية على وفق القاعدة التي يردّدها الدارسون من أنّ الزيادة في المبنى يستتبع _ غالباً_ زيادة في المعنى، وتأسيساً على هذا نرى أنّ قراءة جمهور القرّاء في هذه الآية أولى من قراءة أبي عمرو البصري، والله العالم.

---

[1] الأعراف: 62

[2] السبعة في القراءات: 284

[3] التحرير والتنوير: 8(القسم الثاني)/ 194

[4] تفسير المنار: 8/ 438 (ش)

[5] نوح : 5

ومن انفرادات أبي عمرو البصري ما قرأه في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[1] إذ قُرِئَ الفعل (يُضاعَف) بثلاث قراءات عند القرّاء السبعة، فقد قرأ ابن كثير وابن عامر (نضعِّف لها العذابَ) بالبناء للمعلوم، وقرأها نافع والكوفيّون (يُضاعَف لها العذابُ) بالبناء للمجهول وزيادة الألف في الفعل، أمّا أبو عمرو فقد تفرّد بقراءة الفعل بالتضعيف مع البناء للمجهول (يُضَعَّف لها العذابُ)[2] ولا يخفى على القارئ اختلاف دلالة الآية باختلاف القراءة ولا سيما بين قراءتي البناء للمعلوم والبناء للمجهول، فإضمار الفاعل على قراءة ابن كثير وابن عامر له دلالة تختلف عن القراءة بحذف الفاعل، وقد ذكر العلماء أغراضاً متعدّدة لحذف الفاعل من النصّ، وعليه فلا يمكن بحال من الأحوال قبول رأي الطاهر بن عاشور الذي لم يجد فرقاً واختلافاً في دلالة هذه القراءات، إذ يقول بعد عرض هذه القراءات: « ومفاد هذه القراءات متّحدٌ في المعنى على التحقيق »[3] والذي يبدو لنا من هذه القراءات وجود الاختلاف في دلالة قراءة أبي عمرو البصري مع قراءة الكوفيّين زيادة على قراءة ابن كثير وابن عامر، ويكمن الاختلاف في بيان معنى الصيغتين: (فعّل) و (فاعَل)، وقد وجّه ابن خالويه قراءة البصري بقوله: « فالحجّة لمن قرأه بالياء والتشديد أنّه جعله فعل ما لم يُسمَّ فاعله، وحذف الألف لقوله (ضعفين) ودليلهم قول العرب: ضعّفت لك الدرهم مثليه »[4] فهو يجعل دلالة تكرير العذاب من قوله (ضعفين) وليست من دلالة صيغة الفعل، والذي نراه في هذا الموضع أنّ كلا الصيغتين تدلّان على التكرير، وإنّ دلالة (فعّل) عليه أقرب من دلالة (فاعَل) فهو الكثير في استعمالها، أمّا دلالة (فاعَل) فالغالب فيها أنها للمشاركة، إلّا أنّها في هذا الموضع تحمل دلالة إضافيّة على دلالة التكرير وهي دلالة الموالاة، فالتكرير مرّة يكون بإغفال الموالاة وأخرى يكون معها، وبعبارة أخرى أنّ تكرير الفعل تارة يكون باستمراره مرة بعد أخرى بتعاقب وموالاة، وتارة أخرى يكون بانفصال فيكون بين الفعلين المكرّرين مدّة وفترة، إلّا

---

[1] الأحزاب: 30

[2] يُنظر: السبعة في القراءات: 521

[3] التحرير والتنوير: 21/ 318-319

[4] الحجة في القراءات السبع: 289-290

أنّ صيغة (فاعَل) تحمل الدلالتين معاً، فالآية الكريمة تبيّن أن مضاعفة العذاب في هذه الآية يكون بشكل متوالٍ، وقد ذكر بعض الدارسين هذه الدلالة فذكر أن من بين معاني هذه الصيغة (فاعَل) « معنى تكرار الفعل وموالاة بعضه لبعض، فقولك: طالبته بدَيْني معناه طلبته مرّة بعد مرّة، وكذلك طاردت الصيد وراقبت النجم وضايقت الرجل، وهلمّ جرّاً »[1]، وعليه فإنّ قراءة أبي عمرو البصري فيها دلالة على تكثير العذاب ومضاعفته فحسب، أمّا قراءة المصحف وهي قراءة الكوفيّين ونافع ففيها دلالة الموالاة زيادة على ما في قراءة أبي عمرو من دلالة التكثير والمضاعفة، والله العالم.

وقد انفرد أبو عمرو بتشديد الراء في الفعل (يُخربون) من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[2] قال ابن مجاهد: « قرأ أبو عمرو وحده: (يُخرِّبون بيوتهم) بالتشديد، وقرأ الباقون: (يُخرِبون) خفيفة »[3] فجعل أبو عمرو الفعل من (خرّب) المضعّف في حين جعله الباقون من الفعل (أخرب) مزيد الهمزة، ولم يرَ الفارسيُّ فرقاً بين الفعلين، بل لم يرَ فرقاً بينهما وبين الفعل المجرد (خرب) فقال: « خرب الموضع وأخربته وخرّبته مثل فرح وفرّحته وأفرحته»[4] أي بمعنى واحد، في حين نجد الفرّاء يفرّق بينهما قائلاً: « كأنّ (يخرّبون) يهدّمون، ويخرِبون بالتخفيف يخرجون منها ويتركونها.... والذين قالوا: (يخرّبون) ذهبوا إلى التهديم الذي كان المسلمون يفعلونه، وكلٌّ صواب »[5] الإشارة إلى تخصيص فعل المسلمين حصرٌ لا وجه له؛ إذ كان الكافرون يفعلونه أيضاً حسداً أن يستفيد المسلمون من سكن هذه الديار، وقد ذكر الفخر الرازي تعليلاً لأبي عمرو نفسه في توجيه قراءته قائلاً: « كان أبو

---

[1] أوزان الفعل ومعانيها: 87

[2] الحشر: 2

[3] السبعة في القراءات: 632

[4] الحجة في علل القراءات السبعة: 432/4

[5] معاني القرآن للفرّاء: 143/3

عمرو يقول: الإخراب أن يترك الشيء خراباً، والتخريب الهدم، وبنو النضير خرّبوا وما أخربوا »[1] ويبدو أن تعليل أبي عمرو لا وجه له في اللغة، فكلاهما مستعمل في معنى واحد، وعليه فقد لا تكون الدلالتان مختلفتين كثيراً إلّا أن يقال إنّ التخريب في مبالغة في الفعل أكثر من الإخراب وهو ما يناسب الفعل الواقع على البيوت، إلّا أنّ هذا القول يحتاج ما يعضده ويدلّل عليه.

ومثله قراءته للفعل (تمسكوا) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2] إذ تفرد في قراءة الفعل بالتشديد[3] والقول فيه ما في سابقه فلا حاجة للإعادة.

اختلاف الحركة الإعرابية

وردت في قراءة أبي عمرو البصري بعض الكلمات تختلف حركتها الإعرابية عن الحركة التي قرأ بها باقي السبعة، ومن المعلوم إنّ هذا الاختلاف يستتبعه – في الغالب– اختلاف في توجيه حكم الكلمة الإعرابي، فمن هذه الافرادات قراءته (العفو) بالرفع في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[4] نصّ على ذلك ابن مجاهد قائلاً: « واختلفوا في فتح الواو وضمها من قوله (قل العفو) فقرأ أبو عمرو وحده: (قل العفوُ) رفعاً، وقرأ الباقون نصباً »[5] وعند تتبّعنا لكلمات المفسّرين في توجيه هذا الاختلاف لم نجدهم يذكرون ما يتبع هذا الاختلاف من تغاير دلالي، بل اجتهدوا في ذكر الوجه النحوي لهذا الاختلاف، ويمكن أن نجمل قولهم في هذا بما ذكره العكبري إذ قال: « يُقرأ بالرفع على أنّه خبر والمبتدأ محذوف، تقديره: قل المنفق العفو وهذا إذا جعلت (ماذا) مبتدأ وخبراً، ويُقرأ بالنصب بفعل محذوف تقديره: ينفقون العفو، وهذا إذا جعلت ما

---

[1] مفاتيح الغيب: 29/ 244

[2] الممتحنة: 10

[3] يُنظر: السبعة في القراءات: 634

[4] البقرة: 219

[5] السبعة في القراءات: 182

وذا اسماً واحداً؛ لأنّ العفو جواب، وإعراب الجواب كإعراب السؤال»[1] فاختلاف النحويين في تحديد بساطة (ماذا) أو تركيبها هو السبب في اختلاف حركة (العفو).

ويمكننا أن نتلمّس اختلافاً دلالياً يكمن في أنّ قراءة المشهور مبنية على الفعل المحذوف وهو ما يعطي دلالة الاستمرار ولا سيما إذا قدّرناه بالمضارع (ينفقون العفو)، بخلاف ما لو جعلنا (العفو) خبر لمبتدأ محذوف، فقراءة المشهور فيها من الدلالة على استمرار انفاق العفو ما لا يوجد في قراءة أبي عمرو، ومع هذا فلا يبعد أن تكون القراءتان متحدتين في المعنى وحينئذ تصلح هذه القراءة لتكون شاهداً على عدم الملازمة الضرورية بين اختلاف الحركة الإعرابية واختلاف المعنى، فليس كلّ اختلاف يستتبعه –بالضرورة– اختلاف في الدلالة والمعنى، وإن كان الغالب في المسألة هو القول بهذه الملازمة، والله العالم.

وممّا انفرد به أبو عمرو رفع (كلّ) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾[2] فقرأ الستة من القرّاء بنصب (كلَّه) أمّا أبو عمرو فقرأها وحده بالرفع[3]، وتوجيه قراءة أبي عمرو على أنّ (كلّ) مبتدأ خبره ما بعده والجملة كلّها خبر للأمر، أمّا قراءة الجمهور فإنّ (كلَّه) تأكيداً للأمر وخبره متعلق شبه الجملة (لله)[4]، وكيف كان الأمر فإن القراءتين لا تختلفان في الدلالة على المعنى، إلّا إن حاولنا تلمّس فروقاً بين الاخبار بالجملة والاخبار بالمفرد، وهي مسألة ليست لها مدخلية –فيما نرى– في هذا الموضع، وتأسيساً على هذا فإنّ اختلاف أبي عمرو في هذه القراءة ليس له أثر في توجيه دلالة الآية. والله العالم.

---

[1] التبيان في إعراب القرآن: 134 ، وينظر: الحجة في القراءات السبع: 96

[2] آل عمران: 145

[3] يُنظر: السبعة في القراءات: 217

[4] يُنظر: الحجة في القراءات السبعة: 115

ومن انفرادات أبي عمرو قراءته لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾[1] « فقرأ أبو عمرو وحده: ﴿ويقولَ الذيا آمنوا﴾ »[2] (بنصب الفعل يقول) وقد اجتهد العلماء في توجيه هذه القراءة بين ما هو مرفوض لا يستقيم معه المعنى وما هو جائز من حيث الدلالة، يقول أبو منصور الأزهري: « ومن نصب (ويقول) عطف على قوله (فعسى الله أن يأتي بالفتح... وأن يقول»[3] وعلى هذا التوجيه يكون معنى الآية: عسى الله أن يأتي بالفتح وعسى الله أن يقول، ومن الواضح أنّ المعنى لا يستقيم؛ إذ لا معنى لقولنا: عسى الله أن يقول الذين آمنوا ....، وقد تنبّه العلماء لهذا الفساد مبيّنين رفضه كما فعل الفارسيُّ إذ قال: « فإن قلت: كيف قرأ أبو عمرو (ويقولَ الذين أمنوا) ولا يجوز عسى الله أن يقولَ الذين آمنوا؟! فالقول في ذلك أنّه يحتمل أمرين»[4] ورفضه أيضاً النحّاس في إعرابه وبيّن وجه فساده[5] وبعد أن ذكر الفارسي فساد هذا التوجيه راح يبيّن ما يراه صواباً لهذه القراءة، فقال: « إذا قال الله ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ﴾ فكأنّه قد قال: عسى أن يأتي الله بالفتح، ويقولَ الذين آمنوا»[6] فيكون في الآية تقديم وتأخير، وقد عطف الفعل (يقول) على الفعل (يأتي) ولكن قبل ذكر لفظ الجلالة، وعلى هذا التوجيه يكون قول الذين آمنوا مرجوّاً كرجاء إتيان الله بالفتح، وببيان آخر تكون (عسى) وما تحمله من دلالة الرجاء واقعة على فعلين اثنين: الأول إتيان الله بالفتح، والثاني قول الذين آمنوا، أمّا الوجه الثاني الذي ذكره أبو علي الفارسيّ فلا تختلف دلالته عن هذا القول، غاية ما في الأمر أنّ الوجه الثاني له تخريج نحوي يختلف عن الوجه الأول، ولكنّ دلالتيهما متفقتان.

---

[1] المائدة: 53

[2] السبعة في القراءات: 245

[3] معاني القراءات: 1/ 333

[4] الحجة في علل القراءات السبع: 417/2

[5] يُنظر: إعراب القرآن للنحّاس: 236

[6] الحجة في علل القراءات السبع: 417/2

وذكر ابن الأنباري وجهين آخرين لهذه القراءة أحدهما: « أن يكون [الفعل (يقول)] معطوفاً على الفتح في تقدير أن يفتح»[1] وحينئذ تكون دلالة الآية ومعناها: عسى الله أن يأتي بالفتح وبقول الذين آمنوا، ولا نرى وجهاً لأن يأتي الله بقول الذين آمنوا، فالله يأتي بالفتح ولا يأتي بقول الذين آمنوا.

والوجه الآخر الذي يذكره ابن الأنباري « أن يكون [الفعل (يقول)] معطوفاً على (فيصبحوا)، وفي هذا الوجه بعدٌ، وهو مع بعده جائز»[2] ونحن نميل مع ابن الأنباري في استبعاد هذا الوجه؛ لأنّ الفعل يقول ليس مسبّباً عن قوله تعالى: (عسى الله أن يأتي بالفتح) بخلاف القول ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ فهو مسبّب عن ذلك، لأنّ الله إذا جاء بالفتح ندم الذين في قلوبهم مرضٌ، ولا وجه لكون قول الذين آمنوا مسبّباً عن الاتيان بهذا الفتح؛ لأنّ المعلول عدم عند انعدام علّته، وهذا ما لا يستقيم مع الآية المباركة، أمّا قول ابن الأنباري: (وهو مع بعده جائز) فهو ناظر إلى الجواز النحوي لا إلى ما يفضي إليه من دلالة.

ومن عرض هذه التوجيهات نخلص إلى ترجيح توجيه الفارسيّ من أن الفعل معطوف على (يأتي) قبل ذكر لفظ الجلالة، فيكون المعنى عسى أن يأتي الله بالفتح وعسى أن يقول الذين آمنوا .... والله العالم.

وقد انفرد أبو عمرو بنصب كلمة البحر في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3] « فقرأ أبو عمرو وحده: (والبحرَ) نصباً، وقرأ الباقون: (والبحرُ يمدّه) رفعاً»[4] وفيما يخصّ توجيه هذه القراءة فإنّ نصب البحر إنما هو عطفٌ على اسم (إنّ) أو على إضمار فعل يفسّره الفعل (يمدّه) اللاحق[5] أمّا الرفع فقد وجّهه الزجاج وحسّنه قائلاً: « والرفع حسنٌ على وجهين: على معنى والبحر هذه حاله، ويجوز أن يكون على موضع (إنّ) مع ما بعدها»[6] أي أن تكون جملة

---

[1] البيان في غريب إعراب القرآن: 258/1

[2] المصدر السابق: 1/ 259

[3] لقمان: 27

[4] السبعة في القراءات: 513

[5] يُنظر: التبيان في إعراب القرآن: 2/ 652

[6] معاني القرآن وإعرابه: 4/ 152

(والبحر يمدّه...) جملة حاليّة من مبتدأ وخبر أو تكون الجملة معطوفة على محل جملة (إنّ ومعمولها)؛ لأنّها في موضع ابتداء، وقول الزجّاج:(الرفع حسن) في تلميح إلى ترجيحه على ما قرأه أبو عمرو، « وحكى يونس عن أبي عمرو بن العلاء قال: ما أعرف للرفع وجهاً إلّا أن يجعل البحر أقلاماً»[1] وفي هذا النص –إن صحّت نسبته إلي البصري– تعريض بقراءة الرفع التي قرأها المشهور، وليس صواباً فإن توجيه الرفع لا يلزم منه جعل البحر أقلاماً ولا سيما إذا ما وجهنا الجملة على الحاليّة، ويبدو لنا أنّ هذا التفسير هو الأرجح وعليه تترجّح قراءة المشهور (بالرفع)؛ للمناسبة بين جعل الشجر أقلاماً في حال كون البحر الممدود بالأبحر السبعة مداداً، فيكون معنى الآية لو صُيِّر ما في الأرض من الشجر أقلاماً مع كون البحر وما يمدّه مداداً لما نفدت كلمات الله قبل نفاد الأقلام والمداد، وهو تعبيرٌ يشعُّ بالدلالة على سعة كلمات الله تعالى، وليس المجال هنا لبيان الوجوه التي تحتملها دلالة هذه الكلمات، والقراءة بالنصب لا يمكن لها أن تعطي هذه الدلالة الواسعة في بيان مقصودها ولله العلم كلُّه.

تصريف الأفعال

كثرت انفرادات أبي عمرو في في هذه المسألة فكثيراً ما نجده يخالف سائر القرّاء في تصريف الأفعال حتى لتكاد تشكّل هذهِ المسألةُ ظاهرةً بارزةً في قراءته، وهذا ما سنبيّنه في هذا المقام، فمّما انفرد فيه قراءته الفعل (نَنفخُ) بالنون مسنداً إلى المعلوم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[2] « فقرأ أبو عمرو وحده: (يومَ نَنفخُ) بالنون، وقرأ الباقون: (يُنفخ) بالياء على ما لم يُسمَّ فاعله»[3] ولا شكّ في إنّ إسناد الفعل لفاعله اختلافاً دلالياً عن إسناده للمفعول على الرغم من عدم التصريح بالفاعل حتى في قراءة أبي عمرو؛ لأن الفاعل ضمير تُحتملُ مرجعيته للفاعل، وقد بسط النحويّون قولهم في أسباب بناء الفعل لمفعوله بما لا يدع لنا مجالاً لذكر هذه الأسباب في هذا المختصر، أمّا المفسّرون فقد ذكروا وجوهاً لتوجيه قراءة أبي عمر منها ما ذكره

---

[1] إعراب القرآن للنحّاس: 754

[2] طه: 102

[3] السبعة في القراءات: 424

السمين الحلبي إذ قال: « أُسند الفعل إلى الآمر به؛ تعظيماً للمأمور، وهو الملك إسرافيل»[1] وينبغي لنا هنا أن نوضّح قوله هذا فإن الآمر الحقيقي للنفخ بالصور هو الله تعالى، والمأمور الحقيقي –وهو النافخ– الملك إسرافيل عليه السلام فأسند الله فعل إسرافيل إلى نفسه تكريماً له أو لأنّه هو الآمر الحقيقي بالنفخ، وهذا الأسلوب جارٍ في البيان العربي إذ يسند الآمر لفعل ما الفعل لنفسه حتى لو لم يباشره بذاته، وقد بيّن الزمخشري هذا التوجيه بقوله: « لأنّ الملائكة المقرّبين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها بالقرب من رب العِزّة فصحّ لكرامتهم عليه وقربهم منه ن يسند ما يتولونه إلى ذاته تعالى»[2] ويبدو لنا أنّ إسناد الفعل إلى فاعله وقراءته بالنون يناسب الفعل المعطوف عليه (نحشر) إذ أجمع القرّاء السبعة على هذه القراءة ولم يقرأ أحدٌ منهم الفعل بالبناء للمفعول (يُحشر)، وعلى هذا فقد تكون قراءة أبي عمرو أكثر تناسباً من في هذه الآية من هذه الجهة، إلّا أنّ المتتبع لاستعمال التعبير القرآني لا يجد فعل النفخ في الصور مسنداً إلى الفاعل في كلّ القرآن بل كل ما في القرآن إنّما هو (يُنفخُ) (نُفخ) ولم يُسند إلى الفاعل ابداً[3]، ويمكننا أيضاً أن نفرّق بين فعلي النفخ والحشر، فإذا كانت الأخبار تسند فعل النفخ لأحد الملائكة لا نجدها تسند الحشر لملك ما، ولهذا جاء الفعل (يُنفخ) مسنداً إلى المفعول بخلاف الفعل (نحشر)، وحينئذ تكون قراءة الجمهور هي الأنسب من هذه الجهات، وهو ما نراه الراجح في القول، والله العالم.

وعلى عكس هذه المسألة جاءت قراءة أبي عمرو لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[4] إذ انفرد بقراءة الفعل (نجزي) بالبناء للمفعول (يُجزى كلُّ كفورٍ)[5] ويبدو لنا أن قراءته جاءت بهذه الصيغة تناسباً مع الأفعال الواردة في الآية نفسها (يُقضى، يُخفّف)، أمّا القراءة بنون العظمة وبناء الفعل للمعلوم فدلالته لبيان أنّ هذه الأفعال إنّما هي جزاء من الله لهم، وما

---

[1] الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: 8/ 103

[2] الكشّاف: 3/ 87

[3] يُنظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 876

[4] فاطر: 36

[5] السبعة في القراءات : 535

يدفع التناسب الذي لأجله قرأ أبو عمرو بالبناء للمفعول أنّ الفعل (نجزي) ليس معطوفاً على الفعلين المتقدّمين فلا حرج حينئذٍ من مغايرة الفعل لهذين الفعلين، فعدم القضاء عليم وعدم التخفيف عنهم إنّما هو من جزاء الله لهم.

نتائج البحث

بعد السياحة في انفرادات أبي عمرو البصري ترشحت لدينا بعض النتائج نذكر منها ما يأتي:

- بعض الاختلاف في القراءة لا يستتبعه اختلاف في توجيه النصّ القرآني وفهمه، فوجدنا بعض انفرادات أبي عمرو إنّما لها اختلاف في التوجيه النحوي من دون أن يستتبعه تغيير في الدلالة بينه وبين القراءة المختلفة.
- وجدنا في بعض الانفرادات أنّ لأبي عمرو بن العلاء توجيها خاضاً بها، فهو ينفرد في القراءة من دون أن يترك قراءته من دون توجيه لها.
- بعد مقارنة قراءة أبي عمرو بن العلاء مع القراءات الأخرى تبيّن لنا رجاحة ما قرأه أبو عمرو على غيره من القراءات.
- كانت بعض انفرادات أبي عمرو مرجوحة، إذ كانت حجته فيها لا ترقى إلى قوة الحجة في قراءة من سواه.
- لم تكم اتفرادات أبي عمرو مختصّة بجانب لغوي دون آخر، فنجد له بعض الانفرادات الصوتية وانفرادات نحوية أو دلالية.
- تنوعت انفرادات أبي عمرو، فكانت بعض الانفرادات خاصة بآية قرآنيّة واحدة، وبعضها كان منطبقاً على كل القرآن الكريم، فكان منفرداً في قراءة بعض التراكيب أينما وجدت في القرآن الكريم.

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط2، 1985.
- أوزان الفعل ومعانيها ، د. هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1971.

- البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري، تحقيق: محمود رأفت الجمال، منشورات ذوي القربى، قم المقدّسة.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق: سعد كريم الفقي، دار اليقين، مصر، ط1، 2001.
- التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1984.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيأة المصريّة العامة للكتاب، 1990.
- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007.
- الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: د. محمد أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق./
- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط4، 2010.
- شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2005.
- علم القراءات نشأته – أطواره– أثره في العلوم الشرعيّة ، د. نبيل محمد آل إسماعيل، مكتبة التوبة، ط1، 2000.
- الكشّاف عنة حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1، 1998.
- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرّائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره.
- معاني القراءات، أبو منصور الأزهري، تحقيق:د. عيد مصطفى درويش ود. عوض حمد القوزي، ط1، 1991
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجّاج، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2004.
- معاني القرآن، أبو زكريا الفرّاء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجّار، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ط3، 2001.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، نشر زكان، قم المقدّسة.
- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 2004.

- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري الدمشقي، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلميّة، بيروت.

([i]) التسمية بالمصدر وإرادة اسم المفعول مثل: قولك هذه قدرة الله تعالى، أي مقدوره، وهذا الكتاب علم فلان أي معلومه، وهذا رجاؤنا أي مرجونا. أو كما قالوا وللمكتوب كتاب. وكذلك هناك تسمية المفعول وإرادة المصدر: مثل قوله تعالى: (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) أَيْ كُلَّ تَمْزِيقٍ، فهنا استعمل اسم المفعول (ممزق) وأريد به المصدر (تمزيق)، وهذا طبيعي في اللغة.

([ii]) الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص188.

([iii]) موجز في علوم القرآن، داود العطار، ص17.

([iv]) الشعراء: 193-195.

([v]) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 6.

([vi]) الاعتصام، الشاطبي، ج2، ص805.

([vii]) فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص131.

([viii]) تاريخ آداب العرب، الرافعي، ج1، ص 137.

([ix]) الشعراء: 195.

([x]) الرحمن: 3-4.

([xi]) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص19.

([xii]) تاريخ آداب العرب، مصطفى الرافعي، ج1، ص63

([xiii]) المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده ج 4 ص 333.

([xiv]) تاريخ آداب العرب، الرافعي، ج1، ص64، ص70-75.

([xv]) المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج1، ص167.

([xvi]) انظر: فقه اللغات السامية، بروكلمان، ص11-28.

([xvii]) اللغات السامية، نولدكه، ص79. ترجمة رمضان عبد النواب، طبعة القاهرة 1963م.

([xviii]) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي، ص134.

([xix]) تحت راية القران، مصطفى الرافعي، ص50.

([xx]) الفصحى لغة القران، الجندي، ص32.

([xxi]) تحت راية القرآن، الرافعي، ص25-26.

([xxii]) الفصحى لغة القرآن، الجندي، ص32.

([xxiii]) انظر: الدلالة والكلام، محمد داود، ص16-17.

([xxiv]) الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس، ج 1 ص 46.

([xxv]) تحت راية القرآن، مصطفى الرافعي، ص18. دار الكتاب العربي. ط7، 1394هـ.

([xxvi]) انظر: عناية المسلمين باللغة العربية، سليمان بن إبراهيم العايد، ص161. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة ط1، 1421هـ.

([xxvii]) انظر: تفسير ابن عباس ومروياته، الدكتور عبد العزيز الحميدي، ج1، ص4. تفسير الطبري، ج1، ص80.

([xxviii]) المصدر نفسه، ص21.

([xxix]) الإتقان، السيوطي، ج1، ص67.

([xxx]) المصدر نفسه.

([xxxi]) انظر: الإتقان، السيوطي، ج1، ص69 وما بعدها.

([xxxii]) انظر: فصول في فقه اللغة العربية، رمضان، ج1، ص110-111.

([xxxiii]) علم اللغة بين القديم والحديث، د. عبد الغفار حامد، ص52-54.

([xxxiv]) الإتقان، السيوطي، ج4، ص209.
([xxxv]) انظر: لغة القرآن، د. عبد الجليل، ص403.
([xxxvi]) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص267.
([xxxvii]) انظر التفسير والمفسرون، ج1، ص156-157.
([xxxviii]) المصدر نفسه، ص210.
([xxxix]) التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص313.
([xl]) انظر: التفسير ورجالاته، ابن عاشور، ص137-138.
([xli]) التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص254.
([xlii]) التفسير والمفسرون، محمد هادي معرفة، ج1، ص918-919.
([xliii]) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج 5 ص 175.
([xliv]) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج 1 ص 12.
([xlv]) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 5 ص 270.
([xlvi]) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج 1 ص 123.
([xlvii]) العبر في خبر من غبر، الذهبي، ج 1 ص 146.
([xlviii]) طبقات المفسرين، الداوودي، ج2، ص48.
([xlix]) المزهر في علوم اللغة والأدب، السيوطي، ج 2 ص 286.
([l]) الإمام قتادة أقواله ومروياته في التفسير، محمد خالد عبد الهادي، ص55.
([li]) انظر: تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ج1، ص75-76. نشر: جامعة محمد بن سعود وجامعة الملك سعود الإسلامية، ترجمة د. محمود فهمي وعرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، 1411هـ 1991م.
([lii]) انظر: تفسير التابعين، ص70-71.
([liii]) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ج1، ص75-76.
([liv]) انظر: الإمام قتادة أقواله ومروياته في التفسير، ص84-87.
([lv]) انظر: مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص91. قال: من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه.
([lvi]) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج 1 ص 123.
([lvii]) إنباه الرواة، جمال الدين القفطي، ج3، ص35.
([lviii]) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج 9 ص 375. تهذيب التهذيب، ابن حجر، ج 8 ص 316. وانظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص94.
([lix]) أبو عروة معمر بن راشد الأزدي البصري (115هـ). قال عنه الذهبي في السير: "الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي، مولاهم البصري، حدث عن: قتادة، والزهري...". سير أعلام النبلاء، ج 7 ص 5.
([lx]) هو أبو عمرو بن العلاء البصري القارئ شيخ القراء والعربية، كان أعلم الناس بالقراءات والعربية، والشعر، وأيام العرب. انظر: سير أعلام النبلاء، ج6، ص407.
([lxi]) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج 4 ص 86.
([lxii]) العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل برواية ابنه عبد الله، ج3، ص308.
([lxiii]) تفسير التابعين، ص251، ص274.
([lxiv]) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، ج2، ص147.
([lxv]) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، 201-205.
([lxvi]) النحل: 62.
([lxvii]) تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني، ج 2 ص 357.
([lxviii]) النحل: 52.
([lxix]) تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني، ج 2 ص 357.
([lxx]) النحل: 10.

([lxxi]) تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني، ج 2 ص 354.
([lxxii]) الأنعام: 46.
([lxxiii]) المصدر نفسه: ج 2 ص 207
([lxxiv]) جامع البيان، الطبري، ج 23 ص 55.
([lxxv]) المصدر نفسه، ص171.
([lxxvi]) المصدر نفسه، ص 169.
([lxxvii]) المصدر نفسه، ص 53.
([lxxviii]) المصدر نفسه، ج 24 ص 140.
([lxxix]) المصدر نفسه، ج 29 ص 75. وانظر: الإمام قتادة أقواله ومروياته في التفسير، محمد خالد، ص120.
([lxxx]) انظر: الإمام قتادة أقواله ومروياته في التفسير، محمد خالد عبد الهادي، ص120-123.

مصادر البحث

1- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، ط2، 1392هـ
2- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ.
3- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد، العلل ومعرفة الرجال، دار الخاني، الرياض، ط2، 1422هـ.
4- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، بيروت.
5- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصص، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
6- ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجالاته، مجمع البحوث الإسلامية، 1390هـ.
7- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة، ومسائلها وسنن العرب في كلامها، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.
8- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، ط 1420هـ.
9- بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ط 1397هـ-1977م.
10- بو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي . بيروت، ط4، 1405هـ.
11- الجندي، أنور، الفصحى لغة القران، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ط 1402هـ.
12- الحميدي، عبد العزيز بن عبد الله، تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة، جامعة أم القرى.
13- الخضيري، محمد بن عبد الله بن علي، تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، دار الوطن للنشر، أطروحة دكتوراه.
14- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية . بيروت، ط1، 1417هـ.
15- داود، محمد، الدلالة والكلام، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1423هـ.
16- الداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
17- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، ط2. 1984م.
18- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
19- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط9. 1413هـ.
20- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2000م.
21- الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، الزنية في الكلمات الإسلامية العربية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1415هـ.
22- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1412هـ.
23- الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
24- الرافعي، مصطفى صادق، تحت راية القران، دار الكتاب العربي، ط7، 1394هـ.

25- سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، جامعة محمد بن سعود وجامعة الملك سعود الإسلامية، ترجمة د. محمود فهمي وعرفة مصطفى وسعيد عبد الرحيم، 1411هـ 1991م.
26- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ-1998م.
27- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1394هـ.
28- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، دار الكتب العلمية، ط1. 1408 هـ. تحقيق: أحمد عبد الشافي.
29- الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث . بيروت، ط 1420هـ.
30- الصنعاني، عبد الرزاق، تفسير القرآن، مكتبة الرشد للنشر، الرياض، ط1، 1410هـ.
31- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، دار الفكر . بيروت، ط 1415هـ.
32- العايد، سليمان ابن إبراهيم، عناية المسلمين باللغة العربية، مجمع الملك فهد لطباعة ط1، 1421هـ.
33- عبد التواب، رمضان، فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1420هـ.
34- عبد الرحيم، عبد الجليل، لغة القران الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، ط1، 1401هـ.
35- عبد الهادي، محمد خالد، الإمام قتادة بن دعامة السدوسي، أقواله ومروياته في التفسير، رسالة ماجستير، إشراف د. عويد المطرفي، جامعة أم القرى، 1414هـ.
36- العطار، داود، موجز في علوم القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط3، 1415هـ.
37- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406هـ.
38- معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ط2، 1383ش.
39- نولدكه، اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد النواب، طبعة القاهرة 1963م.
40- هلال، عبد الغفار حامد، علم اللغة بين القديم والحديث، ط2، 1986م.
41- وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 2004م.